

النظريات النحوية المطبقة في القرآن الكريم:

دراسة تحليلية في الآيات المختارة

أطروحة جامعية قدمت إلى جامعة كالكوت لنيل شهادة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها

(نسخة منقحة)

قدمها

أحمد كويا.بي

تحت إشراف

الدكتور سي سيد علوي

مشرف البحوث في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي) ، كالكوت،

والعميد السابق لكلية البنات يونيتي، منجيري

و

الدكتور علي نوفل. ك

(المشرف المساعد)

الأستاذ المشارك في قسم العربية بجامعة كالكوت،

و الرئيس السابق في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي) ، كالكوت



جامعة كالكوت

كيرالا- الهند

2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتويات

رقم	الأبواب والفصول
1	مقدمة البحث
3	تحليل العنوان
11	دوافع اختيار الموضوع
12	أهداف البحث
12	مشكلة البحث
13	أهمية البحث
14	منهج البحث
15	الدراسة السابقة
16	تبويب البحث
17	الشكر والعرفان
الباب الأول: تاريخ النحو العربي؛ نشأته وتطوره عبر الزمان	
20	الفصل الأول: حال العرب مع لغتهم قبل وضع النحو
25	الفصل الثاني: نشأة النحو وأسبابها
26	أسباب النشأة
32	الفصل الثالث: وضع النحو و أول واضعه
34	أول من وضع النحو
36	أقوال عن علي كرم الله وجهه
39	الواضع هو أبو الأسود الدؤلي
42	تسمية هذا العلم بالنحو
44	الفصل الرابع: الطرق التي سار بها النحو العربي
48	الفصل الخامس: أشهر الأعلام وأمّهات الكتب في النحو
50	أبو الأسود الدؤلي
51	الإمام سيبويه
52	الإمام الكسائي

53	الفراء
53	الزمخشري
54	ابن جني
54	ابن هشام
55	ابن مالك
55	الخليل بن أحمد الفراهيدي
56	الأخفش
56	ابن الحاجب
57	الأخفش الصغير
57	الزجاج
58	الزجاجي
58	ثعلب
59	السيوطي
59	ابن قتيبة
59	ابن أبي إسحق
60	ملك النحاة
60	المبرد
60	عيسى بن عمر الثقفي البصري
61	ابن أبي إسحق
61	الأنباري
62	أمهات الكتب:- الكتاب لسيبويه
63	المقتضب للمبرد
64	الكافية لابن الحاجب
64	ألفية ابن مالك
65	الخصائص لابن جني
66	الأصول في النحو
66	الإيضاح في علل النحو
67	كتاب المفصل للزمخشري
67	مغني اللبيب عن كتب الأعراب

68	كتاب التسهيل
68	النحو الوافي
69	كتاب همع الهوامع على جمع الجوامع
69	كتاب تقريب المقرب
69	الصاحبي في اللغة
70	الفصل السادس : المدارس النحوية
71	المدرسة البصرية
72	المدرسة الكوفية
74	المدرسة البغدادية
75	المدرسة الأندلسية
76	المدرسة المصرية
78	الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين
الباب الثاني: التقدير اللغوي للقرآن الكريم	
81	الفصل الأول : اللغة العربية والآيات القرآنية
81	تعريف اللغة لغةً
82	تعريف اللغة اصطلاحاً
84	اللغة توقيفية أم وضعية؟
84	وظائف اللغة
85	اللغة العربية
85	تاريخ اللغة العربية
86	خصائص اللغة العربية
87	الميزة التاريخية
87	الميزة الدينية
88	العربية كلغة القرآن
94	الفصل الثاني : الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم
95	تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً
96	تعريف القرآن
98	أغراض الإعجاز وشروطه
99	مراحل الإعجاز في كلام الله تعالى

100	أنواع الإعجاز
100	الحكمة من إعجاز القرآن
101	الميزة اللغوية للقرآن (الإعجاز اللغوي)
103	مظاهر الإعجاز اللغوي
106	الفصل الثالث : أسس النحو القرآني و خصائصه
107	أسس النحو القرآني
108	الخصائص النحوية القرآنية
109	تنوع النحو القرآني
110	النحاة والنحو القرآني
112	الفصل الرابع : الإعجاز النحوي للقرآن الكريم
117	إدراك الإعجاز النحوي
120	الفصل الخامس : التعامل الإعرابي في القرآن الكريم
122	تعريف الإعراب لغة واصطلاحاً
123	هل الإعراب هو النحو أم لا
124	مزايا القرآن الاعرابية
126	الجدال في وجود وأصالة الإعراب
130	النحاة المتقدمون وآراءهم مع الدلائل
132	الفصل السادس: الاتجاهات اللغوية الحديثة في القرآن
الباب الثالث: تشكيل المبادئ النحوية وتطبيقها في اللغة العربية	
136	الفصل الأول : تولد القواعد النحوية في العربية
142	الفصل الثاني : تطبيق القواعد النحوية في القرآن
143	الشاهد القرآني عند النحاة , وأثره في قيام القاعدة النحوية
143	أهمّ القواعد النحويّة من القرءان
143	(أفعل) التفضيل مؤول بالصفة المشبهة
144	اشباع الفتحة ألفا والمد في الفصل
145	إثبات الألف في الوصل والوقف
146	الوقف على الممنوع من الصرف بألف
147	جواز الرفع في المعطوف على اسم إن .
148	إبدال ياء الإلحاق ألفا

149	جواز تسكين اللام
149	تضمين لعل في الترجي معنى لبيت في التمني
150	الفصل الثالث: الأحاديث النبوية والقوانين النحوية
152	المسائل النحوية المختلفة
163	الفصل الرابع: الملامح النحوية من الآثار العربية القديمة
173	الأمثال في القضايا النحوية
179	نماذج للاستشهاد بالأمثال في القضايا النحوية من بعض كتب النحاة:
الباب الرابع: التحليل النحوي للآيات المختارة من القرآن الكريم	
181	الفصل الأول: العناصر النحوية وتأثيراتها في معاني الآيات القرآنية
236	تقدير المحذوفات في القرآن الكريم
256	المسائل الفقهية والاعتقادية
287	الفصل الثالث : تأثير الحروف العاملة في تبديل المعاني
308	الفصل الثالث : ملامح النحو العربي في السور المفصلة
318	خاتمة البحث
322	المصادر والمراجع

مقدمة البحث

اللغة هي عملية تبادل الأفكار بين الناس لتلبية احتياجاتهم اليومية كما أن تنفيذ أغراضهم والتواصل مع بعضهم البعض جزء أساسي من حياة الإنسان. كل لغة لها أسلوبها اللغوي والصوتي يختلف بسبب تغيرات الظروف القبلية والوطنية كما أن لكل منها هيكلها وأسلوبها الخاص الذي يحدد قواعد معينة ولوائح مخصوصة تساعد لاستخدامها الرسمي على النطاق الواسع. يُعرف النظام الذي يتم من خلاله استخدام اللغة للتواصل بشكل صحيح باسم القواعد. وإن كانت القواعد اللغوية لا تعتبر بصورتها الحقيقية في التواصل اللفظي ، إنها جزء لا يرغب عنها في اللغة لأنها من العناصر الأصلية التي تتعامل بمستويات اللغة بحذافيرها، فإنها ليست بدراسة اللغة فحسب بل هي دراسة عن اللغة.

و لا توجد أية لغة رسمية في خريطة العالم إلا ولها نظمات نحوية مذكورة غير أن تلك النظمات تختلف في أساليبها وبناء أحكامها وفقاً لاختلافات اللغات المتنوعة. واللغة العربية تمتلك قواعدها اللغوية الخاصة وقوانينها المتميزة، حيث تم وضع نظرياته النحوية على أساس الآداب العربية الكلاسيكية. ولما أن هذه اللغة الجليلة تحمل قدما كقدم الإنسان ليس تولد نظام اللغة العربية النحوية الرسمية ما ولد مع اللغة. وقد صيغت قواعدها الرسمية خلال القرن السابع.

وكان في خلافة علي رضي الله عنه أن تقدم الإمام أبو الأسود الدؤلي رحمه الله إلى بناء القواعد النحوية العربية فيما يتعلق بالإشارات اللغوية التي ذكرت في القرآن الكريم، حيث إنه كان من العلماء اللغويين الماهرين من الصحابة الكرام. بنى الإمام الدؤلي القوانين اللغوية على أساس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لما أن اللغة العربية فيهما لغة أصلية إلهية أنيقة لا تشوبها الخلل والأكدار.

وهناك غير قليلة من المبادئ النحوية العامة والخاصة في العربية على حد أن من لم يستوف النظريات النحوية الشاملة دراسةً و درايةً لا يكون من حاصلها أصالة اللغة المعنوية و مدركها حق الإدراك.

وخلافا من سائر اللغات الأخرى ، إن للغة العربية عدة مصطلحات نحوية ووصلات خاصة تجعل اللغة جذابة خلابة كما تعطي لها معنى فعلاً. والعناصر النحوية هي التي تلعب دورا بارزا لإثارة المعاني المتينة للغة العربية. فلا بد للذي يحرص على تحصيل العلوم في هذا المجال من أن يطلع إلى جواب لبعض الأسئلة مثل " كيف تختلف المبادئ النحوية العربية من غيرها من اللغات الأجنبية؟ ، و كيف يؤثر أدنى جزء من الأجزاء النحوية العربية في تحويل معاني الجمل مع إخراج معنى آخر؟"

و علم النحو هو أسبق ظهورا من علوم اللغة، بحيث إنه ما كان أحد تقدم للإطلاع على الفروع العلمية اللغوية قبل أن تُعرّف الملامح النحوية العربية. فهو العلم الذي يعرف كأول علم دُونَ في الإسلام، لما أن أربعةَ عَشَرَ قَرْناً قد مضت منذ أن ولد هذا العلم الجليل في العالم. لم يترك أي أمم من الأمم السالفة هذا الفن إلا وقد خاض إليه بالاهتمام البالغ مناقشة وتتبعها وتفاهما حيث انهمك كل الجيل من أجيال العلماء العباقر يتعمقون فيه قصداً وغايةً، وإن اختلفوا وطناً وجنساً، وشخصيةً ومنهج تفكير.

والنحو القرآني يمتلك المكانة المذكورة لما أنه من العربية الخالصة ولما أنه استعمل بأيدي العلماء العباقر في استخراج القوانين والقواعد. ولا شك في أن له مكانة مرموقة في إظهار المعنى الحقيقي لآيات القرآن و في أن أهمية تعلم النحو القرآني لاستخراج المعاني الحقيقية للآيات القرآني تعلق من أهمية كل العلوم القرآنية. وإن كان القرآن لا يشتمل كل القوانين النحوية التي بنيت وفق آراء النحاة المختلفة ضمن آياتها الجليلة يتضح بأن كل النظريات النحوية الأصلية والفرعية كان مصدرها الرئيسي هو القرآن الكريم غير أن بعض القوانين التابعة قد بني على منوال وأضواء التراكيب النحوية القرآنية .

وهناك بعض من الدعوى من بين الأعداء يدعون بأن في القرآن أخطاء نحوية عديدة تخالف للقوانين النحوية الرسمية. وقد قام العلماء ببيان لغوي كاف ضد تلك الدعوى الباطلة بحيث أنهم يُخرجون الحقائق خلفها. ولا تتجلى تلك الحقائق الواضحة إلا بالتتبع الدقيق في المظاهر النحوية القرآنية.

القرآن الكريم ، باعتباره كتاباً من أعظم الأدب العربي ، أظهر هذه الجاذبية والمعنى الفعال الذي لن يظهر في غيره. هناك الكثير من الآيات القرآنية التي لا تعطي بعض المعاني الخاصة إلا بوجود أو عدم وجود العديد من المكونات النحوية بينما يعطي بعضها معناه لنفس السبب. وقد ظهر ذلك في ميدان بيان الدور النحو العربي في إبراز الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم. وعلاوة على ذلك، يلعب النحو القرآني دوراً فعالاً في استنباط المسائل الفقهية والاعتقادية من آيات القرآن.

وهذه الأطروحة تهدف إلى الوقوف على المعارف النحوية من آيات القرآن وإلى إدراك ما يتعلق بها من العناصر اللغوية العربية لفظياً ومعنوياً. ولا تبدو تلك المعارف الجليلة قاطبة لأحد، لما أنها من العلوم الإلهية اللهم إلا لمن أنعمهم الله بالذهن السليم والفكر القويم.

تحليل العنوان

عنوان الأطروحة التي يقوم الباحث بإجراء البحث فيها ، "النظريات النحوية المطبقة في القرآن الكريم: دراسة تحليلية في الآيات المختارة". والذي يعني الباحث من الدراسة بهذا العنوان إدراك النظريات النحوية العربية ومبادئها وقوانينها من الآيات القرآنية المختارة وتحليلها على الوجه الكامل.

فكلمة النظريات جمع نظرية، معناها اللغوي - نَظَرَ إلى الشيء. نَظَرًا، ونَظْرًا: أبصره وتأمله بعينه. وفيه : تدبّر وفكّر. يُقال: نظر في الكتاب، ونظر في الأمر، يُقال: أمر نَظْرِيًّا: وسائل بحثه الفكر والتخيّل. وعلوم نظرية: قلّ أن تعتمد على التجارب العملية ووسائلها. (النَّظَرِيَّةُ): قضية تثبتُ ببرهان. و(نظرية المعرفة): البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع، أو بين العارف والمعروف، وفي وسائل المعرفة، فطرية أو مكتسبة. (ج) نظريّات¹ من حيث إنها مشتقة من النظر الذي يحمل دلالة معنى التأمل العقلي، وهي قضية

¹ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 9004 حرف النون

تُثَبَّتْ صِحَّتُهَا بِحِجَّةٍ وَدَلِيلٍ أَوْ بَرَهَانٍ ، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ " تَرْتِيبٌ وَتَنْظِيمٌ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ بِطَرِيقَةٍ تَمَكَّنَتْنا مِنْ الْحَصُولِ عَلَى مَعْلُومَاتٍ جَدِيدَةٍ أَيْ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْمَعْلُومِ إِلَى الْمَجْهُولِ " - لِسَانِ الْعَرَبِ ، حَرْفِ النُّونِ

تَعْرِفُ النَّظْرِيَّةُ فِي اللُّغَةِ عَلَى أَنَّهَا مِصْطَلَحٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْكَلِمَةِ الثَّلَاثِيَّةِ الْمَجْرَدَةِ نَظَرَ ، كَمَا أَنَّ مَعْنَاهَا التَّأَمُّلُ وَالخَوْضُ فِي التَّفَكُّرِ أَثْنَاءَ التَّفَكُّرِ بِشَيْءٍ مَا ، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ هِيَ قَوَاعِدُ وَمَبَادِئُ تُسْتَعْمَلُ لَوْصِفُ شَيْءٍ مَا. وَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِنَ الْخِصَالِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ الْفَلَسْفِيَّةِ أَوْ الْأَدْبِيَّةِ أَوْ الْمَعْرِفِيَّةِ ، وَتَقُومُ هَذِهِ النَّظْرِيَّةُ حَقِيقَةً مَعِينَةً مَخْصُوصَةً وَتَتَسَبَّبُ لِبِنَاءِ مَعْنَى جَدِيدٍ. وَالنَّظْرِيَّةُ دَرَاةً عَقْلَانِيَّةً وَمَنْطِقِيَّةً أَيْضًا لِاسْتِنْتِاجِ النَّتَائِجِ وَالْمَعْلُومَاتِ لِتَعْرِيزِ الْفِكْرَةِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي تَأْدِي إِلَى تَوْلِدِ النَّظْرِيَّةِ.

تَسْتَعْمَلُ كَلِمَةُ النَّحْوِ فِي اللُّغَةِ لَعَدَّةٍ مَعَانٍ ، مِنْهَا الْقَصْدُ كَمَا يُقَالُ نَحَوْتُ نَحْوَكُ وَمِنْهَا الْجِهَةُ وَالطَّرِيقُ فَكَأَنَّهُ ظَرْفٌ كَمَا يُقَالُ نَحَا الطَّالِبُ نَحْوَ الْمَدْرَسَةِ ، وَالْمَعْنَى الْآخَرُ هُوَ التَّحْوِيلُ وَالتَّحْرِيفُ إِلَى جَانِبٍ أَوْ حَالَةٍ غَيْرِ الْأَوَّلَى. " وَذَلِكَ أَخْذًا مِنْ أَقْوَالِ الْعَرَبِ نَحَاهُ يَنْحُوهُ أَيْ صَرْفَهُ وَأَنْحَى بِصَرْفِهِ عَنْهُ أَيْ صَرْفَهُ ، وَنَحَى الشَّيْءَ يَنْحُوهُ وَيَنْحَاهُ بِمَعْنَى حَرْفِهِ ، قِيلَ وَمِنْهُ سَمِيَ النَّحْوِيُّ لِأَنَّهُ يَحْرِفُ الْكَلَامَ إِلَى وَجْهِ الْإِعْرَابِ"². وَمِنَ الْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ لِلنَّحْوِ أَيْضًا " الْمَقْدَارُ " مِثَالُهُ فِي الْكَلَامِ 'أَعْطَيْتُ لِمَصْدِيقِي نَحْوَ أَلْفِ رُوبِيَّةٍ صَدَقَةً' ، وَمِنْهَا مَعْنَى الشَّبْهِ وَالْمِثْلِ كَمَا نَقُولُ " الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ نَحْوُ يَكْتُبُ وَيَجْلِسُ مَعْرَبٌ ". وَكَذَلِكَ يَأْتِي لَفْظُ النَّحْوِ لِمَعَانٍ أُخْرَى مِثْلَ النَّوْعِ كَهَذَا الشَّيْءِ عَلَى سَبْعَةِ أَنْحَاءٍ ، وَالْقِسْمِ كَمَا نَقُولُ نَحَوْتُ مَالِي بَيْنَ أَوْلَادِي ، وَمَعْنَى الْأَصْلِ كَمُحَمَّدٍ نَحْوَهُ مِنْ مَكَّةَ ، وَمَعْنَى الْبَعْضِ كَتَنَاوَلْتُ نَحْوَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَعَانِي الْعَدِيدَةِ³. وَهُوَ فِي أَصْلِ الْكَلَامِ مَصْدَرٌ نَحَا يَنْحُو إِذَا قَصِدَ بِالنَّفْسِ وَالْقَلْبِ وَيُقَالُ

² محمد حسن حسن جيل ، دفاع عن القرآن الكريم ، البربري للطباعة الحديثة ، بيسون ، 2000م ص 57

³ ويأتي أيضًا بمعنى : عند ، القرب ، والبيان والإمالة : نحوت جسي . وقيل : النحو في اللغة يأتي على أربعة عشر معنى أشهرها ستة معانٍ مجموعة في قول الناظم : وقال الداودي :

للنحو سبع معانٍ قد أتت لغة * جمعتها ضمن بيت مفردٍ كُمُلا
قصد ومثل ومقدار وناحية * نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلًا

نحاله وأنجى له بمعنى قصد له وإنما سمي العلم بكيفية كلام العرب في إعرابه وبنائه (نحو) لأن الغرض به أن يتحرى الإنسان في كلامه إعرابا وبناء بطريقة العرب في ذلك.

ويقول الإمام أبو القاسم الزجاجي في كتابه "الإيضاح في العلل النحو" محلا جميع المعاني اللغوية لكلمة 'النحو' وأصل هذه المعاني هو القصد ، لأن النحو مأخوذ من قول أبي الأسود الدؤلي ، عندما وضع كتابا فيه جمل العربية ثم قال: انح هذا النحو أي اقصدوه والنحو هو القصد ، فسمي لذلك نحوا⁴. ومن كلام اللغويين نشاهد مثل ذلك رأيا آخر يوافق بالأراء المتقدمة كما يقول ابن فارس : " النون و الحاء و الواو كلمة تدل على قصد ... ، و لذلك سمي نحو الكلام ، لأنه يقصد أصول الكلام فنتكلم على حسب ما كان العرب يتكلم به"⁵. والذي يفهم من هذه التحديدات اللغوية أن أصل هذه المادة الذي ترجع إليه هو القصد ، و أن سائر المعاني اللغوية التي ذكرت في الكتب اللغوية هو تابع لذلك المعنى.

وفي قول ابن جني في كتابه الخصائص بيان مزيد لإدراك المعنى اللغوي بوجه دلالي حيث يقول: النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره: كالتثنية، والجمع، والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وأن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهاء الشيء أي عرفته ، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم وكما أن بيت الله عز وجل خص به الكعبة وإن كانت البيوت كلها لله عز وجل⁶.

⁴ أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في العلل النحو : تحقيق : مازن مبارك : دار النفائس ت 340هـ

⁵ أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين : معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد هارون طبعة 1399-1979 دار الفكر

⁶ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006 الجزء الأول - صفحة 34

والذي يقوله ابن الأعرابي في معناه "أنحى ونحى وانتحى أي اعتمد على الشيء وانتحى له وتنحى له : اعتمد.⁷ وفي قول ابن السكيت : "نحا نحوه إذا قصد ، ونحا الشيء ينحاه إذا حرفه ومنه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب"⁸. ويصرح الجوهري في الصحاح : " يقال نحوت نحوك أي قصدت قصدك"⁹. ويقول ابن برزخ : " نحوت الشيء أمتعته"¹⁰ ويرى صاحب قاموس المحيط الأستاذ الفيروزآبادي رأيا على وجهة نظره ويفصله بقوله كما يبين " النحو ، الطريق والجهة ج أنحاء ونحو ، والقصد ، يكون ظرفا واسما ومنه نحو العربية ، وجمعه نحو كعُتْلٌ وتحية كدلو ودلية نحاه ينحوه وينحاه ؛ قصده كانتحاه ورجل ناح من ينحا . ونحا مال على أحد شقيه أو انتحى في قوسيه ، وتنحى له ؛ اعتمد وأنحى عليه ضربا أقبل . والإنتحاء ؛ اعتماد الإبل في سيرها على أيسرها كالأنحاء ، ونحاه ، صرفه و بصره إليه ينحاه وينحوه ، رده وأنحاه عنه ، عدله"¹¹

يقول في معجم الوسيط : " أنحى في سيره : مال إلى ناحية أنحى عليه : أقبل ، ناحاه : صار كل منها نحو الآخر نحى عليه عرض له به . نحى الشيء : أبعده وأزاله. تنحى : صار في ناحية ، الناحي العالم بالنحو جمعه نحاة ، الناحية؛ الجانب والجهة النحو : القصد ، يقال نحوت نحوه قصدت قصده ، والمثل والنوع والمقدار"¹²، كما يقول محمد عبد القادر الرازي في مختار الصحاح "ون ح ا ، النحو القصد والطريق ، يقال نحا نحوه اي قصد قصده ، ونحا بصره إليه أي صرف ، وبأبها عدا وأنحى بصره عنه عدله ونحاه من موضعه فتنحى"¹³

⁷ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مادة (ن ح ا) ج-3، ص599.

⁸ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مادة (ن ح ا) ج-3، ص599.

⁹ الصحاح

¹⁰ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مادة (ن ح ا) ج-3، ص599.

¹¹ أستاذ طاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ص339.

¹² المعجم الوسيط، إدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، كتب خانة، ديوبند، ص 948.

¹³ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، ص 654.

وقد أطل اللغويون من النحاة وغيرهم مثل عبد الله الفواكهي¹⁴ في تفصيل معاني كلمة 'النحو' في المؤلفات اللغوية، ولا نريد استيفاءها في هذا المكان لما أن البيانات المذكورة قد سلطت الأضواء إلى أهم معانيها الجلية. معنى النحو في الاصطلاح:-

إنما عرّف علماء النحو واللغة هذا المصطلح حسبما يحصله من معانيه اللغوية وفقاً لما يتضمنه من العلوم والاكتشافات فيما يتعلق بكلما يشمل من عناصره وفروعه. ولذلك يرى بعض العلماء من السلف والخلف وجهاتهم المختصة في تحديدها وإدراك مظاهرها بتقديم آراءهم القيمة مع الشواهد الكافية. يقول الإمام ابن السراج في كتابه 'الأصول في النحو' في تعريفه النحو اصطلاحاً - ويعد هذا التعريف من أقدم التعاريف لهذا العلم-، وهو يقول "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب ، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب ، حتى وقفوا منه على الفرض الذي يقصده المبتدئون بهذه اللغة"¹⁵

وقد أورد الإمام السيد علي بن محمد الشريف الجرجاني في كتابه 'التعريفات' تعريفات أولها "النحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب أو البناء وغيرهما" وثانها النحو هو علم يعرف به أحوال الكلام من حيث الإعلال وثالثها هو إنه علم يعرف به صحة الكلام وفساده¹⁶. ويقول العلامة أحمد الهاشمي عن المعنى الاصطلاحي للنحو بأنه هو قواعد يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية التي حصلت

¹⁴ يقول السيد جمال الدين عبد الله بن أحمد الفواكهي في شرح الحدود النحوية : " وهو لغة يطلق على أحد معان ؛ بمعنى القصد وبمعنى البيان وبمعنى الجانب وبمعنى المقدار وبمعنى المثل وبمعنى النوع وبمعنى البعض وبمعنى القرب ويجمع بعضها قول بعض الفضلاء:-

نحونا نحو دارك يا حبيبي* لقينا نحو ألفا من رقيب

وجدناهم جيعا نحو كلب* تمنوا منك نحو من شريب (، شرح حدود النحوية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ص 134).

¹⁵ ابن سراج: الأصول في النحو، الناشر: مؤسسة الرسالة. لبنان، بيروت تحقيق: عبد الحسين القتلي عدد الأجزاء 3- ط 1- 2009،

¹⁶ أبو الحسن علي محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار التونسية للنشر، باب النون، ص 415.

بتركيب بعضها مع بعض من إعراب وبناء وما يتبعهما"¹⁷. وأضاف قائلاً النحو قواعد يعرف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها حين إفرادها وتركيبها. ويقول الإمام إبراهيم فوزي في كتابه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم أن علم النحو، ويسمى علم الإعراب، وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقما، وما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها في التراكيب، والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في التأليف والاقتدار على فهمه والإفهام به¹⁸.

قال الأزهري في كتاب "تهذيب اللغة": "النحو، إعراب الكلام العربي"¹⁹ ونرى في معجم الوسيط الصادر من مجمع اللغة العربية، تصريح على أن النحو هو "علم يعرف أحوال أواخر الكلام إعرابا وبناء"²⁰. وذكر الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، في النبذة النحوية هو "هو علم بأصول يتوصل بها إلى معرفة أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء"²¹. وبين صاحب "كتاب اللباب في علل البناء والإعراب" "وحدّه عندهم أنه علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كلام العرب"²². وفي قول الإمام الفاكهي معناه: "فحدّه أي اصطلاحاً (علم بأصول) أي بقواعد كلية منطبقة على جزئياتها. منها كل ما اشتمل على علم الفاعلية فهو مرفوع وكل ما اشتمل على علم المفعولية فهو منصوب، وكل ما اشتمل على علم المضاف إليه فهو مجرور، وكل ما شابه الحرف فهو مبني (يعرف بها) أي بسببها (أحوال الكلام) أي الكلمات العربية والأصول وما يعرض لها بالتركيب من الكيفية و التقديم والتأخير (إعرابا وبناء) أي من حيث الإعراب والبناء"²³

¹⁷ الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب العربي، بيروت، ص 06

¹⁸ الإمام إبراهيم فوزي في كتابه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

¹⁹ ابن منظور، لسان العرب، ص 599

²⁰ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، كتب خانة، ديوبند، ص 948

²¹ إسماعيل بن محمد الأنصاري، النبذة النحوية في شرح الجرومية، مطابع الرياض، ص 4.

²² أبو البقاء محب الدين عبد الله الحسن، اللباب في علل البناء والإعراب، دار الفكر، دمشق، 4995، ص 4

²³ الفاكهي، شرح حدود النحوية، ص 131-

فالنحو عند ابن جني هو محاكاة العرب في طريقة تكلمهم تجنباً للحن، وتمكيننا للمستعرب في أن يكون كالعربي في فصاحته وسلامة لغته عند الكلام. فالعلم الذي يضع القواعد التي تحقق هذين الغرضين هو علم النحو²⁴. نشاهد في كتاب "أسرار النحو" لابن كمال باشا إذ يقول "والنحو في عُرف النحاة معرفة أحوال أواخر الكلم من جهة الإعراب"²⁵. وعرفه ابن عصفور بأنه "علمٌ مستخرج بالمقاييس المستنبطة من كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها"²⁶.

وهذه التعريفات بأجمعها، إن كانت مختلفة في ألفاظها وتراكيب جملها معناها واحد على أن النحو هو العلم عن بعض الأصول التي يعرف بها أحوال أواخر الكلمات من الإعراب والبناء غير أن هذه التعريفات توهم بأنها لا تلائق بالتفكيرات النحوية لحاملي هذه اللغة من الأعاجم - يعني لغير الناطقين باللغة العربية - لما أن هذه التعريفات لم تجمع كل الاصطلاحات التي يتضمنها علم النحو. وذلك بأن العلوم المتوفرة في علم النحو، من بينها دروس عن مفردات الكلمات وتعاليم عن تراكيب الجمل ودراسات عن الإعراب وعلاماته وغيرها، وهذا ما نراه في التعريف الذي أتاه السيد أحمد الهاشمي في كتابه المشهور "القواعد الأساسية للغة العربية" شاملاً تلك الاصطلاحات حيث يبين "النحو قواعد يعرف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها حين إفرادها وحين تركيبها". وهذا التعريف لا يقتصر في معرفة أحوال أواخر الكلمات فحسب بل يطلع إلى كثيرة من الأمور والأشياء التي يشير إليها النحويون عند القيام بتعليم هذا الفن.

كلمة "المطبقة" من الفعل طَبَّقَ، الذي يستعمل على معنى "طَبَّقَ القَانُونَ بحذافيره": نَفَذَهُ. كما يقال "كان عليه أن يُطَبِّقَ القاعدة": أن يَحْدُوَ حَدُّوْهُ بِنُودِهَا، أن يُجَرِّبَهَا ليبرهن على مدى صحَّتِها.

²⁴ الخصائص لابن جني

²⁵ أسرار النحو، ابن كمال الباشا، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر، ط2، 2008، ص75

²⁶ المقرب، ابن عصفور، 45/1

التطبيق هو إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوية كما يقال "يقوم المُدرِّسُ بتطبيق المسائل على النظريات، يسعى لتطبيق التعليمات طبقاً للقانون. وهو إجراء تعليمي يهدف لتحفيز التعلّم من التجارب.²⁷

لفظ القرآن في اللغة هو مصدر "قرأ" بمعنى: "تلا" كالرجحان والغفران،²⁸ ثم نُقل من المصدر وجُعِل اسماً للكلام المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم. ويشهد له قوله تعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَهِ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أَي: قراءته وفي الاصطلاح القرآن الكريم هو الكلام الإلهي الذي نزل على خاتم الانبياء وقد بلغه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمة ووصل إلينا بالتواتر وقد تكفل الله بحفظه من التحريف.

سيأتي بيان جميع هذا في الباب المعين له إن شاء الله تعالى.

كلمة 'دراسة' مصدر من فعل دَرَسَ على وزن فعالة بمعنى تَعَلَّمَ ، وهو القراءة وتحصيل العلوم والمعارف يتضمن فيه البحث والتحقيق، يقال درس الكتاب ونحوه أي كرر قراءته ليحفظه.

كلمة تحليلية اسم مؤنث منسوب إلى تَحْلِيل ، وهو مصدر قياسي على وزن التفعيل من الفعل الثلاثي المزيد - حَلَّلَ - يَحْلِلُ- الذي يعود إلى الفعل الثلاثي -حَلَّل- وحلّ الشيء هو فتحه وفكّه. ودراسة تحليلية: تتخذ التحليل أساساً لها. وفي الاصطلاح هو عملية تقسيم موضوع أو مادة معقدة إلى أجزاء صغيرة من أجل الحصول على فهم وإستيعاب أفضل لهذا الموضوع أو المادة²⁹.

كلمة الآية في اللغة اسم يُطلق على أكثر من معنى، فالمعجز في اللغة يقال له آية والعلامة آية والعبرة آية والبرهان وهي مجموعة كلمات من القرآن الكريم متصل بعضها ببعض إلى مكان انقطاعها التوقيفي، وهي وحدة قرآنية منفصلة عمّا قبلها وبعدها بعلامة.

²⁷ قاموس معاجم اللغة

²⁸ مجمع البحرين المؤلف: الشيخ فخر الدين الطريحي الجزء: 3 صفحة: 477

²⁹ The Stanford Encyclopedia of Philosophy. Michael Beaney

لفظ 'اختار' على وزن افتعل من الفعل الثلاثي المزيد فيه معناه اصطفى أي أن يفضّل المرء شيئاً على غيره وهو أن يتوجه إليه بمحض إرادته.

الآيات المختارة التي اطلع عليها الباحث للتحليل النحوي هي بعض من الآيات القرآنية المتضمنة في الأقسام الأربعة التي قسّمها العلماء حسب تراكيب الآيات - السبع الطوال، المئون، المثاني، المفصل -

وقد حاول الباحث تضمين الآيات من كل قسم من هذه الأقسام الأربعة كما حاول تضمين آية واحدة على الأقل من كل سورة من سور القرآن الكريم.

دوافع اختيار الموضوع

قد تسبب بعض من العناصر والدوافع التي قادت الباحث لاختيار هذا الموضوع لإجراء البحث والمطالعة، حيث أنها كانت هي البواعث الحقيقية للقيام بإعداد أطروحة في هذا المجال. فن النحو من الفنون اللغوية المحبوبة لدى الباحث، كما أنه من العناصر الأصلية التي تسهّل فهم اللغات بأسرع الأوقات. ولذلك، الدراسة المتعلقة بالنحو صار من قبيل الدراسات التي تورث الرغبة والأشواق في الذهن كما صارت المعاملة معها من أعظم ما تُبعث الفرح والنشاط في مجال البحث والدراسة.

ويجمع بواعث البحث التي أدت الباحث إلى اختيار هذا البحث على ما يلي:-

- رغبة الباحث في إدراك المزايا النحوية المختلفة في آيات القرآن الكريم
- أن سمع الباحث محاضرة تفسيرية للآية الثالثة من سورة التوبة... أن الله بريء من المشركين ورسوله...
- تعرّف الباحث على المبادئ النحوية للغة العربية ونظرياتها وحرص على اطلاع جوانبها الوافرة من الآيات القرآنية، لما أن القرآن هو المصدر الأصلي المعتمد عليه في هذا المجال.
- مطالعة الباحث كتاب " أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي " بشيرة علي فروج العشيبي، وهو كتاب يعالج فيه عدة من العناصر النحوية التي لها أثر بالغ في تأدية المعاني المتنوعة.

أهداف البحث

يهدف الباحث بهذه الأطروحة القيام بالدراسة الشاملة عن الجوانب النحوية القرآنية كما يريد معرفة الملامح النحوية بالنسبة للآيات القرآنية من حيث إنها تورث المعاني الحقيقية. والأهداف الرئيسية المتعلقة بها على ما يلي:-

- إجراء دراسة حول تولد اللغة العربية ونشأة القواعد النحوية فيها
- الوقوف على التأثيرات النحوية في إثارة المعنى، والاطلاع على الميزات النحوية العربية في تأدية المعاني
- دراسة عن المكانة الأدبية والفنية الشامخة للقرآن الكريم في اللغة العربية
- تحليل المبادئ النحوية العربية المتنوعة على أساس الآيات القرآنية المختارة
- إدراك وظائف و تأثيرات النحو العربي وجوانبه المختلفة في استخراج المعاني الحقيقية للآيات القرآنية

مشكلة البحث

- كيف تختلف المبادئ النحوية العربية عن غيرها من اللغات الأجنبية؟
- كيف يؤثر أدنى جزء من الأجزاء النحوية العربية في تحويل معاني الجمل مع إخراج معنى آخر؟
- ما دور المدارس النحوية المختلفة في تشكيل القوانين النحوية و بناء قواعدها؟
- كم تعلق أهمية تعلم النحو القرآني لاستخراج المعاني الحقيقية للآيات القرآنية؟
- هل يشتمل القرآن الكريم كل القوانين النحوية ضمن آياتها الجليلة؟
- كم يمتلك النحو العربي من الدرجات والمراتب في إبراز مظاهر إعجاز القرآن؟
- على أي مقدار لعبت الملامح النحوية القرآنية دورها في استنباط المسائل الاعتقادية والفقهية عبر الآيات القرآنية المتنوعة؟

أهمية البحث

- يساعد هذا البحث للحصول على المعرفة التامة عن قدوم النحو العربي وتاريخ نشأة القواعد النحوية للغة العربية و عن الأوضاع والأسباب التي أدت إليها.
- يمنح هذا البحث للقارئ معومات عن الطرق و الأطوار المتنوعة التي سار بها النحو العربي من أيام ولادتها إلى كمال نضوجها.
- تبحث هذه الدراسة مساهمة العلماء البارزين و دور المدارس النحوية المتفرقة في النحو العربي في تشكيل القواعد والقوانين.
- يساعد البحث للوقوف على العلاقة الوطيدة بين اللغة العربية والآيات القرآنية وبين النحو العربي وعجائب آيات القرآن.
- تعطي الدراسة علما صحيحا عن تولد النحو العربي من المصادر الأصلية كالقرآن والأحاديث النبوية والآثار العربية القديمة.
- يساعد البحث للاطلاع إلى الآيات القرآنية حسب المعايير النحوية بتحليل حادق مع الوجهات المتنوعة من الملامح النحوية.

منهج البحث

اختار الباحث لهذه الدراسة منهجا علميا وتحليليا، وجمع فيها البيانات والدراسات حول اللغة العربية وأدائها وأساليبها البنيوية. جمع الباحث البيانات من المصادر الأصلية وأمهات الكتب في النحو العربي ومن المراجع المعتبرة المنشورة في الصحف والمجلات والكتب وغيرها، كما أنه قام بتحليل المظاهر النحوية الوافرة في القرآن الكريم و شارك في الندوات والمؤتمرات حول الدراسات عن القرآن الكريم خاصة وعن اللغة العربية وأدائها عامة.

يفحص الباحث أهمية العناصر النحوية في إخراج المعاني الحقيقية للآيات القرآنية من حيث إن التداخلات النحوية اليسيرة تحرّف معنى الجمل من واحد إلى آخر، كما أنه يحلل الآيات القرآنية المختارة تحليلا وصفيا علميا فيما يتعلق بالقواعد النحوية المتنوعة. لما أن الباحث يحتاج إلى التحلل الدقيق في البحث عبر الآيات القرآنية الوافرة لا مندوحة له إلا بالالتجاء إلى المنهج الوصفي التحليلي.

وقد اتبع الباحث منهجية متكاملة للبحث ، فهي جمع بين تحليل الخطاب للنصوص ، ومراجعات الصحف الإخبارية ، وبيانات الناشرين ، وبيانات المؤلفين ، والمواقع الإلكترونية. ومع ذلك قد قام الباحث بأخذ العلوم المتنوعة المتعلقة بموضوع البحث عن الأصحاب العباقر في هذا المجال من الأساتذة الكرام في المدارس الدينية ومن أساتذة الجامعة والكليات.

وحاول الباحث استخدام أدوات التحليل الإحصائية التي تناسب طبيعة بيانات البحث والتوصل إلى النتائج التي ترى من وجهة نظره بقوة الاستدلال بالكتب الوافرة وأقوال العلماء الجليلة كما أن الباحث قام بدراسة الموضوع هيبئته الطبيعية التي تناسب إجراء البحث وتسهل عملياته.

الدراسة السابقة

لقد وجد الباحث بعضاً من الدراسات السابقة التي تسلط الأضواء إلى تكملة البحث عن الملامح النحوية في القرآن الكريم كما اطلع على الموارد الدراسية المختلفة في مجال تاريخ النحو العربي وتحليل القواعد النحوية في القرآن، بل لا توجد أية دراسة مختصة تعالج قضية تحليل القواعد النحوية المؤثرة في معاني الآيات القرآنية.

والدراسات السابقة كما يلي:-

- ١- النحو القرآني طريقة منهجية في الربط بين القواعد النحوية وكتاب رب البرية ، إبراهيم سيد البلبيزي ، دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٩
- ٢- ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية وموقعها في القرآن الكريم ،الدكتور فهدى حسين النمر ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٥ م
- ٣- الإعراب التفصيلي لسور القرآن الكريم ، د. سمير محمد كبريت ، دار النهضة العربية – بيروت ، ٢٠١٢ م
- ٤- التطور النحوي للغة العربية ،د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤ م
- ٥- اللباب في علل البناء والاعراب ، أبو البقاء محب الدين عبد الله الحسن، دار الفكر، دمشق، 2009م
- ٦- التأويل اللغوي للقرآن الكريم د. حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، 1426هـ
- ٧- التأويل النحوي في القرآن الكريم، الدكتور عبد الفتاح أحمد الحموز ، مكتبة الرشد، 1980
٨. مشكل إعراب القرآن – مكي بن أبي طالب، مؤسسة الرسالة، بغداد، 1987
٩. الإعراب التفصيلي لسور القرآن الكريم ، دسمير محمد كبريت ، دار النهضة العربية، لبنان، 2010
10. Arabic Grammar for the Holy Quran, Al-Qaem Institute Imam Mahdi Association of Marjaeya .

تبويب البحث

وأما الأطروحة فقد قسمتها إلى مقدمة وخاتمة وأربعة أبواب في الموضوع

فالباب الأول يقوم ببيان عن تاريخ النحو العربي وتطوره على مر الزمان، حيث بين فيه الباحث تولد اللغة العربية و أحوال أقوام العرب قبل الجاهلية وبعدها كما أشار فيه عن الواضع الحقيقي للنحو العربي وأوضاع نشأة النحو العربي وأسبابها. ووضّح فيه الباحث أشهر الأعلام في عالم النحو وأمّهات الكتب التي ألفت هناك كما سلط الأضواء إلى المدارس النحوية العربية المختلفة وإلى الطرق التي سار بها النحو العربي.

والباب الثاني يهتم بالتقدير اللغوي للقرآن الكريم كما يقوم ببيان العلاقة بين اللغة العربية والآيات القرآنية كما بين فيه الباحث الإعجاز اللغوي والنحوي للقرآن الكريم. وقد أوضح فيه دراسات عن التعامل الإعرابي في القرآن و عن الاتجاهات اللغوية الحديثة مع القرآن.

يقوم الباب الثالث بالاطلاع إلى تشكيل المبادئ النحوية وتطبيقها في اللغة العربية حيث يناقش فيه الباحث تولد القواعد النحوية من المصادر الأساسية للغة العربية – القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة، والآثار العربية القديمة – وغيرها.

وفي الباب الرابع الأخير يحلل الباحث الآيات المختارة من السور القرآنية من قبيل السبع الطوال ، والمئون ، والمثاني ، والسور المفصلة كما حاول يضمّن فيه كل السور القرآنية من حيث يناقش العناصر النحوية المختفية فيها.

الشكر والعرفان

أشكر الله المولى جل وعلا على ما وفقني لإتمام هذه الدراسة وإعداد الأطروحة بها، وأتضرع إليه أن يتقبلها مني عملاً صالحاً في خدمة لسان القرآن الكريم، المنزل على حبيبه الأمين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، إن الله هو السميع العليم قريب مجيب الدعاء.

وأقدم الشكر الجزيل للدكتور سيد علوي، مرشدي وأستاذي في البحث والدراسة في هذا الموضوع كما أنه هو العميد السابق لكلية البنات يونتي بمانجيري، ومرشد البحث في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدائها بكلية الفاروق. وقد سائر معي كهاد وميسر في كل الأطوار والخطوات في إجراء هذه الدراسة وكتابة هذه الأطروحة، وما زال ولا يزال يرشدني إلى الطرق القويمة ويحفظني من الأخطاء والزلات، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقه كل التوفيق في مجال خدمة اللغة القرآنية وأن يرزقه دوام الصحة والعافية في الدنيا وتمام الثواب والجزاء في الآخرة.

وأعبر شكري وامتناني للدكتور الأستاذ نوفل علي، الرئيس السابق بقسم اللغة العربية في كلية الفاروق، والأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة كالكوت حالياً، ومرشدي المساعد للبحث، لما أنه كان من عين لي عنوان هذا البحث وموضوعه في بادئ الأمر، وعرض علي جميع ما أحتاج لهذه الدراسة من الوسائل التعليمية والمواد الدراسية وغيرها. كما أنني أشكر لكل من الأساتذة العظمى الذين يبذلون جهودهم في خدمة هذه اللغة الطيبة من قسم اللغة العربية في كلية الفاروق، من بينهم السيد الدكتور يونس سليم رئيس قسم اللغة العربية فيها، ومع ذلك أقوم بإظهار الشكر والجزيل لكل مسؤولي جامعة كالكوت وموظفيها لحسن دعمهم ونصرتهم في إتمام هذه المهمة الكبيرة.

ولا أنسى في سياق تعبير الشكر والامتنان، والديّ المحبوبين - وهما القوة النفسية والروحية لنيل كل الغايات والأهداف ، حفظهما الله ورعاهما بالصحة والعافية وطول العمر- و أذكر جميع أساتذتي الذين قاموا لي هداة مرشدين، لا سيما تلك الأساتذة الذين أخذت العلم عنهم من الكلية الرحمانية العربية بكميري، قريبا من ودكرا بمحافظة كالكوت -حيث كانت معركتي الداراسية الهامة-، كما أذكر أصدقائي، وإخوتي وأخواتي وزوجتي العزيزة وجميع من في أهلي، من بينهم أخي الكبير محمد مصطفى، الذي كان يحرضني على هذا العمل من البداية إلى النهاية ، وصديقي الحميم عبد القادر الرحماني، كلّور، الذي ما زال ولا يزال معي بكل التأييد ، والأخ الفاضل إسحق، الذي كان معي طوال هذه الدراسة، كما أن كلا منهم قاموا بجميع جوانبي بأدعيتهم الخالصة وتعاليمهم العالية و مساعداتهم المتنوعة طوال رحلتي الدراسية. ولا يسعني إلا أن أرجو من الله جل وعلا، الثواب الوافي والجزاء الكافي لكل المذكورين و غير المذكورين من أصحاب الخير والإحسان. والله ولي التوفيق وهو المستعان لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحمد كويا.بي

معلم اللغة العربية في المدرسة الحكومية الثانوية العليا،
كوتيجيرا، كالكوت.

الباب الأول

تاريخ النحو العربي وتطوره عبر الزمان

الفصل الأول	: حال العرب مع لغتهم قبل وضع النحو
الفصل الثاني	: تاريخ وضع النحو وأول من وضعه
الفصل الثالث	: نشأة النحو وأسبابها
الفصل الرابع	: الطرق التي سار بها النحو العربي
الفصل الخامس	: أشهر الأعلام وأمّهات الكتب في النحو
الفصل السادس	: المدارس النحوية

الباب الأول

تاريخ النحو العربي؛ نشأته وتطوره عبر الزمان

الفصل الأول : حال العرب مع لغتهم قبل وضع النحو

تولدت اللغة العربية داخل جزيرة العرب خالصة لأبنائها منذ ولدت ، حيث تخلصت مما يشينها من أكنار اللغات الأخرى، وتداخلت الألسنة غير العربية حتى امتلكوا حرية كاملة في معاملتهم مع اللغة. لبثت كذلك أحقابا مديدة في حال أن كان العرب فيها يغدون ويروحون داخل بلادهم على ما هم عليه من شظف العيش، غير متطلعين إلى نعيم الحياة وزخارفها فيما حولهم من بلاد فارس والروم وغيرها. وقد دفعتهم الحاجة إليها حيناً بعد حين، وتبادل المنافع والمعاطاة حيناً آخر.

و كان اجتماعهم الأدبي والاجتماعي في أسواقهم الكثرية التي تقام بينهم طوال العام غناء وتشرفا في عيشتهم البدوية القانعة، ومن أشهرها سوق عكاظ "بين نخلة والطائف" كانت تقام في اليوم الواحد من شهر شوال، و سوق مجنة الواقع في مر الظهران الذي يعقد من أول ذي القعدة إلى عشرين، و سوق ذو المجاز الذي يقع خلف عرفة و يعقد في كل سنة ويطول إلى أيام الحج .

و لقد كان في هذه الأسواق فوق ما تضمه من مرافق الحياة ومتطلبات المعيشة ومنتديات للأدب. كان العرب يعقدون في هذه الأسواق مختلف المجامع ذات الشأن بحيث يتبارى فيها الخطباء ويتسابق منها الشعراء من القبائل البعيدة والأحياء المتنائية ، يعرضون فيها مفاخراتهم ومنافراتهم ومعازماتهم، ويظهرون ما يتفاخرون به ويقومون بكل ما يبدو لهم في جيد الخطب وبيدع الشعر.

عاد ذلك كله على اللغة العربية بتثبيت دعائمها وأعمدتها وتشديد رسوخها وجودة أصليتها حتى بقيت كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الإعجام، إلى أن قدم نور الإسلام على ميادين

الجزيرة العربية بالفتوحات الإسلامية المتنوعة ودخل الناس في دين الله أفواجا. تصير العهد الإسلامي من العهود الذهبية للغة العربية النقية الخالصة لما أن جميع العرب وغير العرب لا يزالون يقتدون ويهتدون باللسان العربي القرآني وبأقوال الرسول الأمين (صلى الله عليه وسلم) في ممارستهم اللغة العربية واستخدامها وتبادلها. ولم تصب اللغة العربية كثيرا مذكورا من المشوبات والأكدار لما أن سائر الأقوام يتبعون اللهجة القرآنية والأحاديث النبوية .

ثم تتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، فوصلت في عهد سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- شرقا إلى نهري السند وجيخون، وغربا إلى الشام ومصر، فكان من الطبيعي هبوط العرب من سائر البلاد المفتوحة وغير المفتوحة المختلفة مع عشائهم وعمائرهم إلى هذه الأمصار التي افتتحوها ودخلت تحت حوزتهم وإدارتهم، وما أن طال الأمد في الخلافة حتى كثر تملكهم بحكم الفتح للموالي في البلاد المفتوحة عنوة، وتوسعت البقعات والميادين الإدارية .

وليس من البعيد أن تقاطر الوافدين من هذه الأمصار المفتوحة إلى الجزيرة العربية، إذ فيها المدينة المنورة حاضرة الإسلام، ومقر الخلفاء الراشدين وعلية الدولة. وفيها مكة المكرمة، وبها الكعبة المشرفة التي يلتجأ إليها المسلمون .

و قد توالى الفتوحات تترى في عهد بني أمية حتى بلغت ووصلت إلى الأراضي الهندية ومواقع الصين وشمال سيربيا شرقا، وما وراء جبال البرانس بالأندلس غربا، وميادين السودان وجزائر البحر الأبيض المتوسط جنوبا، حتى ازدهرت البهجات الدين الإسلامية في تلك البلاد واغتابت من بينهم الفوارق الجنسية واختلافات اللونية، توحدوا على الرسالة الإسلامية الحميدة الواحدة، واعتزوا بكتابتهم القرآن وافتخروا بلغتهم العربية . و إن كانت العرب في معرفة وراثية عن اللغة العربية الخالصة، تسببت الاختلاطات والعلاقات من بين هذه البلاد لامتزاج لغتهم العربية

مع اللغات الأخرى الوافرة حيث تأثرت هذه الامتزاجات اللغوية في ألسنة العرب بأنفسهم حتى اختشوا تضيع العربية الصافية من أقوام العرب ولا يتميز بين الأصل الحقيقي والفرع التابعى .

و هذا الذي يوضحه الإمام على الطنطاوي في كتاب "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة" وكان أثرا لهذه الفتوحات أن اختلط العرب بغيرهم اختلاطا مستمرا في البيوت والأسواق، والمناسك والمساجد، وتصاهروا واندمجوا في بعضهم حتى تكون منهم شعب واحد اجتمع فيه الصريح والهجين، والمقرف والعبد، اقتضى كل أولئك أن يستمع بعضهم من بعض وأن يتفاهموا في كل ما يتصل بهم ولغة التخاطب الوحيدة بينهم في كل ما يحيط بهم هي العربية، فكان لزاما على غير العربي أن تكون لغته العربية مهما عالج في ذلك وعانى، كما كان لزاما على العربي أن يترقق بغير العربي ويتربث معه في التخاطب، ضرورة التعاون بين الطرفين فكل منهما يسمع من الآخر، والسمع سبيل الملكات اللسانية فما اللغة إلا وليدة المحاكاة وما يصل إلى السمع .

و بطول هذا الامتزاج تسرب الضعف إلى نحيزة العربي وسليقته، على أن غير العربي كان ينزع قسرا عنه إلى بني جلدته، وإن طال لبثه بين ظهرائي العرب، فقد كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم صهيب يرتضخ الرومية، وسلمان الفارسية، وبلال الحبشية. وتولد من هذا كله أن اللغة العربية تسرب إليها اللحن، ووهنت الملاحظة الدقيقة التي تمتاز بها وهي اختلاف المعاني طوعا لاختلاف شكل آخر الكلمة، فإن هذه الميزة كانت موفورة لديهم وهم يعبدون عن مخالطة سواهم من ذوي اللغات الأخرى التي خلت منها. ولقد كان هذا النوع أول اختلال طرأ على اللغة العربية، منذ كان الإسلام، وكان الموالي والمتعربون، وطفق يزداد رويدا رويدا ما طال الزمن وتفسحت رقعة الإسلام³⁰

³⁰ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف القاهرة 1191ص5-7

و فيما يتعلق ما نفهم من التواريخ اللغوية، كان وضع النحو في عصر صدر الإسلام. ولم يكن هناك قبل الإسلام ما يحمل العرب من الأوضاع والأحوال المطلوبة على النظر إليه ، فإنهم كانوا في جاهليتهم من يستغنون عن تعرفه ، لأنهم كانوا يتكلمون عن السليقة التي جبلوا عليها ، فيتحدثون في جميع خصالهم بدون تكلف إلى التراكيب النحوية ، ولا عناية إلى قانون كلامي يخضعون له ، وإنما القوانين والقواعد كانت ملكتهم وموهبتهم التي خلقت فيهم ، ومعلمهم تلك البيئة التي أحاطت بهم. ولكن تحول جميع الأوضاع بعد العهد الإسلامي لما أنهم اختلطوا بالبلاد الفرسية والنبطية وغيرهم ، فحل بلغتهم ما سقط عليها وعلى الدين من الأخطاء والألحان ، وقاموا بالنقاش الجاد لوضع النحو والقوانين الرسمية لها . وهذا هو التحقيق الذي اعتمد عليه الجمهور ، ولكن قد زعم بعض من العلماء المؤرخين والنحاة بأن العرب كانوا يتأملون مواقع الكلام ، وأن كلامهم ليس استرسالاً ولا ترجيماً ، بل كان كل ما يتحدثون ويتكلمون عن خبرة تامة بسائر القوانين اللغوية العربية ، فهم الذين يدعون بأن النحو قديم فيهم ، انهدمت بمر الليالي والأيام و جدده الإسلام على يد أبي الأسود الدؤلى بإرشاد من الإمام علي كرم الله وجهه .

من العلماء الذين يقومون خلف هذا الرأي الإمام أحمد بن فارس، حيث يلقي رأيه في أوائل كتابه "الصاحبي". ولا شك في أن هذا الرأي ليس بصحيح وفق الأدلة التاريخية الحقيقية وأنه تنشأ من الخيال والوهم من لدن بعض من المؤرخين. نعم لا نقدر تحديد زمن خاص لوضع النحو العربي في الفترة الإسلامية ولا تعيين الواضع الحقيقي لنحو العربية. وقد كان وضعه ونشأته الرسمية في العراق ، لأن العراق بلد على حدود البادية ، وبلد يتلقى العرب مع غيرهم من هناك حسب ورود الوفود المتتابعة، يستوطن الجميع لقيادة الحياة الطيبة فيها كما أن القرى العراقية كانت من تلك البلاد التي طلبت أوضاعها الحالية إلى تشكيل القوانين اللغة العربية واستعمالها .

و قد كان الصحابة عالمين بالتعاليم النحوية في القرآن. وقد ورد ما يؤيد هذا ما صرح به الإمام ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء: "وروي أن أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله عنه لما قرأ: (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أنكر عليه ابن عباس. (فقال علي: هذا من الترخيم في النداء فقال ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم النداء؟ فقال علي: صدقت. فهذا مما يدل على تحقق الصحابة ومعرفتهم عن الجوانب النحوية، وعلمهم به³¹.

وقد يبين الإمام ابن خلدون تلك الأوضاع القديمة التي كانت في العرب قبل الإسلام وبعده كما أنه يقوم ببيان موجز عن اللبنة الأولى في تنشأ النحو العربي حيث يقول "فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعرّبين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل "أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع"، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً، وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، اصطلاحوا على تسميتها بعلم النحو"³²

الفصل الثاني: نشأة النحو وأسبابها

والنحو العربي نشأت من الجو العربي لما أن الأسباب الهامة التي تسببت لقدم هذا العلم الجليل تولدت من الأراضي العربية. وزعم بعض المستشرقين إن علم النحو منقول من لغة اليونان

³¹ معجم الأدباء 1\1

³² مقدمة ابن خلدون ص253

لأن وضعه كان في العراق و إنما كان ذلك بعد اختلاط العرب للسريان وتعلمهم ثقافتهم، لما أن للسريان نحو قديم حسب التراكيب اللغوية وأن ذاك النحو من تلك العلوم التي ورثوها عن اليونان. وليس لهذا الزعم ربط بالحقيقة لما أن من المعلوم بأن الدافع الذي مهد لنشأة الدراسات النحوية هو الخوف على نصوص القرآن الكريم المقدسة من التحريف قراءة وإملاء من جراء توسع رقعة الدولة الإسلامية من بلد إلى بلاد أخرى ودخول غير العرب من الأقوام الوافرة إلى الدين الجديد، وإن كان النحو قدم من اختلاط بالسريان ما كان للعرب أن ينتظر إلى تكوّن تلك الأوضاع التي أدت إلى تولد النحو .

و قد تناولت عدة من العلماء النحاة والمؤرخين شأن قدوم النحو كأمر مهم وأظهروا آراءهم في هذا، ويعتبر ما ذكره محمد بن سلام الجعفي المتوفي سنة ١٣١ هـ، في كتابه "طبقات فحول الشعراء" من أقدم نص يتناول هذه الحقيقة التاريخية إذ ذكر "أنه كان لأهل البصرة في العربية قدما ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية ، وكان أول من استن العربية وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها أبو الأسود الدولي ... وكان رجل أهل البصرة ، وكان علوي الرأي. وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراة الناس يلحنون ووجوه الناس ، فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاد وحروف الجر والرفع والنصب والجزم"³³

نشأ النحو في العراق صدر الإسلام لأسباب مذكورة نشأة عربية على مقتضى الفطرة، ثم تدرج فيه التطورات والترقيات ، حتى كملت أبوابه، غير مقتبس من لغة أخرى لا في نشأته ولا في تدرجه. وكانت لتلك النشأة صلاحية خالصة لها في التولد والبنية. وقد اختلف العلماء في أول ما وضع منه على آراء ، ومنهم من يقولون بأن أول ما وضع من أبوابه هو ما وقع اللحن فيه، - من الجوانب التي يقع فيها اللحن الشاسع من استعمال العوام والخواص من العرب و غير العرب و استمر الوضع فيما بعده على هذا النمط في سائر الجوانب، وهذا القول ما ذهب إليه جمهور

³³ طبقات فحول الشعراء ص 145

النحاة والمؤرخين اعتدادا بالروايات المستفيضة التي دلت على هذا والتي اقترن فيها الوضع باللحن .

ومن النحاة من يقول بأن أول ما وضع من النحو العربي ما كان أقرب إلى متناول الفكر وأيسر في استنباط الأحكام والقواعد، و ذلك كما يقولون لأن وضعه مبني على أساس من التفكير في استخراج القواعد من الكلام لداعي انتشار اللحن، فالموضوع أولاً ما كثر دورانه على اللسان ثم ما يليه وهكذا، وبهذا الفكر والاعتبار يرى أن الموضوع الأول هو الفاعل ثم المفعول وبعده المبتدأ والخبر وإلى غير ذلك، وكلما تقدم وما تأخر فيه هو ما أطبق عليه علماؤنا خلفا بعد سلف، وليس هناك شيء للتراز والجدال .

يقول الشيخ محمد الطنطاوي محكياً قول العالم المؤرخ ليطان " اختلف الأورباويون في أصل هذا العلم، فمنهم من قال إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب. وقال آخرون ليس كذلك، وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الذي روى في كتب العرب من زمن ،. ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا وهو أنه أبداع العرب علم النحو في الابتداء ، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه ، لكن لما تعلم العرب ، الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضا شيئا من النحو .³⁴

أسباب النشأة

قد عرفت تلك الاختلافات الشائعة بين العلماء في تعيين السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه العربية فكان لا يخرج شيئا مما أخذه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أحد حتى بعث إليه زيادُ: اعمل شيئا تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (أن الله بريء من المشركين ورسوله)، فقال: ما ظننتُ أن أمر الناس

³⁴ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ص-22

صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبلغني كاتباً لِقنناً يفعل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتى بأخر قال أبو العباس أحسبه منهم. فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت في الحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضمنت في فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. فهذا نقط أبي الأسود.³⁵

وفي قول أبي المحاسن التنوخي (ت 446 هـ) بحيث إنه يقول هذه الحادثة نفسها برواية أخرى بقوله "وقال أبو عبيدة: كان لا يخرج يعني أبو الأسود شيئاً مما أخذه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان من أصحابه، ثم انتقل رأي زياد في أمير المؤمنين، ولم ينتقل رأي أبي الأسود، وبقي ما بينه وبين زياد على حاله. فلما ولي زياد العراق بعث إليه، يقول له 'اعمل شيئاً تكون فيه إماماً، تعرب به كتاب الله تعالى، وينتفع الناس به'. فاستعفاه من ذلك، حتى سمع قارئاً يقرأ.. - إلى آخر الواقعة.³⁶

ونرى في كتاب نشأة النحو للشيخ الطنطاوي أن سبب وضع علي عليه السلام لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم، فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه. ثم ألقى إلي الرقعة وفيها مكتوب الكلام اسم وفعل وحرف.. الخ. وروي أن سبب وضع علي عليه السلام لهذا العلم أنه سمع أعرابياً يقرأ لا يأكله إلا "الخاطئين" فوضع النحو.³⁷

وهناك رواية أخرى تلحق فيها قصة قراءة أعرابي سورة البراءة إلى ثاني الخلفاء الراشدين عمر رضي الله عنه وهي أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

³⁵ أخبار النحويين (المقدمة) 1

³⁶ تاريخ العلماء النحويين - 16، 15

³⁷ نزهة الألباء في طبقات الأدباء - 17

فقال من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل سورة براءة ، فقال أن الله بريء من المشركين ورسوله بالجر ، فقال الأعرابي أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله تعالى بريء من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه ، فقال : يا أعرابي ، أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة ، فقال إن الله بريء من المشركين ورسوله ، فقلت : أو قد برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكن الله تعالى بريء من رسوله فأنا أبرأ عنه ، فقال عمر رضي الله عنه : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال : إن الله بريء من المشركين ورسوله ، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ من برئ الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضي ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو.³⁸

وروى محمد بن عمران بن زياد الضبي قال حدثني أبو خالد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلى عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية فأبى، قال فأتاه قوم فقال أحدهم: أصلحك الله مات أبانا وترك بنوه، فقال علي لأبي الأسود ضع العربية، وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم قال: أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة فقال: إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يعرفون أو يقيمون به كلامهم، قال: لا، قال فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنونا، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنونا؟ ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم.³⁹

ويقال إن ابنته قالت له يوماً: يا أبت ما أحسن السماء؟، قال: أي بنية نجومها، قالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن إنما تعجبت من حسنها، قال: إذا فتقولني ما أحسن السماء، فحينئذ

³⁸ المرجع السابق 24

³⁹ المرجع السابق 25

وضع كتاباً ويقال إن ابنته قالت له: يا أبت ما أشد الحر؟، في يوم شديد الحر، فقال لها: إذا كانت الصقعاء، من فوقك والرمضاء من تحتك، قالت: إنما أردت أن الحر شديد، قال: فقولي إذاً ما أشد الحر، والصقعاء الشمس⁴⁰.

ويروى أن أبا الأسود لقي ابن صديق له فقال له: ما فعل أبوك، قال: أخذته الحمى ففضخته فضخاً وطبخته طبخاً ورضخته رضخاً فتركته فرخاً، قال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التي كانت تزاره وتماره وتشاره وتضاره، قال: طلقها وتزوج غيرها فحظيت عنده ورضيت وبظيت، قال أبو الأسود: فما معنى بظيت؟ قال: حرف من اللغة لم تدر من أي بيض خرج ولا في أي عش درج، قال: يا ابن أخي لا خير لك فيما لم أدر .

أما الإمام المبرد فيذكر أن السبب الذي قاد إلى إنشاء أبواب النحو هو حادثة الإمام أبو الأسود الدؤلي مع ابنته. ويقول هذا أبو الفرج الإصهاني في كتابه الأغاني . أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي بذلك، عن أبي عثمان المازني، عن أبي عمر الجرمي، عن أبي الحسن الأخفش، عن سيبويه، عن الخليل بن أحمد، عن عيسى بن عمر، عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن، عن يحيى بن يعمر الليثي، أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة، فقالت له: "يا أبت ما أشد الحر" رفعت أشد، فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد؟ فقال: لها شهر ناجر، يريد شهر صفر. الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء، فقالت: يا أبت إنما أخبرتك، ولم أسألك، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تناول عليها زمان أن تضمحل، فقال له: وما ذلك فأخبره خبر ابنته، فأمره، فاشترى صحفا بدرهم، وأمل عليه: الكلام كله لا يخرج

عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، (وهذا القول أول كتاب سيبويه) ثم رسم أصول النحو، كلها فنقلها النحويون وفرّعوها⁴¹.

ونقل السيد صدر الدين رواية أخرى وهي " ما ذكره رشيد الدين أن السبب في ذلك أن أبا الأسود كان يمشي خلف جنازة - فقال له رجل : من المتوفي ؟ فقال "الله" و أخبر ذلك عليا عليه السلام فأسس ذلك ودفعه إلى أبي الأسود في رقعة وقال : ما أحسن هذا النحو ، أحش له بالمسائل فسمي نحوا⁴²

وقال أبو سعيد رضي الله عنه " ويقال إن السبب في ذلك أيضا أنه مر بأبي الأسود سعداً وكان رجلاً فارساً من أهل زندخان ، كان قدم البصرة مع جماعة أهله فدنا من قدامة بن مظعون ، وادعوا أنهم أسلموا على يديه ، وأنهم بذلك من مواليه . فمر سعد هذا بأبي الأسود ، وهو يقود فرسه ، فقال 'ما لك يا سعد لم تتركب' قال : 'إن فرسي ضالع'. أراد ضالعا قال فضحك به بعض من حضره فقال أبو الأسود : هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو عملنا لهم الكلام فوضع باب الفاعل والمفعول⁴³"

وروى يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : أول من وضع العربية أبو الأسود الديلي ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال : إنى أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاما يعرفون - أو يقيمون - به كلامهم ؟ قال : لا ، قال : فجاء رجل إلى زياد ، فقال : أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك بنونا . فقال زياد : توفي أبانا وترك بنونا ! أدع لي أبا الأسود ، فقال : ضع للناس الذى نهيتك أن تضع لهم⁴⁴ ورووا أيضا أن أحد ولادة عمر - رضى الله عنه - كتب إليه كتاباً لحن فيه ، فكتب إليه عمر : أن قنّع كاتبك سوطاً⁴⁵ وورد في عيون الأخبار "

⁴¹ كتاب الأغاني 1\136

⁴² الشيعة وفنون الإسلام 157

⁴³ الفهرست 59

⁴⁴ كتاب أخبار النحويين البصريين ص 14

⁴⁵ كتاب نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة-16

دخل رجل على زياد ، فقال له : إن أبينا هَلَكَ ، وإن أخينا غَصَبَ ميراثنا من أبانا ، فقال زياد : ما ضَيَّعْتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك"⁴⁶، وورد في العقد الفريد : " وكان عمر بن عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد لِحَاناً ، فقال : يا غلام أدُعُ لي صالح ، فقال الغلام : يا صالحاً ، قال له الوليد : انقص أَلِفاً ، فقال عمر : وأنت فزد أَلِفاً " ⁴⁷

وورد في العقد الفريد أيضاً: " وقال رجل للحسن: يا أبو سعيد ، فقال: أحسب أن الدوانق شغلتك عن أن تقول يا أبا سعيد " ، وورد فيه أيضاً " ودخل على الوليد بن عبد الملك رجل من أشرف قريش ، فقال له الوليد : من خَتَنَكَ ؟ قال له : فلان اليهودى ، فقال : ما تقول ؟ ويحك ! قال : لعلك إنما تسأل عن ختنى يا أمير المؤمنين ، هو فلان بن فلان"⁴⁸ ، ويتبين من هذه الرواية أن الذى وقع فى اللحن هو الوليد بن عبد الملك، لما أنه قال من خَتَنَكَ ، و كان الصواب أن يقول من خَتَنُكَ بوضع الضم على النون. ولذلك ظن الرجل المسئول أن الوليد يسأله عن قام بعملية الختان له ، فأجاب على ما فهمه-. وهذه الروايات ، وغيرها مما اشتملت عليه كتب القدماء التى عنيت برصد مظاهر اللحن – لا تربط مباشرة نشأة النحو باللحن .

ومما أجمع العلماء الذين ناقشوا وتدارسوا في موضوع نشأة علوم العربية عامة ونشأة العلوم النحوية خاصة على أن القرآن الكريم هو الدافع الرئيسي والسبب الأصلي لوضع علم النحو والإعراب من بين العلوم العربية. وذلك بانتشار اللحن وتفشي الأخطاء التى تداخلت فى ألسنة القارئین باختلاطهم بكل من يمارس اللغة من غير اعتناء إلى الجوانب اللغوية الصحيحة . وبهذا النظر كان القرآن الكريم هو الباعث الحقيقى لتدوين اللغة العربية على هذا من حيث تشكيل القواعد النحوية وقوانينها كما أن علم العربية شأنه شأن كل العلوم فى أنه تتطلبه الحوادث

⁴⁶ كتاب من تاريخ النحو العربي ج-1، ص-11

⁴⁷ العقد الفريد ص 309

⁴⁸ المرجع السابق 309

والحاجات لبناء العناصر الجديدة حسب الأزمنة المختلفة. وفي الحقيقة إن رغبة غير العرب من المسلمين في تبادل اللغة وجوانبها المتفرقة قد أنشأ أحوالا جديدة في واقع اللغة ، ما كان العرب يعهدونها من قبل ، كما نفهم ذلك عبر الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع .

ولقد ثبت من أحد الأحاديث أن اللحن اللغوي قد بدأ أن تسرب إلى بعض الأناس حتى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول ذلك الإمام الحاكم في كتابه المستدرک بقوله "حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ ، أنبأ محمد بن الحسن العسقلاني ، حدثنا أبو عمير عيسى بن محمد ، حدثنا ضمرة ، عن سعد بن عبد الله بن سعد ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا قرأ فلحن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أرشدوا أخاكم " صحيح الإسناد ولم يخرجاه ⁴⁹

ولقد تحدث ابن خلدون (٨٠٨ هـ في مقدمته) عن تلك الأوضاع التي أدت إلى وضع القواعد للغة العربية حيث يقول : " لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب ، واستنبطت القوانين لحفظها ... فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ، ميلا مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس ، وما ينشأ عن الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللغة واللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام " ⁵⁰

ويفهم من ذلك كله أن السبب الذي أدى إلى وضع النحو ما كان تلك الأخطاء الإعرابية التي وقعت من ألسنة بعض الناس كما يقولها بعض من العلماء ، بل كان السبب يصل إلى تلك الأخطاء

⁴⁹ المستدرک 2\477

⁵⁰ مقدمة ابن خلدون 353

الواقعة في مفردات كلامهم أيضا، والعلة الرئيسية لتكوّن هذه الألقان بأسرها هي الاختلاط والامتزاج غير العرب الخالص مع أقوام العرب المحضّة.

الفصل الثالث: وضع النحو وأوّل واضعه

لم وضع النحو العربي؟ هل كان للاحتراز من الأخطاء اللغوية فقط؟ أم هل هناك أسباب أخرى أدت إلى وضع علم النحو؟ وفي مسير بحث الأجوبة لهذه الأسئلة الهامة نصل إلى حقيقة تاريخية علمية بأن النحو العربي -كما سلف- وُضع لثلاثة أسباب رئيسة، منها: الدينية وهي التي تتصل بحفاظ الآيات القرآنية من ملامسة الأخطاء، ومنها: القومية، وذلك للحفاظ على اللغة العربية السليمة النقية بوصفها هوية العربي حيث يتخلص من جميع ما يكدرها، ومنها: الاجتماعية، وهي نشر اللغة العربية وترويجها في أنحاء العالم وتيسير تعلمها وتعليمها بين الأقوام من العرب وغيرهم، لاسيما في مرحلة ما بعد الفتوحات وتداخل الإسلام في الدول العالمية.

والنحو ينمو ويتنشأ مع لغة الإنسان، لا بد كل من يمارسه إلا بالاطلاع عليه حيث يتعلمه من يعيش بين أفرادها، بطبيعة نقية، قبل أن يتعلم قواعده المدونة وقوانينه المضبطة، ولهذا يذهب العلماء إلى أن هذا العلم لم يبدأ التفكير به إلا بعد تسرب اللحن إلى ألسنة الناس، وما كان من البعيد أن يتواءم الاهتمام بتدوين قواعده والدين الإسلامي الجديد الذي لم يكن خاصاً بالعرب وحدهم، كما أن معاني الدين الإسلامي العالية قد أخت بين المسلمين من جميع الأجناس حيث إنهم جعلت الاختلاط بين العرب سهلة ميسورة وبذلك تسرب ما تسرب من أجنب الكلام إلى اللغة.

وليس أحد يشك في سبب وضع النحو، أعني قواعد النحو المكتوبة، كما لا يشك في الحقبة التي دونت فيها تلك القواعد، وهي القرن الأول للهجرة، بلا جدال ولا تحرج أو تردد، ولا نسلم بما ذهب إليه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "أما تاريخ وضع النحو فلا سبيل إلى تحقيقه البتة" واستناداً إلى هذه المقولة ذهب إبراهيم مصطفى إلى "إن معرفة واضع النحو في العربية يكاد

يكون معضلة. وكان ما كان من أمر النشأة" . وقد اتفق العلماء على أقوال ومراجع يعتمد عليها في اللغة لتكون مرجعا للاحتجاج مثل أشعار العرب الجاهليين وهم الذين يسمونهم أصحاب الطبقة الأولى والمخضرمين ويطلق عليهم أصحاب الطبقة الثانية والإسلاميون فالأكثر على الاستدلال بهم ويطلق عليهم أصحاب الطبقة الثالثة وأما المولدون والمحدثون كبشار وأبي نواس، وهم أصحاب الطبقة الرابعة فقد أخذ الأكثرون بعدم الاعتداد بأشعارهم⁵¹. ثم أتى النحاة فاطلعوا على ما انتهى إليهم من كلام العرب. وقد كان عليهم أن يأخذوا بتأمله وتدبره، ويعمدوا على تقسيمه وتصنيفه، ويمضوا في تتبعه واستقرائه ذلك ليستشفوا النظم التي صيغت بها اللغة المحكية ويكشفوا عن سنن ما جرت به ألسنة العرب على السليقة وطاعت به قرائحهم على السجبة، وهكذا عكف النحاة على اللغة ينعمون فيها النظر، يسبرون غورها ويعجمون عودها فاستبطنوا دخالها واستجلوا غوامضها، أحصوا مسائلها واستقروا دقائقها. فما جرى من كلام العرب على سنن استنبطوا حكمه وحملوا غير المنقول على المنقول منه وجعلوه قياساً لنظائره. ومضوا يعللون هذا القياس ويسببونه. فإذا سُمع شيء ياباه قياسهم هذا اتسعوا له، وأخذوا به إذا اشتهر وشاع. فإذا ندر أغفلوه وأوجبوا فيه القياس، حملاً له على أمثاله، وتأصيلاً لما استنوه من حدود وقوانين، وقد عقب البغدادي فيما حكاه المزهري (37/1) على هذا فقال: اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه. وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه⁵²

أول من وضع النحو

لما أن هناك كثير من الأحداث المتنوعة تذكر حول تولد النحو العربي قد اختلف المؤرخون و المحققون في أول من وضع النحو على أقوال كثيرة فمنهم من قال علي ابن أبي طالب رضي الله

⁵¹ دراسات في النحو صلاح الدين الزعبلوي ص2

⁵² المرجع السابق ص3

عنه، ومنهم من قال أبو الأسود الدؤلي ومنهم من قال عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومنهم من قال نصر بن عاصم، ، ومنهم من قال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. رضي الله عنهم. وكلامهم طويل في ذلك. وكثير من الروايات في ذلك لا تصح، وأقوى الأقوال عند العلماء أن الذي وضع علم النحو أبو الأسود الدؤلي وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. قال المقري في كتابه "أخبار النحويين" " اختلف الناس في أول من رسم النحو فقال قائلون أبو الأسود الدؤلي وقال آخرون نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثي وقال آخرون عبد الرحمن بن هرمز وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي"⁵³

ويُروى أن واضع النحو هو الإمام علي نفسه، وأن أبا الأسود أخذه عنه، ولا يتعاضم الإمام أن يضع النحو لو أَرادَه، فعبقريته لا خلاف عليها؛ لكن الأعباء التي كان يضطلع بها أثقل من أن تتيح له التفكير في ذلك، إذ كان - كرم الله وجهه - موزع الجهد والفكر لتثبيت دعائم الدولة، وإقامة أحكام الدين، وتدبير شؤون الرعيّة، وإحباط المكاييد. يقول ذلك الوزير جمال الدين أبو الحسن في كتابه "إنباه الرواة على أنباه النحاة"⁵⁴. وقد قال الشيخ محمد الطنطاوي رأياً يشبه برأي الوزير جمال الدين بأن علياً رضي الله عنه، على الرغم أنه كان متبحراً في العلوم اللغوية شغلته الشؤون الإدارية والمتطلبات الاجتماعية لا يوجد له فتحة كافية لأن ينهمك بأعمال وضع النحو والقيام بتحليل القواعد وغيرها. ولكن لا يأبى أحد على أبي الأسود أنه كان لعلي كرم الله وجهه اليد الطولى على أبي الأسود الدؤلي في الإرشاد له والإشراف عليه، وتقريره لما صح في استنتاجه، فلإمام فضل الهداية إلى الأساس .

وقد حكى السيوطي في المزهري: "وأبو الأسود الدؤلي أول من نقط المصحف"⁵⁵. وقال أبو حاتم وأما فيما روينا عن الخليل فإنه ذكر أن أربع أصحاب أبي الأسود عنبسة الفيل، وأن ميموناً الأقرن أخذ عنه " وأردف: " ثم توفي وليس في أصحابه أحد مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

⁵³ أخبار النحويين للمقري ص2

⁵⁴ إنباه الرواة على أنباه النحاة ص 39

⁵⁵ المزهري (39/1)

وكان يقال "عبد الله أعلم أهل البصرة وأنقلهم، ففرع النحو وقاسه وتكلم في الهمز حتى عمل كتاباً مما أملاه. وكان رئيس الناس وواحدتهم"⁵⁶. وهكذا كان الحضرمي أقدم من انتهج القياس وارتاح إليه وأخذ بالأكثر والأغلب. ففي طبقات الزبيدي "قال ابن سلام: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كان أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل"⁵⁷ ونحو ذلك جاء في نزهة الألباء لأبي البركات كمال الدين بن الأنباري، إذ قال: "إنه أول من علل النحو".

أما أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو (69هـ) كان يعمل كالاقتداء إلى ما اتخذ رمزاً للشكل في الرفع والنصب والجر صوتاً للسان من اللحن. وليس هذا بالأمر اليسير الذي يُستهان بجدواه فيما عاد منه على اللغة من جزيل الفائدة وموفور العائدة فقد كان الشكل أرفق على العربية نفعاً وأرجى عاقبة من أي شيء آخر. وقد اتفق الأستاذ أحمد أمين رحمه الله، حين أشار في كتابه "ضحى الإسلام" إلى ذلك، وأيده فيه الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه "أصول النحو" حين قال: "والشكل أعود على حفظ النصوص من حدود النحو: ولعله أعظم خدمة قدمت للعربية حتى الآن"⁵⁸

أقوال عن علي كرم الله وجهه

ولا شك أن هناك بعض الروايات التي تؤكد على أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الواضع لعلم النحو، وأول ما تواجهنا في هذا الجانب ما ذكره صاحب كتاب الشيعة وفنون الإسلام ما قوله "قال أخبرني الشيخ أبو عبد الله - أدام الله عزه - عن محمد بن سلام الجمحي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرمى إليه رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله ثلاثة أشياء، اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم ما أنبأ عن المسعى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسعى، والحرف ما أوجد معنى في غيره، فقال أبو الأسود يا أمير المؤمنين هذا كلام حسن فما تأمرني أن أصنع به فإنني زدت بإيقافي عليه، فقال أمير المؤمنين عليه

⁵⁶ تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري 25

⁵⁷ آمالي الزجاجي 238-239

⁵⁸ دراسات في النحو صلاح الدين الزعلوي ص4

السلام : إني سمعت في بلدكم هذا لحننا كثيرا فاحشا فأحبت أن أرسم كتابة من نظر فيه ميز بين كلام العرب وكلام هؤلاء ، فابن عليه ذلك . فقال أبو الأسود وفقنا الله بك يا أمير المؤمنين للصواب ، انتهى .⁵⁹

ومنها رواية أبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) وهي من ملحقات الأمالي إذ يقول فيها " حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري قال : حدثنا أبو حاتم السجستاني عن الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيتَه مطرقا مفكرا . فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني سمعت ببلدكم لحننا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية . فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة . ثم أتيتَه بعد ثلاث فألقى إلى صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . الكلام : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال : تتبعه وزد فيه ما وقع لك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر . قال أبو الأسود : فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها : (إن وأن وليت ولعل وكان) ولم أذكر (لكن) فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت : لم احسبها منها ، فقال : بل هي منها ، فزدها فيها⁶⁰

والرواية الثانية ذكرها أبو البركات الانباري (ت ٥٧٧ هـ) في كتابه "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" في صدر كتابه الذي جعله في أول من وضع علم العربية " اعلم أيديك الله تعالى بالتوفيق ، وأرشدك إلى سواء الطريق ، أن أول من وضع علم العربية ، وأسس قواعده ، وحد حدوده ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدولي وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم ، ما روى أبو الأسود ، قال : دخلت على أمير المؤمنين

⁵⁹ الشيعة وفنون الإسلام 157-158

⁶⁰ أمالي الزجاجي 238-239

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فوجدت في يده رقعة ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال :
 إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني الأعاجم . فأردت أن أضع
 لهم شيئاً يرجعون إليه ، ويعتمدون عليه ؛ ثم ألقى إليّ الرقعة ، وفيها مكتوب : الكلام كله اسم ،
 وفعل ، وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبئ به والحرف ما جاء لمعنى . وقال لي :
 انح هذا النحو ، وأضف إليه ما وقع إليك واعلم يا أبا الأسود إن الأسماء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ،
 واسم لا ظاهر ولا مضمر ؛ وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر " وأراد
 بذلك الاسم المهم .⁶¹

ويروي ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار رواية وهي ، أن قال أعرابياً سمع إمامه في الصلاة
 يقرأ " ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا " لفظ كلمة تنكحوا هكذا ' تنكحوا ' اي بالفتحة على التاء
 ، فقال الأعرابي بسليقته وفهمه " سبحان الله هذا قبل الاسلام فكيف بعد الاسلام؟ " فصححو له
 القراءة وقالوا : ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، اي لا تزوجوهم حتى يؤمنوا⁶² وهكذا نجد الآيات
 الكريمة بالمتواتر تقرأ ثم تصلح ، فدفع ذلك اللغويين والنحويين الى العمل ليضعوا قواعد تحمي
 السننهم من الخطأ في كتاب الله .

ويروي القفطي (ت 646 هـ) في كتابه " إنباه الرواة على أنباء النحاة " رواية مضمونها قريب
 من رواية الأنباري مع بعض التغيير ؛ إذ قال في أول كتابه " ذكر أول من وضع النحو وما قاله الرواة
 في ذلك " ابتدأها بقوله : " الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي
 بن أبي طالب كرم الله وجهه " ⁶³ ويأتي لذلك بدليل قصة أبي الأسود الدؤلي رضي الله عنه المذكورة
 أعلاه .

⁶¹ نزهة الألباء في طبقات الأدباء 14، 15

⁶² عيون الاخبار 1\125

⁶³ أخبار النحويين (المقدمة) 1

وقد ثبت من الروايات العديدة أن أبا الأسود الدؤلي كان أخذ النحو عن علي رضي الله عنه مثل ما يروي ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت-209هـ) ومنها رواية ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) في كتابه "المعارف" حين ترجم لأبي الأسود الدؤلي فيقول: "أبو الأسود الدؤلي يعد في النحويين لأنه أول من عمل كتابا في النحو بعد علي بن أبي طالب عليه السلام"⁶⁴. وتلمح هذه الرواية إلى أن الإمام علي كرم الله وجهه كان قد سبق أبا الأسود في كتابة النحو .

ويقول الشيخ علي الطنطاوي ردا على الذين ينسبون أولية وضع النحو إلى غير الإمام علي كرم الله وجهه حيث يبين " زعم قوم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز وزعم آخرون أن أول من وضع النحو نصر بن عاصم فأما من زعم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز أو نصر بن عاصم فليس بصحيح، والصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود ، وأبو الأسود يسند إلى علي ، فإنه روى عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له : من أين لك هذا النحو ؟ فقال : لفقت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ⁶⁵

وقال ياقوت الحموي المتوفى سنة 66 هـ " وكان عليه السلام أول من وضع النحو وسن العربية، وذلك أنه مر برجل يقرأ " أن الله بريء من المشركين ورسوله" بكسر اللام في رسوله ، فوضع النحو وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي وقد استوفينا خبر ذلك في باب أبي الأسود .⁶⁶

وإن كانت هذه الروايات كلها يقول أو يوهم بأن عليا رضي الله عنه هو الذي وضع علم النحو نفهم بإدراك بعض الحقائق التاريخية عن ابي الأسود الدؤلي، بأن الإمام علي كرم الله وجهه كان قد مهد الطريق وفتح الباب السبل لأبي الأسود إلى عالم النحو العربي في بادئ البداية حتى

⁶⁴ المعارف 80

⁶⁵ نزهة الألباء في طبقات الأدباء -17

⁶⁶ لا معجم الأدباء 2\96

منح له الحرية وأعطى له كل الإجازات. واستلم ابو الأسود مهمة وضع النحو حسبما طلب منه الخليفة علي ووالي العراق عبید الله بن زياد رضي الله عنهما.

الواضع هو أبو الأسود الدؤلي

على الرغم أن هناك غير قليلة من الدلائل والروايات على أن بعض العلماء المذكورة أعلاه هم الذين وضعوا هذا العلم، يشير معظم الروايات المشهورة المعتمدة عليها إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو الواضع الحقيقي لعلم النحو بحيث أنه قد أتم جميع ما يحتاج إلى وضع النحو قاطبة بصورتها الكاملة في حال أن غيره شارك إما في بدايته أو في الأمور الفرعية المتعلقة به كما يظهر ذلك من أقوال العلماء والكتب المأثورة. يقول ابن خلدون في مقدمته " وأول من كتب فيها -أي في صناعة النحو- أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة ، ويقال بإشارة عليّ لأنه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرة " ⁶⁷

والذي يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الإصابة في ترجمة أبي الأسود " قال أبو علي القالي حدثنا أبو إسحاق الزجاج حدثنا أبو العباس المبرد قال : أول من وضع العربية ونقط المصحف أبو الأسود ، وقد سئل أبو الأسود عن نهج له الطريق ، فقال : تلقيته من علي بن أبي طالب ⁶⁸ وهذا كما يرى الإمام البغدادي رحمة الله عليه في خزنة الأدب : "وهو أبو الأسود واضع علم بتعليم علي رضي الله عنه. ⁶⁹ وذكر السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة "قال ركن الدين علي بن أبي بكر الحديثي في كتاب الركني : أن أول من وضع النحو أبو الأسود ، أخذه من علي رضي الله عنه وسببه أن امرأة دخلت على معاوية في زمن عثمان ، وقالت : أبوي مات وترك مالا ، فاستقبح معاوية ذلك ، فبلغ عليا فرسم لأبي الأسود فوضع أولا باب الإضافة " ⁷⁰

⁶⁷ مقدمة ابن خلدون 54

⁶⁸ الإصابة في معرفة الصحابة-2/78

⁶⁹ خزنة الأدب 1\136

⁷⁰ تأسيس الشيعة 48

قال الدؤلي عن نفسه: " إني لأجد للحن غمزا كغمز اللحم"، كما أجمع المؤرخون واللغويون على أنه أول من وضع علم النحو، وقد قال عنه محمد بن سلام الجمحي: "أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزم، فأخذ ذلك عنه يحيى بن يَعْمَر "

قال عنه أبو علي القالي: " حدثنا أبو إسحاق الزجاج، أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود، على أنه أول من وضع علم النحو" ويقول الدكتور علي المكارم في كتابه "تاريخ النحو العربي" " من المؤكد أن أبا الأسود هو الذي قام بعلاج الجانب العاجل من المشكلة اللغوية ، فقام بضبط المصحف ، والحقائق التاريخية تؤكد أنه كان أول من نقط المصحف ، أي تناوله بالضبط عن طريق النقط ، وليس فيما روى خلافا تاريخيا في دور أبي الأسود الرائد في هذا المجال ، وهو عمل يكشف عن اصالة في الفهم وقدرة على الابتكار وبراءة من التبعية والتقليد. وإذا كان أبو الأسود هو الذي قام بالعلاج السريع للمشكلة اللغوية وهو ضبط النص القرآني ، فهل هو أيضا الذي قام بريادة الدراسات النحوية ، فوضع بذلك الأسس الأولى للحل الجذري للمشكلة ؟ تحسب أنه ينبغي أن نحدد معنى "الواضع الأول للنحو" ليكون تمهيدا طبيعيا لمعرفة أبعاد هذا الدور التاريخي . وفي تصورنا أن الواضع الأول إنما يعني أول من ارتاد الطريق إلى الدراسات النحوية ، ولا يشترط أن يكون قد وضع قواعد نحوية محددة ، وذلك يعني بالضرورة أن ريادة الدراسات النحوية يمكن أن تكون بملاحظة الظواهر اللغوية وحدها ، دون محاولة للتعميد لهذه الظواهر . فإذا نظرنا إلى الواضع الأول بهذا المعنى - فنجد أن شخصيات ثلاثة هي التي تنسب إليها هذه الأولوية ، بصورة أساسية ، إذا محينا شخصية رابعة ، وهي شخصية الإمام علي ، ليس لوضوح الهدف السياسي من نسبة هذه الأولوية إليه فحسب بل لأن طبيعة الظروف السياسية وعمق التحولات الاجتماعية التي جلبت عليا كرم الله وجهه كانت من العجلة بحيث فرضت عليه مواجهتها ، وشغلت فكره - دون

شك - عن الالتفات إلى غيرها وهذه الشخصيات التي تنسب إليها الروايات التاريخية أولية النحو

هي : ابو الأسود الدؤلي ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز ⁷¹

ويؤيد الزجاجي ما ذكره أبو الطيب في مراتبه ، من أن أول من رسم الناس النحو أبو الأسود

الدؤلي وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ؛ لأنه سمع لحنا فقال لأبي

الأسود : اجعل للناس حروفا - وأشار إلى الرفع والنصب والجر ⁷² ويقول الدكتور محمد خير

الحلواني "ترجع قيمة أبي الأسود الدؤلي في تاريخ النحو إلى أنه هو أول من اتجه بالدراسة اللغوية

إلى الاستقراء والاستنباط ، وكانت قبله تقوم على محاكاة الأعراب والاختلاط بهم ، وحفظ الشعر

والأنساب ، فتحول بها إلى وضع الضوابط الدقيقة ، ورصد الظواهر المتبدلة في تراكيب العربية ⁷³

ويذكر الإمام ابن قتيبة إن أبا الأسود يعد في الشعراء والتابعين والمحدثين والبخلاء والمفاليح والمرج

والنحويين ، لأنه أول من عمل كتابا في النحو بعد علي ابن أبي طالب ⁷⁴ . ومع ذلك نذكر فيما بعد

ان شاء الله بهذا الفصل نفسه بعض الدلائل من روايات أخرى وحوادث تاريخية تصرح بأن أبا

الأسود الدؤلي هو الذي يستحق لأن تعرف بهذا الاسم .

تسمية هذا العلم بالنحو

لقد قام اللغويون من المؤرخين والنحاة في القرن الرابع بتناول نشأة النحو العربي،

صراحة أو ضمنا، لأن كانت اللغة العربية محور حياتهم العلمية ومدار تقدماتهم الأدبية والفنية،

ومن أولئك العلماء العظماء أبو القاسم الزجاجي ١٤٤٧ م، وأبو الطيب النووي ٣٠١ هـ، وأبو الفرج

الأصبهاني ٣٠٩ هـ وغيرهم. فأبو القاسم الزجاجي يذكر في كتابه ' الإيضاح في علل النحو' في باب

ذكر العلة في تسمية النحو "السبب في ذلك ما حكى عن أبي الأسود الدؤلي أنه لما سمع كلام المولدين

⁷¹ تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ص 61

⁷² لمرجع السابق ص 25

⁷³ المفصل في تاريخ النحو ما قبل سيبويه -101

⁷⁴ تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري 25

بالبصرة من أبناء العرب أنكر ما يأتون من اللحن لمشاهدتهم الحاضرة وأبناء العجم، وهم أن يضع كتابا يجمع فيه أصول العربية، فمنعه من ذلك زياد، وقال: لا نأمن أن نتكل الناس عليه و يتركوا اللغة وأخذ الفصاحة من أفواه العرب، إلى أن فشا اللحن وكثر وقبح، فأمره أن يفعل ما كان نهاه عنه، فوضع كتابا فيه جمال العربية، ثم قال لهم: انحوا نحو هذا، أي اقصدوه ⁷⁵

وهناك رواية أخرى نقلها الذهبي في تاريخ الإسلام وغيره، حيث يقول وقد أمره - أي أبا الأسود - علي رضي الله عنه بوضع النحو، فلما أراه أبو الأسود ما وضع قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، ومن ثم سمي نحوا. ويقول الإمام ابن النديم في كتابه المشهور "الفهرست" علة تسمية النحو بقوله: "قال أبو جعفر بن رستم الطبري: إنما سمي النحو نحوا لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عليه السلام وقد ألقى عليه شيئا من أصول النحو قال أبو الأسود: واستأذنته أن أضع نحو ما وضع فسمي ذلك نحوا". واتبع ابن النديم ذلك بقوله: "ورأيت ما يدل على أن النحو من أبي الأسود ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصيني ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رضي الله عنه بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخلط بخط عتيق: وهذا خط النضر بن شميل ⁷⁶.

والذي جاء كراي آخر من تلك الآراء في قبيل هذه المنظورات ما قاله الإمام الرافعي أخذا بمعاملة الإمام أبي الأسود الدؤلي رحمه الله " أن لفظ العربية أطلقه أبو الأسود على النحو وعرف به النحو في عصره وبعد عصره أيضا" ⁷⁷ وقال د. الدجني "والخلاصة أن كلمة نحو ومدلولها، لم تكن مستعملة عند النحاة الأوائل فلذلك أطلقوا اصطلاح العربية تارة، وأخرى كلاما، وأحيانا الإعراب حتى استقر الرأي على تسميته (النحو) وذلك عند علماء القرن الثاني الهجري، وإذا حققنا في تلك الاصطلاحات السابقة (العربية الكلام- الإعراب) نجدها لا تتناقض مع معنى النحو

⁷⁵ الإيضاح في علل النحو 89

⁷⁶ الفهرست-59-61

⁷⁷ تاريخ آداب العرب \1\ 277،278

، إلا أنها لا تلك الألفاظ ، وهكذا نلاحظ أن العلماء الأوائل الذين نسب إليهم نشأة النحو العربي ، وهم (الإمام علي بن أبي طالب المتوفى سنة 4 هـ ، وأبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة 69 هـ. ونصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة 89 هـ ، وعبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة 11 هـ) ، لم يستعملوا اصطلاح النحو بل أطلقوا تلك المصطلحات التي ذكرتها ، وبقيت تلك المصطلحات هي السائدة ، طيلة القرن الأول الهجري ، وهذا ما اتفق عليه معظم الباحثين والرواة إلا أنهم أغفلوا حقيقة هامة وهي عدم معرفة الرجل الذي أطلق اصطلاح النحو "78

وقد يقول الإمام أبو الأسود الدؤلي رحمه الله تعالى نفسه في واقعته المذكورة مع الإمام ورايع خلفاء الراشدين علي رضي الله عنه - في قصة ' ألقى إلي رقعة '... إلخ هذه العلة بنفسها في تسمية هذا العلم به. 79

الفصل الرابع : الطرق التي سار بها النحو العربي

ولا يتم بيان الطرق التي جاوزها النحو العربي إلا بالذكر عن نقط المصحف للإمام أبي الأسود رضي الله عنه لما أن المدار المهم للاطلاع على القواعد النحوية كان من القرآن، وأن الإمام كان واضع الإعرابات وحركات الحروف التي هي من الأسس الأصلية النحوية.

وممن روى في نقط المصحف أبو الفرج الأصفهاني (ت 360 هـ) فقد قال " أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلي رحمه الله أن ينقط المصاحف فنقطها ، ورسم من النحو رسوما ثم جاء حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال أمر زياد أبا الأسود الدؤلي رحمه الله أن ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو رسوما ثم جاء بعده ميمون الأقرن رحمه الله فزاد عليه في حدود العربية ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري رحمه الله ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء رحمهما

78 لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي فتحي عبد الفتاح الدجني، ص 14

79 تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري 25

الله فزادا فيه ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صليبة فلحب الطريق ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوما والآن يعملون عليها⁸⁰

والذي يفهم من هذه الرواية مشاركة الأئمة المختلفة في وضع النقط وتتميمها في صورتها الكاملة . وقد بين هذا الإمام القلقشندي (ت ٩٢٢ هـ) في صبح الأعشى بقوله " فذهب بعضهم إلى أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلي وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم إذ كان ذلك قد فشا في الناس، فقال أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولا فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد . وقال للذي يمسك المصحف عليه إذا فتحت فاي فاجعل نقطة، فإن اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة يعني تنوينا فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف وأكثر العلماء على أن أبا الأسود الدؤلي رحمه الله جعل الحركات والتنوين لا غير وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام⁸¹ .

وليس للمؤرخين رأي آخر في إتقان القول بأن مصحف أبي الأسود الدؤلي رحمة الله عليه يحمل المكانة الأولية في بداية المسير التاريخي للنحو العربي، حتى يحكيه الناقد المشهور والأديب البارز الدكتور أحمد أمين أيضا في كتابه ضحى الإسلام مصداقا لما قام به أبو الأسود الدؤلي، "على هذا فمن قال إن أبا الأسود وضع النحو فقد كان يقصد شيئا من هذا وهو أنه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا يكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمة موضع فتحة، فجاء بعده من أراد أن يفهم النحو على المعنى الدقيق، فاخترع تقسيم الكلمة⁸²"

و مع ذلك، لما أن تشكيل المصحف الشريف بالنقط من العناصر الأساسية للنحو يقول بعض العلماء والمؤرخون بأن أبا الأسود لم يضع النحو وإنما كان وضع نقط المصحف حتى ظن القدماء تشكيله المصحف نحو كما يقول أحمد أمين ذلك في نفس كتاب ضحى الإسلام غير أن

⁸⁰ الألفاني 12\348، 347

⁸¹ صبح الأعشى 3\155، 154

⁸² ضحى الإسلام 2/285

هذا القول مردود بالروايات السابقة كما يظهر من الحوادث المذكورة من أن أبا الأسود الدؤلي كان رسم النحو بتعاليم أولى من علي رضي الله عنه حيث أعطى له رقعة كتصنيف أول في هذا المجال مع الحرية التامة في بناء النحو .

و قد توصلت المعالم النحوية والسمات اللغوية التي تركها أبو الأسود الدؤلي بواقع الحياة اللغوية وطبيعتها في عصره خاصة وفي كل العصور العامة ، لما أنها عنيت معاملة هذه بدفع اللحن وإبعاد الأخطاء عن قراءة القرآن ، حيث استخرج ضوابط الإعراب بحسب ما توفر لديه من قدرات ووسائل .

و ممن زاد في ذكر بعض الظواهر التحويلية التي تصدى لها أبو الأسود في أيام قدوم النحو العربي، أبو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ بقوله " فكان أول من أصل ذلك ، وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ، فوضعوا للنحو أبوابا وأصلوا له أصولا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم ، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف ، وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم ، ثم وصل ما أصلوه من ذلك التالون لهم والأخذون عنهم ، فكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول ومدّ من القياس وفتق من المعاني وأوضح من الدلائل ، وبين من العلل"⁸³

فعلى الرغم من أن النحو لم يكن يتم ويتكامل بمعناه القاطب في تحليل أصوله وتتبع تفرعاته ، إلا أن فلسفة قيام الإمام علي وأبي الأسود رضي الله عنهما ظلت ملاحظا ملموحا مشارا إليها، بعملهما الجاد في بناء الأسس التي تأسس عليها النحو العربي في العصور المختلفة ، سواء كانت في التنظيم – لما أن النحو العربي تأسس على التصنيف في معظم مجالاته ، ولا شك بأن التصنيف هو الخطوة الأولى التي وضعها الإمام علي رضي الله عنه بتقسيمه الكلمات فيما يتعلق

⁸³ طبقات النحويين واللغويين 11

بأصنافها الرئيسية - وفي التطبيق - لما أن الهدف التعليمي الذي يحفظ لسان المتكلمين من الوقوع في الخطأ، ليس في الاستعمالات اللغوية اليومية فحسب وبل في ممارسة الآيات القرآنية تعليماً وتعليماً وقرأة واستحساناً .

ويقول صاحب كتاب الشيعة وفنون الإسلام عن النشأة البادئة في قدوم وتولّد المدارس النحوية مسلّطاً الأضواء إلى أسبابه حيث يصرح " قال ركن الدين علي بن أبي بكر الحديثي في كتاب الركني أن أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي أستاذ الحسن والحسين ، أخذ النحو عن علي ، قال فأخذ النحو عنه خمسة وهم : أبناه عطا وأبو الحارث وعبسة وميمون ويحيى بن النعمان وأخذ منهم أبو إسحاق الحضرمي وعيسى الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ، وأخذ الخليل بن أحمد عن عيسى الثقفي وفاق فيه وأخذ عنه سيبويه وبعده الأخفش ، ثم صار أهل الأدب كوفياً وبصرياً ⁸⁴ وقد رويت هناك حادثة تذكر مع الخليفة حجاج بن يوسف، تشير إلى وقوع الألقان والاطلاع عليها والاهتمام بها في العصر الأموي أيضاً، حيث سأل الحجاج يوماً للإمام اللغوي والنحوي الكبير يحيى بن معمر، وربما كان يريد مداعبته، أتجدني ألحن في قولي يا بن يعمر؟ قال له الفقيه العظيم بلا خوف ولا خشية من جبروت الحجاج: نعم أيها الأمير، ألحن في أي شيء؟ في كتاب الله، كيف؟ لقد قرأت بالمسجد الجامع : " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " ⁸⁵ فضممت الياء وهي مفتوحة واغتاظ الحجاج وقال له: "لا تساكن ببلد أنا فيه، فاذهب منفيًا إلى خراسان" ⁸⁶. وكانت الأخطاء اللغوية النحوية شائعة مستعملة حتى في السنة العباقر من الأشخاص في الأيام

⁸⁴ الشيعة وفنون الإسلام 153-154

⁸⁵ القرآن الكريم سورة التوبة 24

⁸⁶ أخبار النحويين البصريين للسرياني 176، المنتظم في تاريخ الملوك والأهم 336\6

الأول من النشأة النحو العربي. فالقواعد النحوية وضعها النحاة بداية من أبي الأسود الدؤلي (69هـ) حتى الإمام سيبويه (180هـ) حيث أنهم كانوا يستخرجون النظريات النحوية باستنباطها من الآيات القرآنية ومن الأشعار العربية القديمة ومن كلام العرب العام .

وقد واجه النحو العربي أطوارا عديدة في مسيرها التاريخي، الطور الأول الذي يعرف كطور الوضع والتكوين حيث إنه كان في البصرة، والطور الثاني الذي يعرف كطور النشوء والنمو حيث كان في البصرة والكوفة معا. والطور الثالث الذي يعرف كطور النضج والكمال كان أيضا في الكوفة والبصرة، والطور الرابع الأخير هو طور الترجيح والبسط في التصنيف حيث إن هذا الطور كان وقع الأهم منها في البغداد والمصر والأندلس والشام، ووقعت المناظرات بين هذه الأطوار - بين العلماء مثل الإمام الكسائي والأصمعي واليزيدي والإمام الثعلب والمبرد وغيرهم، وقد بين جميع ذلك الإمام الطنطاوي في كتاب "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة" .

الفصل الخامس: أشهر الأعلام وأمّهات الكتب في النحو

النحاة العربية هم الذين أسسوا وتبادلوا وقدموا جميع ما في حياتهم من العلوم والأعمال والجهود في بناء هذا العلم الجليل في العالم، ولا ننسى في هذا المقام أولئك اللغويين والنحاة والسياسيين والأمراء الذين بذلوا قصارى الجهود في تنمية هذا الفن المبارك.

ولقد ساهم كثير من العلماء النحويين ولعبوا دورا فعّالا في تنشئ النحو العربي وإقامته من بادئ الأزمنة عبر العصور المختلفة ببقاع الأرض المتنوعة مثل الأئمة البصريين، منهم أبو الأسود الدؤلي، - عماد فريقي الكوفة والبصرة- و نصر بن عاصم، وعنبسة الفيل، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر- الذين يعرفون من علماء الطبقة الأولى من طبقات البصريين السبع- وابن إسحق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء - الذين يعرفون من علماء الطبقة الثانية من طبقات البصريين السبع- ، والأخفش الأكبر، و خليل بن أحمد، والإمام يونس- الذين يعرفون من

علماء الطبقة الثالثة من طبقات البصريين السبع-، والإمام سيبويه، واليزيدي -الذان يعرفان من عالمي الطبقة الرابعة من طبقات البصريين السبع- ، والإمام الأخفش و قطرب -الذان يعرفان من عالمي الطبقة الخامسة من طبقات البصريين السبع-، والجرمي ، والتوزي، ومازني، وأبو حاتم الرياشي- الذين يعرفون من علماء الطبقة السادسة من طبقات البصريين السبع-، الإمام المبرد- الذي يعرف كعالم الطبقة السابعة من طبقات البصريين السبع -.

ومثل ذلك هناك غير قليل من العلماء من الكوفيين، من الطبقات الخمسة: من الطبقة الأولى من بينهم إمامي الرؤاسي ومعاذ الهراء، ومن الثانية الإمام الكسائي، ومن الطبقة الثالثة الإمام الأحمر ، والفراء، واللحياني، ومن الرابعة ابن سعدان، الطوال، وبن قادم، وكان الإمام الثعلب إمام الطبقة الخامسة .

ولما تلاقى النزعتين – الكوفية والبصرية- ببغداد أثر ذلك إلى تكون النزعات الثلاثة من بين العلماء والأئمة مثل الزجاج وابن السراج والزجاجي ومبرمان وابن درستويه وغيرهم كانوا من الذين غلبت عليهم النزعة البصرية. وكان الإمام أبو موسى الحامض وابن الأنباري من الذين غلبت عليهم النزعة الكوفية. و لكن الأئمة مثل ابن قتيبة وابن كيسان والأخفش الصغير وابن شقير و ابن الخياط ونفطويه وبعض من علماء مصر الآخذون عن العراقيين مثل ولاد وأبي العلي الدينوري وابن ولاد وأبي جعفر النحاس كانوا من الذين جمعوا بين النزعتين. وكان هؤلاء العلماء الذين ذكروا أعلاه ساهموا مساهماتهم إما في طور الوضع والتكوين (بصري) وإما في طور النشوء والنمو(بصري، كوفي) وإما في طور النضج والكمال(بصري، كوفي).

وأما في طور الترجيح تقدم نحاة بغداد مثل السيرافي ، ابن خالويه ، الفارسي ، الرماني ، ابن جني ، الربيعي ، ابن برهان ، التبريزي ، ملك النحاة ، الزمخشري ، ابن الشجري، ابن الخشاب، ابن الدهان ، الأنباري، المطرزي ، الكنادي ، العكبري ، ابن الخباز، ونهض علماء القطرين مثل

الحوفي ، ابن بابشاذ ، ابن برى ، ابن معط ، ابن يعيش ، السخاوى ، ابن الحاجب ، ومن علماء الأندلس والمغرب : جودى ، حمدون ، الأفشنيق . محمد بن يحيى الرباحي ، الزبيدي - المشهور بكتابه : طبقات النحويين واللغويين - الأعلم ، ابن السيد ، ابن الطراوة ، ابن الباذش ، اللخمي ، ابن طاهر ، السهيلي ، ابن مضاء ، الجزولي ، ابن خروف ، الشلوبيني ، ابن هشام الخضراوى ابن الحاج ، ومن العلماء الأندلسيين ابن عصفور ، ابن مالك ، ابن الضائع ، ابن أبي الربيع ، ابن آجروم ، أبو حيان ، الشاطبي وابن الناظم ، ابن النحاس ، المرادى ، ابن هشام ابن عقيل ، ابن الصائغ ، ناظر الجيش ، ابن جماعة ، الدماميني ، الشمي ، خالد الأزهرى ، السيوطى ، الأشمونى ، ومن النحاة في عصر الترك الإمام ابن قاسم العبادي ، الشنواني ، الدنوشرى ، الحفنى ، الصبان إلى غير ذلك. وإذا نخوض إلى بيان الخواص من الذين قاموا باللغة قيام إليها متيناً، لا مندوحة لنا إلا بالبدء بالحبيب محمد صلى الله عليه وسلم حيث إنه صلى الله عليه وسلم احتفظ باللغة باستعمالها وتصرفها والعناية بها كما سلط إليه الأحاديث التي تم بيانها. وبعد ذلك نرى الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أشار إلى تصحيح الأخطاء النحوية من أحد العرب كما أشرنا إليه، غير أنه يتمكن فيه أيضاً وقوع الحوادث المتعلقة بباقي الصحابة الكرام بحيث أننا لم نجد عليه، والله أعلم.

وكانت مساهمة الإمام علي رضي الله عنه مما لا بد لنا الإشارة إليها في بناء النحو العربي كما ذكرنا في الفصول السابقة. وكانت مثل ذلك مساهمة زياد والي العراق ومعاملته مع النحاة واللغويين وبناء العلوم النحوية بهم مما يجدر بالذكر. ولما أن الإمام أبو الأسود الدؤلي رضي الله عنه هو الذي قام بأول الأمر على إنشاء القواعد النحوية العربية وفقاً للإرشادات من الإمام علي والوالي زياد رضي الله عنهما، بشكل رسمي جامع، ولما أنه هو الذي يعرف واضح النحو العربي على الإجماع نبدأ ببيان ترجمته من بين جميع أعلام النحو العباقرة.

أبو الأسود الدُّوْلِيُّ

وهو الإمام أبو الأسود الدُّؤليّ واضع علم النّحو كما يُعتبر فقيهاً، وأميراً، وشاعراً، بالإضافة إلى كونه من التّابعين، حيث كان الدُّؤليّ قاضياً في عهد عُمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان رضي الله عنهما، واستمر كذلك في عهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وتجب الإشارة إلى أنّه كان كاتباً في مدينة البصرة التي كان يسكن فيها، وكان أمير البصرة آنذاك عبد الله بن عبّاس، فولّى ابن عبّاس الدُّؤليّ القضاء فيها، وعندما انتقل إلى مدينة الحجاز جعل خلافة الإمارة في البصرة بيد الدُّؤليّ، فأقرّها عليّ بن أبي طالب له، وأصبح أميراً على البصرة .

وهو ظالم بن عمرو بن سفيان الدّيبليّ يقال أنه وُلد الدُّؤليّ في الجاهليّة قبل الهجرة النّبويّة بستّة عشر عاماً وفارق أبو الأسود الدُّؤليّ الحياة سنة 69 للهجرة يُناهِز عن عُمر 85 عاماً . وكان من تلامذه عبد الرحمان بن هرمز الأعرج، عطاء بن أبي الأسود، يحيى بن يعمر، عنبسة بن معدان، ميمون بن الأقرن، نصر بن عاصم وغيرهم.

الإمام سيبويه

يعد الإمام سيبويه من أكبر العلماء النحويين، وهو عمرو بن عثمان بن قنبر من بلاد فارس، اهتم بتعلم الفقه والحديث لمُدّة ثمّ انصرف إلى تعلم اللغة العربيّة فأتقنها وأبدع فيها، وقد أملى عليه حماد بن سلمة، وأخذ علوم النحو من عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش الكبير، والخليل، وقد أبدع في علوم اللغة حتى صار علماً من أعلامها المشهورة.

و اسم "سيبويه" وهي كلمة فارسيّة تتكون من مقطعين "سيب" ومعناها التفاح، و"ويه" ومعناها رائحة، أي رائحة التفاح. وكان مولده سنة 135 هـ ووفاته عام 180 هـ على أصح الأقوال. هاجر سيبويه مع أهله من بلاد فارس إلى البصرة، فكان يحيا في أرجائها يطلب العلم ويبيّن لنفسه مجداً خالداً، وكان الحديث من أول ما يدرّسه العلماء فأعجبه ذلك، فصحب الفقهاء وأهل الحديث،

وكان يستملي الحديث على حماد بن سلمة، ولزم الخليل، ومجلس الأخص مع يعقوب والخليل وسائر النحويين في عصره حيث أخذ منهم كل العلوم وصار عالم عصره.

الإمام الكسائي

اسمه علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، كنيته أبو الحسن، لقب بالكسائي لأنه كان أيام تلاوته على حمزة يلتف بكساء، وقيل لكساء أحرم فيه. كان عالمًا باللغة العربية والقرآن والآثار، وأنه هو أحد القراء السبع، تلا على ابن أبي ليلى وعلى حمزة، وأخذ اللغة العربية عن الخليل، وسافر لبادية الحجاز لتعلم اللغة العربية، وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء في الكوفة بعد حمزة الزيات .

وهو إمام المدرسة الكوفية في النحو، وهو الذي وضَّح طريقها ومهد لها منهجها ورسم خطوطها الرئيسية كما كان أحد أبرز علماء النحو واللغة والقراءة، وُلد في إحدى قرى الكوفة وفيها تعلَّم، و تنقَّل في البادية يأخذ عن أهلها ثم استقرَّ في بغداد وكان مُؤدِّبًا لهارون الرشيد وابنه الأمين، وقد قال عنه الإمام الشافعي رضي الله عنه "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَحَّرَ فِي النَّحْوِ، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى الْكِسَائِيِّ"⁸⁷. وتلمذ الشيخ على يد العديد من علماء اللغة والنحو والقراء منهم يونس بن حبيب النحوي، وقد تعلم النحو على كبر، وأخذ عن الخليل بن أحمد، ومحمد بن سهل، وأخذ النحو عن الرؤاسي، وأخذ القراءة عن حمزة الزيات وقرأ عليه القرآن أربع مرات، وسمع من سليمان بن أرقم وعن أبي بكر بن عياش، وأبو زكريا الفراء .

و له العديد من الكتب والمؤلفات منها: معاني القرآن، مختصر في النحو. القراءات، العدد، اختلاف العدد، مقطوع القرآن وموصوله، النوادر الكبير، النوادر الصغير ، كان قد أنفق أوقاته في التعلم والتعليم.

⁸⁷ شمس الدين البارودي، سير أعلام النبلاء، صفحة 132. بتصرف.

الإمام الفراء

وهو أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي 751-822 م ، من أهم علماء مدرسة الكوفة في النّحو، وُلد في الكوفة وكان أعلم أهلها في اللّغة والنّحو وفنون الأدب المختلفة، حتّى لُقّب أمير المؤمنين في النّحو، وقال عنه ثعلب : " لولا الفراء ما كانت اللّغة "، قضى معظم حياته في بغداد وتولّى تربية أبناء المأمون، وكان في نهاية العام يزور الكوفة ويصل أهله ويبرّهم، وكان بالإضافة إلى براعته في النّحو خطيباً مُتكلِّماً و فقيهاً، وعالمًا بأخبار العرب وأيامها، له خبرة في الطب والعلم النجوم وكان يميل للاعتزال، كما كان يتفلسف في كتاباته لذلك سميّ الفراء لأنّه يفري الكلام فرياً .

و من أهمّ كتّبه: المقصور والمدود، المعاني، معاني القرآن، المذكر والمؤنث، كتاب اللغات، الفاخر في الأمثال، ما تلحن فيه العامة، آلة الكتاب، الأيام واللّيالي، البيه، اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف، الجمع والتثنية في القرآن، الحدود، مشكل اللّغة و إلى غير ذلك.

الإمام الزمخشري

اسمه الكامل أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشريّ الخوارزمي، من أعلام المدرسة البغدادية المتأخّرين في النّحو، وُلد في زمخشر إحدى قرى خوارزم لذلك سميّ بالزمخشري، لُقّب بجار الله لأنّه أقام في مكة زمناً ، درس علوم الدين واللّغة منذُ صغره، وتنقّل في العديد من البُلدان من بخارى إلى بغداد، وفي مكّة عكف على كتابة الكشاف في تفسير القرآن، ودرس كتاب سيبويه على يد أحد علماء الأندلس، وصار من أشهر النّحاة في عصره، وعاد إلى بلده وقد سبقته شهرته وبدأ الطلاب يأتون إليه من كلّ حدب وصوب .

و من أهمّ مؤلّفاته:الكشاف، أساس البلاغة، المفصل، المقامات، الجبال والأمكنة والمياه، المقدّمة (وهو معجم عربي فارسي) مقدّمة الأدب، الفائق، رؤوس المسائل، نوابغ الكلم، ربيع

الأبرار، المنتقى في شرح شعر المتنبي، القسطاس في العروض، نكت الأعراب في غريب الإعراب، أعجب العجب في شرح لامية العرب وغيرها .

الإمام ابن جني

كان أبو الفتح عثمان بن جني الموصلبي أحد أعلام المدرسة البغدادية في النحو، وكان والده روميًا ومملوكًا لسليمان بن فهد الموصلبي، عكف منذ صغره على تعلم علوم اللغة وخصوصًا دروس أحمد بن محمد الموصلبي ورحل إلى بغداد مُبكرًا، ثمَّ رجع إلى الموصل وبدأ بتدريس الطلاب في المسجد، وقد مرَّ بحلقته إمام النّحاة في ذلك العصر أبو علي الفارسي، فأعجب بذكائه ونباهته ومدحه .

وقال عنه أبو علي الفارسي " لقد أصبحت زبيباً وأنت حصرم " فشجّته العبارة، ولأزمه قرابة 40 سنة يأخذ منه، وله مؤلفات كثيرة زادت على خمسين مصنفًا، ومن أهمّ كتبه: شرح ديوان المتنبي، المبهج في اشتقاق أسماء رجال الحماسة، من نسب إلى أمه من الشعراء، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها .

الإمام ابن هشام

هو أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد الشَّهير بابن هشام، من أشهر علماء المدرسة المصرية، ويعدُّ ثمرة أساتذة مصر في ذلك العصر، قال عنه ابن خلدون: " ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالم بالعربية يُقال له ابن هشام أنجى من سيبويه "، وهو الملقَّب بجمال الدين المعروف اختصارًا بابن هشام الأنصاري، ولد في القاهرة سنة 708هـ .

ونشأ فيها وتعلّم كثيرًا من علوم العربيّة والشريعة فدرس النحو والصرف والفقاه الشافعي والتفسير والأدب وغير ذلك بعد اضطراره بهذه العلوم أخذ يدرّس، فدرّس علوم العربية في مصر ومكة . توفي ودفن في القاهرة سنة 761هـ . من أهمّ مؤلّفاته: مُغني اللبيب عن كتب الأعراب،

عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، رفع الخصاصة عن قراءة الخلاصة، الجامع الكبير، شذور الذهب، الإعراب عن قواعد الإعراب، قطر الندى، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، نزهة الطرف في علم الصرف .

الإمام ابن مالك

الإمام ابن مالك أبو عبد الله محمد بن عبد الله، جمال الدين الطائي الجياني، الشهير بابن مالك، من أبرز أعلام المدرسة الأندلسية في النحو، كان إمام اللغويين والنحاة في ذلك العصر، وُلد في الأندلس وأخذ العلوم من علماءها، انتقل إلى المشرق وسكن حلب فترة ثم انتقل إلى دمشق وأقام فيها، التقى بابن الحاجب ونهل منه .

اختلف في ميلاده بين 598هـ و601هـ، ولكنه توفي عام 672هـ اتفاقاً، وصُلِّي عليه في الجامع الأموي ودفن في سفح قاسيون. و بدأ طلب العلم في بلدته جيان ولكنه تركها ليلتحق بإشبيلية ويدرس على الشلوبين ثم ترك الأندلس إلى المشرق فمصر فالحجاز واستقر أخيراً في دمشق أخذاً عن علماءها حتى صار أبرز علماءها . ومن أهم مؤلفاته: ألفية ابن مالك ، و تسهيل الفوائد، الضرب في معرفة لسان العرب، إيجاز التعريف، إكمال الإعلام بمثلث الكلام وغيرها .

الخليل بن أحمد الفراهيدي

و هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، ولد بالبصرة وشب على حب العلم ، فتلقى عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى ابن عمر الثقفي وغيرهما ، ثم ساه في بوادي الجزيرة العربية ، وشافه الأعراب في الحجاز ونجد وتهامة إلى أن ملأ جعبته ، ثم آب إلى مسقط رأسه البصرة ، واعتكف في داره دائماً على العلم ليله ونهاره هائماً بلذته الروحية ، فنبغ في العربية نبوغاً لم يسبق إليه ، وبلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو ، قال الزبيدي " وهو الذي بسط النحو ومد أطنا به وسبب علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه .

وليس هناك غرو أنه لولا تعهد الخليل النحو في نشأته لبعده عنه طور النضج والكمال ،
 فللخليل فضل الهوض به كما لأبي الأسود فضل تكوينه، نعم ، قد اتفقت كلمة العلماء على أن
 الخليل واضع فن الموسيقى العربية، و واضع علم العروض والقافية ، وأول من دون معجماً في
 اللغة بتأليفه كتاب العين، وله بعدئذ مآثرة الشكل العربي المستعمل الآن ، وله مؤلفات أخرى في
 غير اللغة أيضاً. كان رحمه الله في فاقة وزهد لا يبالي الدنيا ، على حين أن الناس محظوظون بها من
 علمه وكتبه .

الإمام الأخفش

كان أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، مولى بنى مجاشع بن دارم-بطن من تميم-،أوسط
 الأخافشة الثلاثة المشهورة ،فقبله أبو الخطاب الأخفش الأكبر شيخ سيبويه الذي سلفت ترجمته
 ، وبعده أبو الحسن الأخفش الأصغر تلميذ المبرد وتعلب .إنه ولد ببلخ وأقام بالبصرة لطلب العلم
 ، وتلقى مع سيبويه عن جل شيوخه سوى الخليل ، ثم أخذ عنه بعد المشاركة مع كبر سنه عنه
 فكان أنحى تلاميذه ، وكان ضنيناً بكتاب سيبويه لنفاسته حتى ظن به ادعاؤه لنفسه، لأن سيبويه
 لم يقرأه على أحد ولا قرأه عليه أحد ما عداه .

من مؤلفاته:- كتاب الأوسط في النحو،كتاب تفسير معاني القرآن، كتاب المقاييس في
 النحو ،كتاب الاشتقاق، كتاب الأربعة، كتاب العروض،كتاب المسائل الكبير، كتاب المسائل
 الصغير، كتاب معاني الشعر، كتاب وقف التمانن،كتاب الأصوات، كتاب صفات الغنم وغيرها.

الإمام ابن الحاجب

اسمه ابن الحاجب أبو عمر عثمان جمال الدين بن عمر الكردي الأصل ، المشهور بابن الحاجب
 ، لأن أباه كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي بالقاهرة.ولد ابن الحاجب بإسنا ، ثم تعهده

أبوه بالقاهرة ، فحفظ القرآن ، وتلقى العلوم عن الشاطبي وغيره فتبحر في العربية حدثاً ، ثم انتقل إلى دمشق ، فأكب الناس عليه في متنوع الفنون إلا أنه غلب عليه النحو .

و تردد مراراً أمام قاضي الشام ابن خلكان بسبب أداء شهادات ، فكان يسأله عن مشاكل في العربية ذكر بعضاً منها في ترجمته في وفيات الأعيان ، ثم عاد إلى القاهرة وتصدر بالمدرسة الفاضلية ، ثم انتقل إلى الإسكندرية . و كان رحمه الله أصفى الناس ذهنًا وأقدرهم بياناً مع الإيجاز؛ اشتهر بالتصانيف المختصرة المنقحة في جملة من العلوم ، ورزقت مصنفاته القبول ، فمنها في النحو "الإيضاح « شرح المفصل للزمخشري ، والأمالى-الذى هو الغاية في الدقة- ، و الكافية وشرحها . والكافية على وجازتها حوت مقاصد النحو بأسرها .

الأخفش الصغير

هو أبو الحسن على بن سليما ، وقد مضى الأخفش الأكبر شيخ سيبويه والأوسط تلميذ ، هو الأخفش الصغير أخذ عن أبي العباس : المبرد وثعلب ، وعن اليزيدي وأبي العيلاء ، ولم يبلغ حد الكمال في النحو ، فكان يتبرم من السؤال فيه ، وله وقائع مع ابن الرومي انتهت بالصدقة ، ورد مصر ثم عاد إلى حلب ضيفاً على ابن مقلة ، ثم قفل إلى بغداد ، وله مصنفات منها : كتاب التثنية والجمع ، وأخباره معروفة ، توفي ببغداد سنة ٣١٥ هـ .

الإمام الزجاج

هو أبو بكر محمد بن السري ، نشأ ببغداد وسمع من المبرد ، وكان أحدث تلاميذه ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، ثم انصرف إلى علم الموسيقى لكن لم ينشب أن يرجع إلى الكتاب والبحث في المسائل النحوية ، وبرز في العربية ، وخلف المبرد في بغداد ، وله من التصانيف النحوية كتاب الأصول ، قال ياقوت : وهو أحسنها وأكبرها ، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ، جمع فيه

أصول العربية ، وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب، وكتاب جمل الأصول وشرح كتاب سيبويه ، والموجز ، توفي سنة ٣١٦ هـ . 6 .

الإمام الزجاجي

النحوي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق من نهاوند، قدم بغداد وسمع من ابن السراج والأخفش ، ولازم الزجاج فنسب إليه وسكن دمشق وانتفع الناس بعلمه، وله مؤلفات في النحو منها: " الجمل " ، لهذا الكتاب حظوة عند المغاربة تدانى كتاب سيبويه عند المشاركة ، فتصدى الكثير لشرحه وشرح شواهد، ومن مؤلفاته، الكافي ، وفي النحو والأدب واللغة وغيرها والأماي الصغرى والوسطى والكبرى ، توفي بدمشق سنة ٣٣٧ هـ .

الإمام ثعلب

هو الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب مولى بني شيبان ، ولد ببغداد في عصرها الذهبي ، وتلقى عن ابن الأعرابي وابن قادم وسلمة ابن عاصم وغيرهم، غير أنه كان للنحو من بين علوم اللغة العربية، وهبه الله حافظاً واعية مكنته أن يستظهر ما يقرؤه ، فحفظ كتب الكسائي والفراء ، واستطاع أن يقرأ بنفسه كتاب سيبويه ، فزعم رياضة النحو للكوفيين إلا أنه كان لا يجيد القياس ، اتصل بالخلفاء والأمراء كأسلافه الكوفيين ، فأدب ابن المعتز وابن طاهر ، وجمعت بغداد بينه وبين أبي العباس المبرد زعيم البصريين الذي نافسه شرف الرياسة العلمية والزلفي عند الخلفاء والأمراء ، فكانت بينهما مناظرات فاز فيها ثعلب ، ولكل منهما شيعته وحزبه ، وسعى بينهما القتاتون .

و كان المبرد يتطلب لقياً ثعلب كثيراً فيراوغه ويتلصقاً عن إجابته . ، وله نادرة طريفة تتعرف منها نفاسة علم النحو وأنه أحرى العلوم كلها بالرعاية ، ، له رحمة الله عليه مصنفات شتى ، منها

في النحو : اختلاف النحويين ، والموفقى ، وما ينصرف وما لا ينصرف، وحد مجالسة مع النحو ،
وفي اللغة : الفصيح .

الإمام السيوطي

هو العالم المشهور أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر ، نشأ يتيماً وكان ذكياً فتلقف
مشايخ العصر في كل فن ، وأخص مشايخه في النحو الشمني والسيرامى والكافيجي، ونفر في سبيل
العلم إلى الشام والحجاز واليمن والهند ، فأعطاه ربه ما أرضاه ، وصنف مؤلفات في متنوع العلوم
تربو على الثلاثمائة ، فسبحان الوهاب .

و من أشهرها في النحو : الأشباه والنظائر ، وجمع الجوامع وشرحه شمع الجوامع . والنكت
تعليقا على ألفية ابن مالك، والكافية والشافية لابن الحاجب، والشذور ونزهة الطرف لابن هشام
، والاقتراح في أصول النحو – و من مؤلفاته الممتعة "المزهر" في علوم اللغة وأنواعها ، و"بغية
الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" توفي بالقاهرة مصر سنة ٩١١ هـ بعد أن خلف كتباً وافرة
ذات الأهمية الكبيرة في الفنون المختلفة.

الإمام ابن قتيبة

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ولد بالكوفة ونسب إلى الدينور، من بلاد فارس
، تولى القضاء بها ، أقام ببغداد، وسمع من الزيادى والسجستاني وابن راهويه وغيرهم ، وصنف
مؤلفات تشهد له بعلو كعبه ، منها في النحو : جامع النحو الكبير ، وجامع النحو الصغير ، وشهرته
تغنى عن التعريف به ، توفي ببغداد سنة ٢٧٦ هـ .

ملك النحاة

هو أبو نزار الحسن بن صافي ، أبوه مولى الحسين الأرموي التاجر ببغداد فأخذ النحو عن الفصيحي وغيره ، ثم سافر إلى واسط وخراسان وكرمان وغزنة ، وقصد الشام فلبث في دمشق مدة وخرج منها ، ثم عاد إليها ورغد عيشه فيها برعاية نور الدين محمود بن زنكي ، كان معترفاً بنفسه فاستخف بمن قبله ؛ لقب نفسه ملك النحاة ، وكان يسخط على من لا يخاطبه بذلك ، ومن مصنفاته النحوية الحاوي ، والعمدة ، والمسائل العشر المتعبات إلى الحشر ، وقد تحدى بها علماء العصر ، وهي مذكورة بنصها في سفر السعادة للسخاوي ، ونقلها السيوطي عنه في الأشباه والنظائر ، توفي الملك بدمشق سنة ٥٣٨ هـ .

الإمام المبرد

هو أبو العباس محمد بن يزيد من بني ثماله ، ولد بالبصرة وأخذ عن الجرمي والمازني وأبي حاتم وغيرهم إلا أن أغلب تلقيه عن المازني ، ثم نبه قدره في البصرة ، وانتهت إليه الرئاسة ، كان غير متقيد برأي المذهبين : البصري والكوفي ، ولقد خلف مصنفات في علوم متنوعة برهنت على أدبه الجسم وعلمه الغزير ، منها في النحو المقتضب ، وشرح شواهد سيبويه والرد عليه ، وله في تاريخ النحاة "طبقات النحويين البصريين وأخبارهم ، و توفي الإمام ببغداد سنة ٢٨٥ هـ .

عيسى بن عمر الثقفي البصري

و هو أبو عمر مولى خالد بن الوليد ، ونزل في ثقيف فنسب إليهم ، أخذ عن ابن أبي إسحق وغيره ، وكان مولعاً بالغريب والتشادق ، استودعه بعض أصحاب خالد القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك وديعة ، فلما نزع خالد عن ولاية العراق وتقلدها يوسف بن عمر الثقفي استدعاه من البصرة لأخذ الوديعة فأنكرها ، ولما اشتد عليه ضرب السياط جعل يقول " والله إن كانت إلا

أثياباً في أسفاط قبضها عشاروك". وروى أن الضارب له عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراق قبل خالد ابن عبد الله . وقد لزمته علة من ذلك الضرب بقية حياته، وله كتابان في النحو "الجامع، والإكمال" توفي سنة ١٤٩ هـ .

ابن أبي إسحق

هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحق زيد الحضرمي، نحوي، من الموالي، من أهل البصرة، أحد الأئمة في القراءة والنحو، هو أخو يحيى بن أبي إسحاق، وجد مقرئ البصرة يعقوب بن إسحاق الحضرمي، أخذ عنه كبار من النحاة كأبي عمر وابن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي والأخفش. فرع النحو، وقاسه، وكان أعلم البصريين، مات بالبصرة، سنة 1117 هـ. اشتهر بكنية والده، وكان مولد آل الحضرمي، أخذ عن نصر بن عاصم ويحيى ابن يعمر، وجد في هذا العلم حتى بلغ الغاية فيه، سئل عنه يونس فقال: "هو والنحو سواء" كان أول من علل النحو، كما كان شديد التجريد للقياس والعمل به كما سلف، وعاصره عيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمرو ابن العلاء .

الإمام الأنباري

هو من أعلام النحو العربي أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري سمع أبيه في الأنبار، ثم نزع إلى بغداد وتعلم بالمدرسة النظامية، فأخذ عن الجواليقي، ولزم ابن الشجري، ثم تبحر في علوم اللغة العربية، وتيمن الناس به، فتخرج على يده الكثير، وكان محمود السيرة، وخلف مصنفات متنوعة نالت رواجاً، ولنقتصر هنا على ما طبقت شهرته العالم العربي، فمنها أسرار العربية، والإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. توفي الأنباري ببغداد سنة ٥٧٧ هـ .

أمهات الكتب

الكتاب لسيبويه

حسبما يراه النحاة واللغويون والمؤرخون أن كتاب "الكتاب" كان أول كتاب نحوي جامع كل القواعد النحوية وشامل جميع ما يتضمنه النحو العربي. ومؤلفه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور باسم سيبويه، وكان فارسي الأصل وأنه أخذ العلم عن حماد بن سلمة، وأحمد بن الخليل الفراهيدي ويونس بن حبيب وغيرهم من العلماء العباقرة. وفي كتابه إنه بدأ المصنف بالحديث عن الكلمة وأقسامها، وما يتفرع عنها من مختلف الوظائف النحوية، ثم تطرّق إلى الحديث عن الأحكام النحوية من المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، ثم تحدّث عن التعريف والتنكير والأساليب الإنشائية كالاستفهام والنداء وغيرها .

و بعد الفراغ من تلك البيانات النحوية انتقل للحديث عن الأفعال وأحكامها، والأسماء الممنوعة من الصرف، والاسم من حيث الإفراد والتركيب، حيث إنه تحدّث في نهاية المطاف عن مسائل متعلقة باباب الصرف ثم ختم كتابه بمخارج الحروف ، و قد تقدم كثير من النحاة بشرح كتابه من كبار أهل العلم كالسيرافي والرماني والفارسي والقرطبي والإشبيلي وأبي حيان الأندلسي وغيرهم من السلف والخلف . وكان كل العلماء الذين جاءوا من بعده يعتمدون عليه، ويقتمدون به كمنهج وأصل وحيد.

عظم شأن الكتاب في البصرة حتى صار علماً بالغلبة من بين جميع الناس، حتى قيل في البصرة "فلان يقرأ الكتاب لا يفهم السامع سوى كتاب سيبويه". بل سموه إكباراً له قرآن النحو، وهكذا كان الكتاب أعجوبة الدهر الخالدة فإنه منذ أُلّف استفرغ عناية العلماء به في الطواف حوله. "ولهذا كان المازني يقول" من أراد أن يصنف كتاباً واسعاً في النحو بعد سيبويه فليستح⁸⁸

المقتضب للمبرد

يعرف هذا الكتاب في المنزلة الأولى بعد سيبويه، ومؤلفه هو أبو العباس محمد يزيد الأزدي المشهور باسم المبرد، وإنه أخذ العلم عن الأساتذة مثل الجرمي والمازني والجاحظ وغيره، على الرغم أن هذا الكتاب لم يختلف محتوى الكتاب كثيراً عن أبجديات كتاب سيبويه ومنهجه، بدأ بأقسام الكلام ثم بالحديث عن المرفوعات.. كالفاعل والمبتدأ، ثم تحدث عن حروف المعاني كحروف العطف، ثم انتقل إلى أبواب من أبواب الجوانب الصرفية، وكان ممن اعتبر الصرف على أنه داخل في عنوان النحو.

فأتى بالمبنيات وأقسامها وأشكالها والزائد منها والأصلي والأوزان المختلفة، حيث استمر بالحديث عن أبواب التصريف المختلفة، كما أنه حكى عن الإدغام وأقسامه وصوره، ثم انتقل انتقالاً جذرياً إلى باب الرسم والكتابة في حال أنه تحدّث عن الهمزات وقواعدها وأنّ المفتوحة ونحوها. والذي جاء به أخيراً كان ذكر الإستثناء وما تعلق به.

⁸⁸ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة- 101

الكافية لابن الحاجب

والذي ألف هذا الكتاب المشهور هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو ابن الحاجب الكندي، وهو الذي أكب على العلوم من الإمام الشاطبي صاحب القراءات، و من الإمام الحافظ ابن عساكر، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام . ويعد هذا الكتاب من أهم المتون النحوية التي قام العلماء بالعناية بها، ويعد أفضل المتون على الإطلاق .

بدأ تصنيفه في هذا الكتاب بالحديث عن الإعراب، ثم بالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات، كما أنه ألحق ذلك بالحديث عن المبني والمعرب، والتعريف والتنكير والتثنية والجمع والأفعال، وختم الحديث بحروف المعاني . وقد اهتم العلماء بهذا الكتاب اهتمامًا بالغًا من حيث إنهم قاموا بشرحه ونظمه وإعرابه، وتدرسه ومطالعه لما يمتلك مصنفه العظيم من ملكة التصنيف والتأليف بمنزلة مذكورة . ومما عرف لهذا الكتاب الجليل من أثر علمي ومنهجي في تعليم النحو وفي إشاعته إلى آفاق الأدب العربي ولغته.

ألفية ابن مالك

كتاب لا يحتاج إلى تعريفه لأحد من دارسي اللغة العربية - جوانها النحوية والصرفية- لما أن هذا الكتاب يشمل نظاماً للقواعد والأحكام النحوية والصرفية ، ومؤلفه هو محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الذي درس العلوم من العالم الكبير في الفقه واللغة وكل العلوم الإمام ابن الحاجب وابن يعيش وأبي علي الشلوبين وغيرهم من الشيوخ الأكابر في ذلك العصر . وقد بدأ الكتاب بتعريف الناظم بنفسه وكنيته والحمدلة والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو مقدمة النظم، ثم بدأ بالحديث عن الكلام وما يتألف منه وعلامات كل قسم، ثم الإعراب والبناء، وأنواع المبنيات كالاسم الموصول وأسماء الإشارة وغيرها .

واتخذ أسلوباً نظمياً أنيقاً في تأليف هذا الكتاب حيث سلم جميع القصائد من ضعف التأليف اللفظي والمعنوي.

انتقل بعد أن بين أحوال الأسماء إلى الحديث عن أبواب المرفوعات كالفاعل ونائب الفاعل من الجملة الفعلية، والمبتدأ وخبره من الجملة الاسمية، والنواسخ والمفاعيل بأنواعها وأنهى كتابه بمباحث عن أبواب الصرف لاقت هذه المنظومة قبولاً واسعاً لدى العلماء وطلبة العلم، وما زال صيتها مستمراً إلى الآن . وقد يدرس هذا الكتاب في أكثر أنحاء العالم للحصول على العلوم النحوية بطريقة نظم على وجه كامل.

الخصائص لابن جني

قام العالم الكبير والإمام الجليل ابن جني بتأليف هذا الكتاب المشهور-كتاب الخصائص- لما أن هذا الكتاب من أحد أشهر الكتب التي كتبت في فقه اللغة وفلسفتها، وأسرار العربية ووقائعها ، وهذا الذي يقول في مقدمة كتابه عنه، حيث يقول "لم أزل على فارط الحال، وتقادم الوقت، ملاحظاً له، عاكف الفكر عليه، منجذب الرأي والروية إليه وأود أن أجد مهملًا أقيه به، أو خللاً أرتقه بعمله، والوقت يزداد بنواديه ضيقاً، ولا ينيح إلى الابتداء طريقاً، هذا مع إعظامي له، وإعصامي بالأسباب المناطة به، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب، وأذهب في طريق القياس والنظر، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة".

وقد يناقش ابن جني في هذا الكتاب بنية اللغة وفقهها وأصولها، ويبدأ الكتاب بباب في مناقشة إلهامية اللغة واصطلاحيتها، وعرض لقضايا من أصول اللغة كالقياس والاستحسان والعلل، والحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير، والأصول والفروع ، كما أنه اختتم الكتاب بحديث عن أغلاط العرب، وسقطات العلماء، وفتح ابن جني بهذا الكتاب في اللغة العربية أبواباً جديدة لدراستها. والذي يقول في مقدمة كتابه كلامه المشهور في إهداء ذلك الكتاب " أهدي هذا الكتاب

للسلطان بهاء الدولة البويهى . وتمت طباعته لأول مرة في مصر بعام 1913م، إلا أن الكتاب وقتها لم ينشر كاملاً. بعدها طبع الكتاب كاملاً محققاً على يد محمد علي النجار بعام 1955

الأصول في النحو

ألف أبو بكر بن السراج المتوفى سنة 316هـ هذا الكتاب، وهو كتابٌ في النحو العربي له منزلة خاصة عند النحويين ، كما أن لآراء الإمام كانت أهمية كبرى في علم النحو، بحيث جمع مؤلفه فيه أبواب النحو والصرف، ورتب فيه مسائل سيبويه أحسن ترتيب، واختصر فيه أصول العربية، وجمع مقاييسها .وقد قيل عن تصنيفه و موهبته العلمية هكذا " ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله " . والذي حقق هذا الكتاب الإمام الكاتب عبد الحسين الفتلي، كما طبعته مؤسسة الرسالة في بيروت أربع مرات بثلاثة أجزاء، وجمع فهارسه محمود الطناحي ثم حققه محمد عثمان سنة 2009 .

الإيضاح في علل النحو

وهو من تلك الكتب التي ذاع صيتها في عالم النحو العربي في كل من العصور، وهو من أنفس ما كتب في موضوع العلل النحوية، وضعه الإمام أبو القاسم الزجاجي .ولا شك في أن هذا الكتاب قد أسهم في تعليم العربية في عدد من الجامعات، كما أسهم في إغناء المكتبة العربية من بين الكتب القيمة .

و في مقدمة هذا الكتاب تحدث الزجاجي عن ضرورة العناية بالمؤلف لأنه صورة لعقل صاحبه يعرضها على الناس وبعد ذلك استعرض بإيجاز سبب وضع الكتاب وموضوعه، ذاكراً الطريقة التي سبيلها في معالجة بحثه، ومن ثم حدد موضوع كتابه بالعلل خاصة، ويبين أنه لن يتعرض للأصول في القواعد النحوية، لأنه يؤلف في موضوع العلل حتى غدا بحثاً مهماً أو ثانوياً يؤتى به بعد الأصول .

وقد أشار الإمام الزجاجي في هذا الكتاب إلى مصادر بحثه فيذكر انه استنبط من كتب غيره من العلماء، وأنه أخذ الكثير عن الشيوخ تلقياً ومشافهة، وأما أسلوبه في معالجة الموضوع فلا يقوم على التطويل والإكثار، بل هو أسلوب يؤثر الاختصار وترك الخلاف، وإهمال السند وانتقاء أحسن وجوه الكلام إذا كانت للمسألة منه وجوه عدة .

كتاب المفصل للزمخشري

صنف هذا الكتاب بيد العلامة الزمخشري ، وهذا الكتاب مقسم إلى أربعة أقسام . وفي القسم الأول تناول المؤلف كل ما يخص الأسماء، بجميع أنواعه من بعض الجوانب الأصلية أيضاً ، وفي القسم الثاني عرج المصنف على الأفعال للقيام ببيان القواعد المتعلقة بالأفعال ، كما أن يخصص القسم الثالث ليتناول فيه الحروف، وفي القسم الرابع يتناول المشترك .

مغني اللبيب عن كتب الأعراب

هذا الكتاب من المصنفات اللغوية العالية في حقل النحو، وهو من أبرز إسهامات ابن هشام الأنصاري المصري عالم النحو الكبير المتوفى سنة 761 هـ، وهو مصنف فريد من نوعه كما أنه ثري في مادته لا نظير له، وهذا الكتاب هو بمثابة واسطة العقد ما بين كل مصنفاته وقد سلك فيه نهجا مميزا حيث جمع الأدوات والحروف مصنفة علي حروف المعجم وجمع شاردها وفصل قواعدها .

وبعد ذلك عرج الإمام على الأحكام العامة للجمل وأشباهاها، وما يتبع ذلك من تقسيمات وتفريعات وتبين للقواعد الكلية للنحو والأخطاء التي يقع فيها المعربون، وهو إلي جانب هذا كله غزير في شواهد القرآنية والشعرية . علاوة على ذلك، أنه ضمّن في ثناياه آراء الكثيرين من النحاة والأعلام السابقين على ابن هشام في كل مسألة من المسائل النحوية . و مع ذلك، من الجدير

بالذكر أن كتاب "المغني" مصنف دسم ممعن في الدقائق والتفاصيل لا يلائم المبتدئين في النحو أو المتوسطين إنما هو ملائم لمن هم أعلي من المتوسطين بدرجة .

ولهذا الكتاب مقدمة وثمانية أبواب حيث يتضمن الأبواب تفسير المفردات وذكر أحكامها ، وتفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها، وذكر ما يتردد بين المفردات والجمل وهو الظرف والجا
ر

والمجرور وذكر أحكامهما، وذكر أحكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها، وذكر الأوجه التي يدخل على المعرف الخلل من جهتها، والتحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها، وكيفية الإعراب، وذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية .

كتاب التسهيل

من الكتب التي لاحظ إليها غير كثير من العلماء والدارسين والتجأ بها كتاب شرح التسهيل لابن مالك الطائي ، ودخل هذا الكتاب في دائرة اهتمام المتخصصين في مجال اللغة العربية بشكل خاص والباحثين في الموضوعات ذات الصلة بوجه عام من حيث إن كتاب شرح التسهيل لابن مالك الطائي ضمن نطاق تخصص علوم اللغة ووثيق الصلة بالتخصصات الأخرى مثل الشعر، والقواعد اللغوية، والأدب، والبلاغة، والآداب العربية وغيرها من العلوم اللغوية المتكاثرة .

النحو الوافي

هذا كتاب يشتمل في أربعة أجزاء، حيث يستوعب جميع الأبواب النحوية والصرفية، مع رَبطها بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، وقد أعدَّ هذا الكتاب - على ما يقول مؤلفه عباس حسن - إعدادًا محكمًا يناسب طلبه الدراسات "النحوية والصرفية" في أيسر الطرائق وأسهل الوسائل، كما أن مناهج هذه الدراسات تدرس بالجامعات ، ثم ذَيَّلَه بتعقيبات وافية

وشروح صافية، تكون مرجعًا وافيًا للأساتذة والعلماء والمتخصصين، في حال أن المصنف لم يغفل الضوابط والأحكام التي قرّرتها المجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

كتاب همع الهوامع على جمع الجوامع

كتاب جمع الجوامع متن في النحو العربي للإمام الكبير جلال الدين السيوطي وهمع الهوامع للمؤلف نفسه هو شرح لهذا المتن حيث توسع فيه وشرح ألفاظه ووضح معانيه . و زاد على ذلك في إيضاح المسائل النحوية المختلفة وأتى لها بالشواهد العربية من القرآن الكريم والأشعار العربية وأقوال العرب . وبين فيه آراء النحويين ومدارسهم النحوية في المسائل .

كتاب تقريب المقرب

كتاب تقريب المقرب في النحو لأبي حيان الأندلسي من الكتب التي يقدم العناصر النحوية في صورة سهلة حيث يتقرب أذهان القارئ إلى إدراك المحتويات في أقرب الأوقات وأسرع الساعات. أصدر الكتاب من مطبع دار المسيرة ببغروت. ومؤلفه كان فقيها وعلمًا آخر من أعلام الفقه العدول المشهورين، وله بصمات واضحة في الحديث وروايته وفي علم أحكام الشريعة كما أنه كان في علو العلم من اللغة والنحو العربي، وقد كان صوفيا أندلسيا في منهجه وطريقة فكره رحمه الله .

الصاحبي في اللغة

ألف الإمام ابن فارس كتابه هذا في ناحية تدعى المحمدية في مدينة الري، وكان هذا سنة 382هـ وأهداه للصاحب بن عباد ووسمه بلقبه ورفعته إلى خزانته، وكان أولاً من ندماء ابن العميد . وقد يقول المصنف في مقدمة هذا الكتاب "الصاحبي" في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها " وإنما عنونته بهذا الاسم لأني لما ألفتُه أودعته خزانة الصَّاحِبِ الجليل كافي الكفاة، عمَّر

اللَّهُ عِرَاصَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالْخَيْرِ وَالْعَدْلِ بِطَوْلِ عَمْرِهِ، تَجْمَلًا بِذَلِكَ وَتَحْسُنًا، إِذْ كَانَ يَقْبَلُهُ كَافِي
الْكَفَاةِ مِنْ عِلْمٍ وَأَدَبٍ مَرْضِيًّا مَقْبُولًا، وَمَا يَزِدُّهُ أَوْ يَنْفِيهِ مَنْفِيًّا مَزْدُولًا، وَلِأَنَّ أَحْسَنَ مَا فِي كِتَابِنَا هَذَا
مَأْخُودٌ عَنْهُ وَمُفَادٌ مِنْهُ".

وبالنظر إلى مضمون الكتاب نفهم على أنه يدور حول اللغة العربية وأوليئها ومنشئها، ثم
يبحث في أساليب العرب في تخاطبهم، وفي الحقيقة والمجاز، ودراسة الظواهر اللغوية، وغير هذا
من المباحث المتعلقة بهذا الموضوع وقد يعد هذا المؤلف أول كتاب جمع ما تفرق من فنون، وهو
في موضوعه أشبه بكتاب الخصائص لابن جني إلا أن عباراته موجهة لتكون في متناول الجميع،
بخلاف عبارات ابن جني فهو يضرب به المثل في التفاسح، ومنزلة ابن
فارس عند الكوفيين منزلة ابن جني عند البصريين .

الفصل السادس : المدارس النحوية

إنه من الحقيقة التاريخية أن لا يتخلق التاريخ النحو العربي بالرغبة عن المدارس النحوية العربية
التي تولدت حسب الأوضاع المختلفة الناشئة في ميادين اللغة العربية، وهي مصطلح يعبر عن
الاتجاهات المتنوعة التي تكوّنت في مجالات الدراسة النحوية العلمية في اللغة العربية، وتولدت
هذه المدارس وفقا للأراضي المختلفة ونسبة إلى إقليم جغرافي متنوع مثل المدائن البصرية والكوفية
وإقليم الأندلس ومصر، كما أن النظريات والقوانين النحوية بين هذه المدارس قد تفرقت في بعض
مسائلها .

وقد قدمت في التاريخ النحو العربي مدارس مثل المدرسة البصرية و الكوفية
والبغدادية والأندلسية والمصرية وغيرها، وعلى الرغم أن كلا من هذه المدارس موافقة في أكثر
المعاني النحوية العامة ترى الاختلافات الباهرة بينها في عدة مسائل فردية.

المدرسة البصرية

هذه هي المدرسة الأولى في النحو العربي، أسست في العراق بمدينة البصرة إبان الخلافة العباسية حيث مثلت هذه المدرسة تطورا لعلم الخليل بن أحمد الفراهيدي كما قدم الإمام سيبويه - من تلامذة الخليل بن أحمد - تابعا له. كان الإمام سيبويه في رئاسة هذه المدرسة وأصدر ذلك الكتاب الأول المعول عليه في النحو باسم "الكتاب" على أساس هذه المدرسة .

وأبرز علماء المدارس النحوية يعدُّ المدرسة البصريَّة أوَّل المدارس التي وَضَعَتْ أصول النحو وقواعده، ومهَّدت للمدارس من بعدها، فكان كلُّ مدرسة ثمرة من ثمارها، ومن أصحاب هذه المدرسة الأخفش الأوسط وهو تلميذُ سيبويه ومن كتبه "المسائل الكبير"، ومنهم أيضًا المبرد والزجاج والسيرافي وغيرهم من العلماء الأكابر.

ومن خصائص مدرسة البصرة سلامة من أخذوا عنه من العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة وصوتهم فطريهم من تسرب الوهن إليها من رطانة الحضارة حتى لم يأخذوا سكان البوادي ، بل كانوا يتحرزون عنها إذا لمحووا عليهم ضعفاً اعتراهم، فكانوا يختبرونهم أحيانا قبل التقبل لما يروون عنهم . وكذلك كانت لهم الثقة برواية ماسمعهو عنهم من طريق الحفظه والأثبات الذين بذلوا النفس والنفيس في نقل المرويات عن قائلها معزوة إليهم من المصادر الحقيقية .

ولا شك بأن البصرة تضع على يد أبي الأسود الدؤلي نقط الإعراب ، وقد مضى الناس يأخذونه عن تلاميذه ، ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إن ذلك كان باعثاً لهم ولمعاصريهم على التساؤل عن أسباب هذا الإعراب وتفسير ظواهره مما هيأ لبعض أنظار نحوية بسيطة، وكان طبيعيا بعد أن رسموا نقط الإعجام أن يضعوا له هذا الاسم وأن يضعوا لنقط أبي الأسود اسم نقط الإعراب تمييزاً لهما بعضهما عن بعض، وعلى هذه الشاكلة شادت البصرة صرح النحو ورفعت أركانه ، بينما

كانت الكوفة مشغولة عن ذلك كله على الأقل حتى منتصف القرن الثاني للهجرة، بقراءات الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار ، وقلما نظرت في قواعد النحو إلا ما سقط إلى بعض أساتذتها من نحاة البصرة إذ كانوا يتلمذون لهم ويختلفون إلى مجالس محاضراتهم وإملاءاتهم، وكان القدماء يعرفون ذلك معرفة دقيقة ، فنصوا عليه بعبارات مختلفة ، بحيث يؤثر السامعين.

وقد قال المؤرخ ابن السلام " وكان لأهل البصرة في العربية قدما وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية " و يصرح ابن النديم في هذا المجال تصريحاً أكثر وضوحاً إذ يقول في حديثه عن نحاة الكوفة والبصرة " إنما قدمنا البصريين أولاً ، لأن علم العربية عنهم أخذ "89. وحاول بعض المستشرقين أن يصلوا بين نشوء النحو في البصرة والنحو السرياني واليوناني والهندي غير أنه لا يمكن إثبات شيء من ذلك إثباتاً علمياً وخاصة أن النحو العربي يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أى نحو أجنبي، وكل ما يمكن أن يقال إنه ربما عرف نحاة البصرة الأولون أن لبعض اللغات الأجنبية نحواً ، فحاولوا أن يضعوا نحواً للعربية راجعين في ذلك إلى ملكاتهم العقلية التي كانت قد رقيت رقياً بعيداً ، حتى نجحوا فيها.

المدرسة الكوفية

وقد نشأت هذه المدرسة النحوية وتمركزت في الكوفة وكانت في أيام حكم العباسيين، وكان على رأس هذه المدرسة النحوية الكسائي والذي له شهرة واسعة في هذه المدرسة ومن كتبه: "مختصر النحو، الحدود في النحو" وغيرها، ومن أصحاب هذه المدرسة أيضاً الفراء وهو تلميذ الكسائي، ومن كتبه: "الكتاب الكبير، لغات القرآن"، وأيضاً منهم ثعلب ومن كتبه "المجالس" وغيرهم .

⁸⁹ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص 127

وبالدراسة السطحية عن المدرسة الكوفية نعرف على أنها قد عرفت أن الكوفيين تأخروا عن البصريين في هذا العلم حقبة طويلة، وذلك لانصرافهم أولاً عن التلقى عنهم بأنفسهم عن الأخذ منهم، وما لبثوا أن شغلهم الشعر ورواياته والأدب وطرائفه، فاستأثروا بهذا وتأخروا به على البصريين مدة طويلة لم يشاركوا فيها البصريين النظر إلى علم النحو . هذا مع قصوهم عن جزيرة العرب ، وحيلولة صحراء السماوة بينهم وبينها، فلم تكن لهم فيها إلا رحلات قليلة لبعث الشقة وثقل المؤونة، ومنها رحلة الكسائي المعروفة، وهو زعيم طبقتهم الثانية التي تحاذي الرابعة البصرية . أما طبقتهم الأولى فلم تكن لها رحلات، على حين أن الطبقة الثالثة البصرية التي تقابلها أبلت في الرحلات بلاء حسناً عاد على اللغة العربية بالأثر الذي لا يبلى بمر الزمان.

ونعرف أيضاً إنما يبدأ النحو الكوفي بدء حقيقياً بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعوا أسسه وأصوله، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتين لمقدماته ، ومدققين في قواعده ، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه. أجمع القدماء على أن نحو الكوفيين يشكل مذهباً مستقلاً أو كما نقول بلغة العصر مدرسة مستقلة سواء منهم أصحاب كتب الطبقات والتراجم مثل ابن النديم في كتابه الفهرست والزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين أو أصحاب كتب المباحث النحوية، إذ نراهم دائماً يعرضون في المسائل المختلفة وجهتي النظر المتقابلتين في المدرستين: الكوفية والبصرية . وقد أفرد أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري مجلداً ضخماً عرض فيه الخلاف بين المدرستين في إحدى وعشرين ومائة مسألة، وهو إنما عرض أهم ما اختلفتا فيه من مسائل في رأيه، ووراءها مسائل أخرى كثيرة مبثوثة في الكتب النحوية لم ير التوسع بذكرها في المقام . وقد قام الإمام الطنطاوي بتصريح جميع هذه النقاشات وكذا الدكتور شوفي ضيف في كتابه المدارس النحوية.

المدرسة البغدادية

والذي أسس هذه المدرسة النحوية بعضُ النحاة الذين رأوا أنَّ النحاة في البصرة وفي الكوفة قد ابتعدوا بعلم النحو عن جوهره وغايته وأدخلوه في مواضع ليس هناك داعي لها، فقام أصحاب المدرسة البغدادية في بغداد باتخاذ موقفٍ وسط بين المذهبين، ولكن فيما بعد تمَّ اقتراح المذهب البصري في تفسير الظواهر النحوية التي يحتاجها الطلاب وعامة الناس . ومن رؤاد هذه المدرسة الإمام ابن كيسان ومن كتبه "اختلاف البصريين والكوفيين"، و ابن جَيِّ ومن كتبه "الخصائص، سر صناعة الإعراب"، الزمخشري ومن كتبه "الكشَّاف، أساس البلاغة"، وغيرهم من العلماء والنحاة.

تولدت هذه المدرسة في بغداد باتباع نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري نهجاً جديداً في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعاً، وكان من أهم ما هياً لهذا الاتجاه الجديد أن أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابيهما والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة في ذلك العصر.

ومن الأمور التي كانت من هذا الجيل من يغلب عليه الميل إلى الآراء الكوفية وممن يغلب عليه الميل إلى الآراء البصرية، فاضطرب كتاب التراجم والطبقات إزاءه، فمنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين الكوفية والبصرية على نحو ما صنع الزبيدي في طبقاته ومنهم من أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست، وإن كان قد أدخل فيهم نفرأ ليس لهم نشاط نحوي مذکور مثل ابن قتيبة وأبي حنيفة الدينوري وغيرهم من العلماء النحويين

ومع ذلك كان تثقفهم بالنحو البصرى وما بسط فيه من العلل والمقاييس ووجوه الاحتجاج مادة صاغوا منها عمله، وبذلك تتضح لنا صحة ما رواه صاحب الإنصاف من احتجاجات الكوفيين بإزاء احتجاجات البصريين فإن من يبحث عن هذه الاحتجاجات فيما وصلنا من كتابات الفراء وثعلب قلما يجد لها أصلا عندهما ، مما قد يدعو إلى الشك في صحتها وأنها قد تكون من عمل البصريين، إنما هي من عمل أوائل البغداديين ، ممن حاولوا - كما لاحظ الزجاجي - الاحتجاج للآراء الكوفية والاحتياط لها والتلطف في بيانها. وهم أنفسهم الذين يطلق عليهم ابن جنى تارة اسم الكوفيين مدمجا فيهم سابقهم من أمثال الكسائي والفراء، وتارة يطلق عليهم اسم البغداديين ، يقصدهم وحدهم دون من تقدموهم من الكوفيين، وهو الاسم الصحيح الذى يتطابق مع ما أكدته كتب التراجم من خلطهم بين آراء المدرستين الكوفية والبصرية ، كما لاحظ على ذلك الأئمة من المؤرخين.

المدرسة الأندلسية

تكونت هذه المدرسة وتطوّرت في الأندلس على أيدي كثير من العلماء الذين تعلّموا على أيدي النحاة في البصرة والكوفة وأخذوا أيضاً من بعض النحاة في بغداد، وأضافوا إلى ذلك كثير من القواعد، فبعد دخول العرب إلى الأندلس كان المسلمون هناك بحاجة لمثل هذا العلم لنشر العربية وتعليمها لقراءة القرآن الكريم ولتعليم من أسلم من العجم اللغة العربية .

وكان من أصحاب هذه المدرسة: ابن مضاء ومن كتبه "المشرق في النحو"، وابن عصفور ومن كتبه: "المقرب، الممتع، مختصر المحتسب"، وابن مالك ومن كتبه: "الألفية، الكافية الشافية، التسهيل وشرحه، إيجاز التعريف"، وما زالت ألفية ابن مالك تدرس في المناهج التعليمية حتى أيامنا هذه و هو كتاب بصورة نظم.

حينما كان بنو أمية بالأندلس في الخلافة في سنة (١٣٨ هـ) حتى تنشأت طبقة كبيرة من المؤدبين الذين كانوا يعلمون الشباب في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية عن طريق مدارس النصوص والأشعار، يدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته، وبذلك كان أكثرهم من قراء الذكر الحكيم، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقون هذه القراءات ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها للناس بجميع شاراتها كما يرسمون لهم العربية، بمقوماتها اللغوية من الخبرات المختلفة.

والذي يظهر ويبدو أن الأندلس تأخرت في عنايتها بالنحو البصري وأنها صبت عنايتها أولاً على النحو الكوفي مقتدية بنحوها الأول "جودى بن عثمان"، حتى إذا أصبحنا في أواخر القرن الثالث الهجرى وجدنا الأفشنيق محمد بن موسى ابن هاشم المتوفى سنة ٣٠٧ يرحل إلى المشرق ويلقى بمصر أبا جعفر الدينوري، ويأخذ عنه كتاب سيبويه رواية ويقرؤه بقرطبة لطلابه. ويأخذ غير نحوي في مدارس الكتاب مثل أحمد بن يوسف بن حجاج المتوفى سنة ٣٣٦ وكان يضع دائماً كتاب سيبويه بين يديه ولا يرغب عن مطالعته في حال فراغه وشغله وصحته وسقمه،⁹⁰ وكانت هذه من البداية النحوية هناك بحيث إنه نضجت على وجه غير أنها لم تطل على ذلك إلى سنوات.

المدرسة المصرية

كانت ولادة هذه المدرسة النحوية في مصر بعد مدرستي البصرة والكوفة وقد أخذ علماءها عن نحاة البصرة والكوفة واجتهدوا في بعض الفروع والأمور التي لا تعدّ من أساسيات وركائز النحو بحيث أنهم كانوا متسلمين على القاعدة العامة النحوية في معظم الأحوال. ومن أشهر رجالها: ابن الحاجب ومن كتبه "الكافية، الشافية"، ابن هشام ومن كتبه "مغني اللبيب عن كتاب الأعراب، و

⁹⁰ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 288

أوضح المسالك، وشذور الذهب، و قطر الندى وبل الصدى"، و السيوطي ومن كتبه "المزهر،
و"الافتراح في أصول النحو " وغيرها.

وليس من العجب أن تنشط دراسات النحو في مصر مبكرة مع العناية بضبط القرآن
الكريم وقراءته ، مما دفع إلى نشوء طبقة من المؤدبين على غرار ما حدث بالأندلس، كانوا يعلمون
الشباب في الفسطاط والإسكندرية مبادئ العربية حتى يحسنوا تلاوة الذكر الحكيم ، وأسهم في
ذلك معهم غير عالم ممن كانت تجذبهم مصر إليها .

وكان من أقدم تلك العلماء عبد الرحمن بن هرمز تلميذ أبي الأسود الدؤلى المتوفى
بالإسكندرية سنة ١١٧ للهجرة، كما أنه كان ممن أذاع نطق الإعراب ونقط الإعجام في المصحف ،
وإنه كان من جلة القراء، وكان قد أخذ القراءة عن عبد الله بن العباس وأبي هريرة رضي الله
عنهما، وعنه أخذها نافع ابن أبي نعيم مقرئ أهل المدينة وأحد القراء السبعة المشهورين، فانتهدت
إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية ، وكان ماهراً في العربية ، وحمل عنه قراءته كثيرون أذاعوها لا
في مصر وحدها، بل أيضاً في الأندلس وفي المغرب ولا تزال شائعة به إلى اليوم ، كما أن دوره هنا
ساعد كثيراً في تشكيل الصورة المذكورة للغة العربية في مصر.

وبينما كان الأمر كذلك في القرن الرابع الهجرى لعصر الدولة الإخشيدية حتى تظهر طائفة
من النحاة الناهيين في مقدمتهم كراع النمل وأبو العباس أحمد بن ولاد . وكراع النمل هو على بن
الحسن الهنائي الأزدي ، عاش حتى سنة ٣٢٠ وقد رحل إلى بغداد، وأخذ عن النحويين البصريين
والكوفيين . وكان يمزج في مصنفاته بين آرائهما وكان إلى آراء البصريين أميل . وكان كل ذلك مما
مكنت الأوضاع الحسنة لقدم مدرسة نحوية في مصر.

الخلافاً النحوية بين البصريين والكوفيين

والذي يدرك من الدراسات القاطبة عن الاختلافات بين المدرسة البصرية وبين المدرسة الكوفية بأنها وقعت من جراء تلك الأوضاع التي تسببت لنشأتهما وتكونت عليها الأمور العلمية والاجتماعية والسياسية، كما أشيرت إلى تلك الأوضاع سابقاً. وإن كانت هذه الاختلافات ليست بالشدة في الدعوى والتقديم في بعض من المظاهر النحوية كانت عنيفة في بعضها. كان الكوفيون في المدرسة النحوية الكوفيّة يخالفون البصريين في المدرسة النحوية البصرية في معظم القواعد النحوية الأساسية والفرعية .

و مع ذلك كان أكثر ما يميّز المدرسة الكوفية اتّساعها في رواية الشعر وعبارات اللغة العربية عن جميع العرب بدوهم وحضرهم، أما في المدرسة البصرية فكانوا يتشدّدون في فصاحة وبلاغة العربيّ الذين سيأخذون عنه اللغة والشعر وغيرها، وكان هذا بداية الخلاف الكبير بين المدرستين والذي امتدّ حتى شمل فيما بعد القياس وضبط القواعد الفقهية، ولكن مع الزمن فضّل الناس المدرسة البصرية على الكوفية لسهولة ومنطقيّتها أكثر من المدرسة الكوفية ولما أنها أقدم منها.

هناك كثير من الأمثلة الفرعية والأصلية بين هاتين المدرستين في قواعد النحو العربي غير أننا نقول النبذة اليسيرة منها:-

- مصطلح التقريب: وقد خصّ الكوفيّون به اسم الإشارة "هذا"، مثلاً في قول: هذا زيدٌ قائماً. جعلوه من أخوات كان، وما يليه اسمٌ وخبرٌ منصوب، أمّا البصريون فيعربون قائماً حالاً، ويجعلون ما قبلها مبتدأً وخبراً .
- مصطلح المكنى والكناية: يقصد الكوفيّون به الضمير، وكانوا يصطلحون على تسمية ضمير الشأن باسم مجهول مثل: إنّه اليوم حار، وتسمية ضمير الفصل باسم "العماد" في مثل: خالد هو الشاعر .

- مصطلح الصرف: جعله الفراء لنصب المفعول معه، ورأى البصريون أنه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو .
- اصطلاح المفاعيل: لا يطلق الكوفيون كلمة مفعول إلا على المفعول به فقط، أما ما تبقى من بقيّة المفاعيل فيطلقون عليها أشباه مفاعيل، وسمّى الكوفيّون الظرف باسم الصفة والمحل، وسمّوا البدل باسم الترجمة، وسمّوا التمييز باسم التفسير، وسمّوا لا نافية للجنس في: لا رجل في البيت، باسم لا التبرئة .
- اصطلاح حرف النفي: سمّى الكوفيّون حرف النفي باسم حرف الجحد أي الإنكار، وسمّوا المصروف والممنوع من الصرف باسم "ما يجري وما لا يجري" .
- اصطلاح لام الابتداء: سمّى الكوفيّون لام الابتداء في قول: لخليئ كاتب، لام القسم زاعمين أنّ الجملة جواب قسم مقدّر .

الباب الثاني

التقدير اللغوي للقرآن الكريم

- | | |
|--------------|---------------------------------------|
| الفصل الأول | : اللغة العربية والآيات القرآنية |
| الفصل الثاني | : الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم |
| الفصل الثالث | : أسس النحو القرآني وخصائصه |
| الفصل الرابع | : الإعجاز النحوي للقرآن الكريم |
| الفصل الخامس | : التعامل الإعرابي في القرآن الكريم |
| الفصل السادس | : الاتجاهات اللغوية الحديثة مع القرآن |

الباب الثاني التقدير اللغوي للقرآن الكريم

الفصل الأول: اللغة العربية والآيات القرآنية

لا نقدر للوقوف على المفاهيم النحوية القرآنية إلا بالاطلاع على الربط والعلاقة بين اللغة والنحو وعلى مظاهرها في الآيات القرآنية. ما هي اللغة؟ وما وظائفها؟ كيف تتأثر اللغة بالنحو؟ وكيف النحو يظهر في اللغة..؟ أسئلة نبحت أجوبتها من هذا الفصل إن شاء الله.

اللغة

تعريف اللغة لغةً – معنى لغوي ، وهو ما تسجله معاجم اللغة - في قول إمام الحرمين حيث يقول في كتابه "البرهان" : اللغة من لغى يلغى من باب رضي يرضى إذا لهج بالكلام ، وقيل من لغى يلغى . والذي ذكر الأستاذ ابن الحاجب⁹¹ في مختصره : حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى. وقال الأسنوي⁹² في شرح منهاج الأصول : اللغات : عبارة عن الألفاظ الموضوعية للمعاني .

قال أبو الفتح ابن جني في الخصائص : حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. ثم قال : وأما تصر يفها فهي فعلة من لغوت أى تكلمت ، وأصلها لغو⁹³ وقيل منها لغى⁹⁴ يلغى إذا هذى ، وكذلك اللغو ، قال تعالى: " وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا " ⁹⁵. أي بالباطل . وفي الحديث : من قال في الجمعة صه فقد لغا - رواه أحمد وأبو داود - : أي تكلم . انتهى

⁹¹ هو عثمان بن عمر بن أبي بكر من مشاهير علماء اللغة العربية

⁹² هو جمال الدين عبد الرحمان بن حسن الأسنوي

⁹³ في الخصائص : أصلها لغة ككرة . وفي اللسان : أصلها لغوة ، وقيل أصلها لغى أولغو . وقال مصحح طبعة بولات في تحرير الصواب : " وأصلها لغو " ، أي قبل الإعلال والتعويض . ثم استنقلت الحركة على الواو فنقلت للساكن قبلها وهو الغين فبقيت الواو ساكنة فحذفت وعوض عنها هاء التانيث . ووزنها بعد الإعلال فحة بحذف اللام كما لا يخفى ، وقوله : ككرة تشبيه لها بها بعد الاعلال والتعويض ، وإلا لقال ككرو ، وإعلالهما واحد

⁹⁴ هكذا في الخصائص واللسان

⁹⁵ سورة الفرقان - 72

اللغة: اللُّسُنُ وَحَدَّهَا أَنَّهَا أَصْوَاتٌ يَعْبُرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ، وَقِيلَ: أَصْلُهَا لُغِيٌّ أَوْ لُغُوٌّ، وَ الْهَاءُ عَوْضٌ وَجَمْعُهَا لُغَىٌّ، وَالْجَمْعُ لُغَاتٌ بِالضَّمِّ وَلُغُونَ.⁹⁶

لُغَا: اللَّغْوُ وَاللُّغَا: السَّقِيظُ وَمَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ ، وَلَا يُحْصَلُ مِنْهُ عَلَى فَائِدَةٍ وَلَا نَفْعٍ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللُّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ " وَاللُّغْوُ فِي الْأَيْمَانِ مَا لَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ⁹⁷

وَقَدْ وَرَدَ فِي "لُغَاتِ الْعَرَبِ" لِلدَّجْنِيِّ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ الْإِمَامِ الْأَصْمَعِيِّ " لُغَاً يَلُغُو إِذَا حَلَفَ يَمِينًا بِلَا اِعْتِقَادٍ " وَفِي الْكِتَابِ نَفْسَهُ " قِيلَ مَعْنَى اللَّغْوِ الْإِسْمُ ، وَيُقَالُ لُغَوْتُ بِالْيَمِينِ. وَقِيلَ: لُغَاً فِي الْقَوْلِ يَلُغُو وَيَلُغَى لُغَاً وَيَلُغَى بِالْكَسْرِ يَلُغِي وَمَلُغَاً أَخْطَأَ وَقَالَ بَاطِلًا "

وَكَلمة لِأغية: فاحشة، كما قال الله تعالى في التنزيل العزيز: (لا تسمع فيها لأغية) ، أي كلمة قبيحة أو فاحشة

اللغة أخذت من لغا فلان عن الصواب ، وعن الطريق ، إذا مال عنه ، قال ابن الأعرابي هذا لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين . واللغو النطق : يقال : هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون⁹⁸ قال الفيومي : سمعتُ لغاتهم أي : اختلاف كلامهم⁹⁹

وفي الاصطلاح – وهو ما يتفق عليه بين العلماء والجمهور أو بين العلماء فقط - لها معان عديدة:-

يعرّف الإمام ابن جني في كتابه الخصائص بأن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم¹⁰⁰

⁹⁶ لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي فتحي عبد الفتاح الدجني، ص 14

⁹⁷ لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي فتحي عبد الفتاح الدجني، ص 13

⁹⁸ لسان العرب مادة « لغو » ونحوه وأساس البلاغة ص 568 والصحاح

⁹⁹ المصباح المنير ٢ / ٢٢٣

¹⁰⁰ الخصائص، ج 1

وقال ابن خلدون في تعريف معنى اللغة: اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب¹⁰¹

وذكر الشيخ ابن حزم، إن اللغة ألفاظ يعبر بها عن المسميات، وعن المعاني المراد إفهامها، ولكل أمة لغتهم¹⁰²

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: " اللغو في لسان العرب الكلام غير المعقود عليه "¹⁰³

والذي قال الجرجاني في تعريف معنى اللغة في كتابه التعريفات: " ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم "

وقال عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، إن اللغة: " أصوات وألفاظ وتراكيب، تسير وفق نظام خاص بها، لها دلالات ومضامين معينة، يتصل بها الناس فيما بينهم، ويعبرون بها عن حاجاتهم الجسدية، وحالاتهم النفسية، ويستخدمونها في أنشطتهم الفكرية والعلمية، ويحفظون بها تاريخهم وتراثهم وعلومهم "¹⁰⁴

يرى إبراهيم أنيس في تعريفه بأنه " نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض "¹⁰⁵

اللغة في الاصطلاح أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم قاله الإمام شوقي حمادة في كتابه معجم عجائب اللغة¹⁰⁶

¹⁰¹ ابن خلدون، مقدمه، ج 1 ص 265

¹⁰² ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج 1

¹⁰³ لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي فتحي عبد الفتاح الدجني، ص 13

¹⁰⁴ سياسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى 18، 19

¹⁰⁵ اللغة بين القومية والعالمية ص 11

¹⁰⁶ معجم عجائب اللغة 9

اللغة توقيفية أم وضعية؟

اختلفَ الباحثون حول أصل اللغة أهي توقيفية -أي من عند الله تعالى- أم وضعية واصطلاحية-أي شكّلها العلماء من الأسلاف-يرى الجمهور من العلماء أنّ أصل اللغة هو التلقين، وذلك من خلال عرض المُسمّيات واحدةً تلو الأخرى، وسماع التسمية. يرى بعضهم¹⁰⁷ أنّ أصل اللغة هو الإلهام؛ حيث إنّ الإنسان يُلهَم بالكلام كما أن الحيوان يُلهَم بالأصوات. يقولون على هذا أن أصل اللغة فطريّ؛ كما أن خَلَقَ الله سبحانه وتعالى بني آدم، وهم يملكون غريزةً تدفعهم للتعبير عن كلّ ما يدركون حسياً، أو معنوياً بعبارات مُعيّنة، ويوصل هذا التعبير إلى الأصوات والألفاظ، ثمّ بدأت اللغة تنمو عبر التحدث والتعبير شفويا، حيث أن الإنسان اكتسب التعبير ليس العبارة .

وظائف اللغة

اللغة هي وسيلة لاتصال الإنسان مع الأغيار، ويحصل الشخص بهذا الاتصال مطلوباته وينال حاجاته، كما أن اللغة طريقة لإظهار مشاعيره من الآلام والأوجاع والآمال والعواطف وغيرها. وهذا هو الفرق الأكبر والأظهر بين الإنسان وغيره من المخلوقات. واللغة توفر للأقوام فرصا كثيرة مختلفة لانتهاز الأواني والأوقات، واللغة أداة حاسمة للأشخاص لإقناع غيره في ميادين المناقشات والمجادلات والمناظرات وتقديم الآراء في أمر من الأمور الحيوية .

¹⁰⁷ منهم الإمام ابن تيمية

اللغة العربية

تحمل اللغة العربية تاريخاً مزهراً نقياً لا يملكه أحد من اللغات الحية في العالم حيث أن لها قدم الإنسانية أو أكثر من ذلك. وهذا ما قررت وأجمعت عليها معظم العلماء والمؤرخون صرح به في كتبهم التاريخية واللغوية.

والعرب يتكلمون في عصر الجاهلية باللغة بصورة سهلة سلسة، وكانت الأسواق تقام بها المجالس الأدبية، مثل سوق عكاظ وذي المجاز وذي المجنة، تُجرى فيها المؤتمرات والندوات، والجميع يقدم و يلقي ما يريدون من الشعر مما يندشئون أو يحفظونه، وكذلك كانت الأسواق مثل عكاظ سوقاً للخطابة، يرئسها المتبرعون والمفوهون، ومن أشهر الخطباء في ذلك العصر قس بن ساعدة الإيادي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي وغيرهما، كما أنهم كانوا يتسابقون ويتبارون ويتفاخرون ويتعاطمون بما عندهم من موهبات البلاغة والبيان والذوق السليم .

ولدت ونشأت اللغة العربية هكذا في أراضي جزيرة العرب خالصة لأبنائها، نقيّة طيبة سليمة لا يشوبها ما يكدّرها، ويزعج سلامتها؛ ومما يظهر أنّ التدرّس اللغوي لم يكن موجوداً في ذلك الزمان؛ لما أن كانت الأسباب الموجبة لتعليم اللغة العربية غائبة آنذاك فكانت الألسنة مستقيمة ، والقوانين والقواعد اللغوية قارّة ثابتة في الأذهان، مع أن القبائل لم يخالطها الأعاجم ولم تتعرف إلا العربية .

تاريخ اللغة العربية

على الرغم أن أجمع الباحثون في تاريخ اللغة العربية بأنه لا يعرف أحد شيئاً تاماً قاطباً عن تاريخ اللغة العربية وعن طفولتها وعن نشأتها الباكرة، والشئ الأقدم المعروف الموصول إلينا حول إدراك الملامح التاريخية لها يعود إلى القرن الخامس الميلادي. تتولد اللغة العربية من لغات معروفة في

الأدب باسم اللغات السامية كما أنها لغة نشأت من شبه الجزيرة العربية ، حيث كان يوجد الكثير من اللهجات المختلفة .

" اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية، انشعبت هي وهن من أرومة واحدة نبتت في أرض واحدة ، فلما خرج الساميون من مهدهم لتكاثر عددهم اختلفت لغتهم الأولى ، وزاد هذا الاختلاف انقطاع الصلة وتأثير البيئة وتراخي الزمن حتى أصبحت كل لهجة منها لغة مستقلة . ويقال أن أحبار اليهود هم أول من فطن إلى ما بين اللغات السامية من علاقة وتشابه في أثناء القرون الوسيطة ، ولكن علماء المشرقيات من الأوربيين هم الذين أثبتوا هذه العلاقة بالنصوص حتى جعلوها حقيقة علمية لا إبهام فيها ولا شك ، والعلماء يردون اللغات السامية إلى الآرامية والكنعانية والعربية ، كما يردون اللغات الآرية إلى اللاتينية واليونانية والسنسكريتية . فالآرامية أصل الكلدانية والآشورية والسريانية ، والكنعانية مصدر العبرانية والفينيقية ، والعربية تشمل المضرية الفصحى ولهجات مختلفة تكلمتها قبائل اليمن والحبشة ، والراجح في الرأي أن العربية أقرب المصادر الثلاثة إلى اللغة الأم ، لأنها بانعزالها عن العالم سلمت مما أصاب غيرها من التطور والتغير ، وليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة العربية ، لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفرة الشباب والنماء ، والنصوص الحجرية التي أخرجت بطون الجزيرة لا تزال لندرتها قليلة الغناء ، وحدوث هذه الأطوار التي أتت على اللغة فوحدت لهجاتها وهذبت كلماتها معلوم بأدلة العقل والنقل ، فإن العرب كانوا أميين ، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك ومن اختلاف الوضع والارتجال ومن كثرة الحل والترحال وتأثير الخلطة والاعتزال اضطراب في اللغة كالترادف ، واختلاف اللهجات في الإبدال والإعلال والبناء والإعراب "108

خصائص اللغة العربية

108 تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن زيات ج 1 ص 13

اللغة العربية لغة تتميز من سائر اللغات بأسباب شتى بخصائصها البنيوية والمعنوية والدينية والتاريخية والثقافية وغيرها من ميزاتها العديدة. وهي لغة اشتقاقية لما أنها عبارة عن تولّد بعض الكلمات من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويظهر بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يظهر بمعناها الخاص الجديد. ويعد الإعراب من أبرز خصائص اللغة العربية، ومراعاته تعد الفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة في اللفظ، إذ أنه يمكن تمييز الكلام عن طريق الإعراب، وفي ذلك يقول ابن فارس: "من العلوم الجليلة التي خصت به العربية الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا نعت من توكيد"¹⁰⁹

الميزة التاريخية

اللغة العربيّة تُعتَبَر من أقدم اللغات المعروفة في العالم، على الرّغم من أنها قديمة لا تزال تفتخر بخصوصيات تتميز بها عن سائر اللغات الحية في هذه المعمورة. وهذه الخصائص مثل التراكيب والألفاظ، ، والصّرف، والبلاغة والنّحو، والأدب، والخيال، وغيرها كما حصلت اللغة العربيّة القُدرة الكافية على التعبير عن الميادين العلميّة المُختلفة، وتُعتبر هذه اللهجة القرآنيّة أمّاً لكل اللغات المشهورة باللغات الإعرابيّة، التي ولدت ونشأت في شبه الجزيرة العربيّة، أو العربيّات المُتمثّلة بالبابليّة، والجَميريّة، والآراميّة، والحبشيّة، والعبريّة وغيرها من اللغات وفروعها .

الميزة الدينية

و لقد شرف الله سبحانه وتعالى اللغة العربية تشريفاً إلهياً عظيماً لم تحصل عليه أية لغة أخرى في هذا العالم من قديم الزمان إلى هذا العصر، وكان ممّا زاد من درجتها ورتبتها أن اختار الله جل وعلا القرآن الكريم لنزوله باللغة العربية، كما أن نزول الوحي على النبي محمد -صلى الله عليه

¹⁰⁹ الصحاحي في فقه اللغة وسانن العربية في كلامها أحمد ابن فارس

وسلم- كان بهذه اللغة، و ممّا رفع من شأنها أن لا يصح أداء الصلوات الخمس التي هي من الأركان الأساسية للإسلام إلا باللغة العربية حيث تؤدي في جميع بقاع العالم كل يوم حتى لا يخلو وقت في ظهر الأرض إلا وقد تسمع هذه اللغة الرقية هناك، وزاد على ذلك من أهمية الإعتناء بها، وضرورة الاحتفاظ عليها أن تصبح هذه العربية لغة إنسانية عالمية كبرى .

لما أن الدين الإسلام الحنيف ما زال ولا يزال يقوم في الدرجات العالية المذكورة حسب عدد أصحابها وحاملها، لا مندوحة لأحد ممن له أدنى شوق إلى الوقوف على رسالات هذا الدين القويم إلا أن يتعلم هذه اللغة الرائعة كما يكثر ويزداد عدد من يستخدمونها ويتحدثون بها ويستفيدون منها يوماً فيوماً .

العربية كلغة القرآن

مما زاد من التفكير وإجراء الدراسات من بين العلماء عن الأسباب التي ساعدت اللغة العربية لأن تُختار لغةً مقدسة للقرآن الكريم. وقد قام العلماء من السلف والخلف بالبحث التام عن هذا حيث بينوا آراءهم في كتهم اللغوية والتفسيرية، كما نرى ذلك في كتاب التحرير والتنوير " أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتاباً مُخاطباً به كُلُّ الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلُغَةً هي أفصحُ كلامٍ بين لغات البشر وهي اللغة العربية، لأسبابٍ يلوحُ لي منها، أنّ تلك اللغة أوفَرُ اللغات مادةً، وأقلها حروفاً، وأفصحها لهجةً، وأكثرها تصرُّفاً في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظاً، وجَعَلَهُ جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحملة اللغة العربية في نَظْمِ تراكيبها من المعاني، في أقلِّ ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قِوامُ أساليبه جارياً على أسلوب الإيجاز؛ فلذلك كَثُرَ فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب "110

¹¹⁰ التحرير والتنوير لمحمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1/95، 96).

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن اللغة التي اختارها الله لنزول القرآن الكريم هي اللغة العربية كما ورد في سورة يوسف " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ¹¹¹ ومع ذلك قد وضع الله تعالى السبب الحقيقي لعدم نزول القرآن في غير العربية بقوله " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ " ¹¹²

ولو أن القرآن قد نزل في غير اللغة العربية لیتوصل الكفار من أهل الكتاب والمشركين إلى القول بأنهم لا يفهمون هذه اللغة الأعجمية للقرآن حتى لا يدركون المعاني الإسلامية ليدخلوا الإسلام، ولذلك أنزل الله جل وعلا في لسان القوم المخاطبين. علاوة على ذلك، ينبغي أن ينزل أي كتاب سماوي بلغة الرسول الذي يقوم بتفصيل ذلك الكتاب، لأن يتمكن من التعرف والتعريف به بوجه عادي طبيعي .

ومن الواضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتحدث بقومه باللغة العربية لما أن أي رسول لا بُدَّ أن يتحدث إلا بلسان القوم المرسل إليهم ، وهذا ما أشار إليه القرآن: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " فكان من الأمر الطبيعي أن يتم نزول القرآن بلسان الرسول المنزل إليه ولسان قومه الذين يدعواهم ويخاطبهم.

وهذه من الأسباب الدينية الإلهية لها، غير أن هناك أسباب عقلية ثابتة لأن يختار الله تعالى هذه اللغة للقرآن حيث أنها ترجع إلى تلك الخصائص البارزة للغة العربية ميزتها عن غيرها من اللغات، وهذه الأسباب تتعلق ببناء اللغة العربية وتكوينها نذكر نبذة منها على وجه الاختصار :-

¹¹¹ سورة يوسف 2-

¹¹² سورة فصلت 44

(1) الاعتدال:- لما أن أكثر كلمات اللغة العربية ثلاثي الوضع مثل "فعل" وقليل منها يأتي على وزن "فعلل" رباعياً يمنع طول النطق وعسره ويخلو من الإكثار من الكلمات الثنائية خشية توالي كلمات عدة في العبارة الواحدة .

(2) اتساع معجمها:- وقد وضعت ألفاظ متعددة للمعنى الواحد في اللغة العربية لزيادة وسائل الفهم والإدراك عن المعنى الواحد حسب حالاتها المتنوعة كما قد وضعت للفظ الواحد معان عديدة وافرة، وهذه الخصوصية من الميزات المشهورة للغة العربية لدي الجميع. والكلمات مثل ضرب، العين، الكوثر، الأمة...تحمل معان متعددة متنوعة كما أن لبعض الكلمات مثل الأسد والسيف والهيم والفرح.....ألفاظ كثيرة تمثل معناها الحقيقي ". .

(3) طريقة التوليد:- يتمكن من يستعمل اللغة العربية ويتعامل معها توليد كلمة من أخرى بصورة سهلة كما ننشأ كلمات متفرقة من كلمة "كتب" مثلا (كتب - كتاب - مكتبة - مكتب - كتيبة) وهذا مما لا نجده في اللغات غير العربية حيث لا نقدر الإنشاء مثل هذا فمثلا يكون هذا في الإنجليزية (Write-Book-Library-Office-Draft)

إن اختيار الله سبحانه وتعالى اللغة العربية لكلامه المنزل يعلن مكانة تلك اللغة الشامخة حيث فضلها الله أفصح اللغات وأرفعها تاريخاً وأعلها ثقافة وأقدمها عزة ورفعاً لما أن اللغة العربية بنفسها قد أضمّرت فضائل قيمة ومحاسن جادة خارج ما منحها القرآن الكريم. وكانت هذه اللغة مطابقة مناسبة لتعبير المعاني الإلهية ببنائها وجودة تراكيبها وقوة فصاحتها وبلاغتها وميزة أدائها. وكان نزول القرآن بهذه اللهجة الإلهية زادت من شرفها وعظمتها .

ومن المقرر أنه كان لنزول القرآن الكريم باللغة العربية أكبر الأثر في تقوية هذه اللغة إتقان سلطتها على القلوب والألسنة وتطهيرها وتهذيبها وتوسع أهدافها التعبيرية وتنوع القول فيها، ويظهر ذلك في تعدد المعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ. ومما يظهر أن أسلوب القرآن الكريم قد أثر

قلوب العرب تأثراً بالغاً حيث انطبعت في لغتهم العذوبة والفصاحة والجزالة والمتانة كما أن القرآن عامل بقلوب قاسية فزكاها وطباعات صلبة فألأنها ووَقِرَ للغة العربية عذوبة لفظ، ورقة أسلوب، وسماحة ترتيب، وقوة حجة، ورزانة منطق، ودقة أداء، وغزارة معنى .

وكان للقرآن الكريم الفضل الكبير لتهديب اللغة العربية من الحوشية وقيادتها إلى السهولة ومتانة التركيب ووضوح القصد من أبرز الطرق وأجود الأساليب، وكان المسلمون طالما رطبوا شفاههم وألستهم بآياته في صلاتهم وعباداتهم، وأدركوا مظاهر الأدب الأعلى المعجز في عباراته وأمثاله واستعاراته ومجازه وكناياته وتمثيله، وإن كان القرآن الكريم جانس لغتهم في مادتها تركيبها وبنائها، إنما جاء مخالفاً لكلام العرب في الطريقة والمذهب وفي المنزلة والمصنعة، ولولا ذلك لسار مع كلامهم حتى يكون سبيله سبيل القصائد والخطب والأقاصيص وغيرها... ويكون مثله حينئذ مثل ما يرى من أمور الإنسان العادي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد بآياته أن لا يكون كذلك، فأنزل القرآن حاوياً لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتميز، وكانت تلك الإرادة بهذه الطريقة المعجزة سبباً في احتفاظ اللغة العربية وإدراك كل العلوم المتعلقة بها .

و كانت من بدايات الأمور التي أظهر بها الله تعالى سحرية اللغة العربية التحدي بالقرآن للإتيان بمثله حيث كان ذلك التحدي من حكمته جل وعلا أن ينظر العرب في أساليب القرآن ووجه نظمه، ليتدبروا طريقته، ويجربوا علمها أنفسهم ويحملوها على الاتيان بما تحداهم به إن استطاعوا، حتى استيقنوا بأن لا يقدرّون لنظم أية عبارات أو سطور تساوي الآيات القرآنية وأجمعوا على ذلك بقضهم وقضيضهم لما أن القرآن الكريم أضاف معاني جديدة وأساليب طريفة لم يعرفوها من قبل، وتراكيب ممتازة لم يسمعوها وتعبيرات غريبة لم يألفوا بها، وذلك مما أكسب اللغة العربية ذلك الثراء الوافر والجمال الباهر .

وإن كان العرب ذوي مقدرات باهية في الآداب وفنونها كان نزول القرآن الكريم بآتم الفصاحة وأكملها مما جعل منتوجاتهم الأدبية من الأشعار والخطب والأمثال والرسائل وغيرها أن تضمحل حتى بدأوا لتضمين منتوجاتهم الأدبية بعض المعاني القرآنية حيث تأثروا بأساليب القرآن الأنيقة ومعانيه الجليلة كما يبدو ذلك في كثير من الأشعار العربية القديمة المنظمة في عصر الإسلام وفي عصر الأموية والعباسية كما يستمر إلى عصرنا هذا، وبذلك كان كل من قدموا لمعارضة القرآن بمحاولة إتيان ما يماثله سورة أو آية ، سقط في تأثر القرآن في ما قرضوهم وألفوهم فضلا عن بناء الآيات والسور. وبعض الأمثلة التالية تذكرنا كيف كانت تلك العلاقة الوطيدة بين اللغة العربية والقرآن وكم أثر القرآن الكريم في أقوال العرب وفي أشعارهم وحياتهم اليومية .

قال حسّان بن ثابت في رثاء الرسول، صلوات الله عليه:

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجِيدُوا عَنِ الْهَوَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

أخذه من آية: " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ¹¹³

وقال أبو الأسود الدؤلي، يمدح آل البيت:

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيًّا

فقيل له: شككت يا أبا الأسود، فقال: أما سمعتم قول الله عز وجل: " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "

وقال ابن قيس الرقيات:

¹¹³ القرآن الكريم التوبة 128

¹¹⁴ القرآن الكريم سورة السبا 24

يَأْمُرُ النَّاسَ أَنْ يَبْرُوا وَيَنْسَى وَعَلَيْهِ مِنْ كِبَرِهِ جَلْبَابٌ

أخذه من آية: " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ "115

وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك:

بُعِثْتَ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَبِرًّا لِأَرْبَابِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ

كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى فِتْرَةٍ وَالنَّاسِ مِثْلُ الْبَهَائِمِ

المعنى في البيتين من آية: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "116 وآية: إِذْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ 117

وقال مروان بن أبي حفصة يمدح المهدي، ويحتج لحق بني العباس في الخلافة:

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفِكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا

أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالَهَ عَن رَّبِّكُمْ جِبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ يَتَرَاثِمُ فَأَرَدْتُمُو إِبْطَالَهَا

يشير إلى قوله تعالى: " وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ

وقال أبو تمام يمدح المعتصم:

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

115 القرآن الكريم البقرة 44

116 القرآن الكريم الأنبياء 107

117 القرآن الكريم، المائدة 30

118 القرآن الكريم، الأنفال 75

أخذه من آية: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ"

وقال المتنبي يمدح المغيث العجلي بالتخلي عن صحبة المال:

تُحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ تُصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُدَامٌ

فيه إشارة إلى قوله تعالى " فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ "

وقال المعري في رثاء فقيهه:

طَالَمَا أَخْرَجَ الْحَزِينَ جَوَى الْحُزِّ نِ إِلَى غَيْرِ لِأَتَقِي بِالسَّدَادِ

مِثْلَ مَا فَاتَتْ الصَّلَاةُ سُلَيْمًا نَ فَأَنْحَى عَلَى رِقَابِ الْجِيَادِ

يشير البيت الثاني إلى آية: " فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا

عَلَيَّ فْفَطَفَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ

والذي يفهم بأن اللغة العربية فقط استطاعت وتستطيع لأن تكون مظهرا قويا لتعبير معاني الآيات القرآنية الجليلة على الصورة الحقيقية التي أرادها الله تعالى جامعا شاملا كافيا متضمنا لجميع المطلوبات ومتجنبنا للمتروكات حيث لعبت هذه اللهجة دور ما يفعل به نفس الإنسان ليقوم الروح فيه كما أن الكلام المقدس المعجز من عند الله تعالى لم يظهر لنا إلا بهذه اللهجة القرآنية النيرة .

الفصل الثاني : الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم

وقد تَوَضَّحَ بالنقل والعقل أن القرآن الكريم كتاب مقدس منزل من الباري تعالى كما أنه ذو إعجاز باهر وعجب ظاهر بعديدة من أنواعه، بحيث أن العلماء قد قاموا بتفصيل الإعجازات القرآنية بجميع الوجوه والأصناف بحذافيرها، وبينوا الأمور المتعلقة بها عبر كتبهم المتنوعة بالدلائل

الكافية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومن أقوال العلماء العباقر من المفسرين والمحدثين وغيرهم .

فأولا نخوض إلى معرفة مفهوم الإعجاز:-

تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا

عندنا فعلان: أحدهما: ثلاثي، والآخر رباعي. الثلاثي: عجز، يعجز فهو عاجز، ومصدر الفعل هو: العجز. أما الرباعي: فهو أعجز، يعجز فهو معجز ومصدر الفعل هو الإعجاز. المعجزة إذاً: هو اسم الفاعل المؤنث من فعل ذلك الفعل

يقول أحمد بن فارس بن زكريا في كتابه مقاييس اللغة: العين والجيم والزاء (ع ج ز) أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء والأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي: ضعيف، ويقال: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، الثاني: العجز مؤخر الشيء والجمع أعجاز¹¹⁹. و مدار مادة (عجز) في اللغة على التأخر عن الشيء، والقصور عن فعله، ومنه دلالة الإعجاز على (الفوت والسبق)، وعدم القدرة على الإدراك .

والإعجاز في الاصطلاح أمر خارق للعادة يظهره على نبي تأييدا لنبوته وما يعجز البشر أن يأتوا بمثله¹²⁰.

يقول صاحب كتاب شرح العقائد العضدية المعجزة أمر يظهر على خلاف العادة على من يدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا يمكنهم معارضته¹²¹

¹¹⁹ أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دارالفكر 1399 هـ - 6999 م، ص، 9

¹²⁰ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط9، مكتبة الشروق الدولية، 9004، ص 164.

¹²¹ شرح الجلال على العقائد العضدية لجلال الدين الدواني، 276/2.

وقد عرّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: " وإنما الإعجاز شيطان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته. ثم استمر هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت ¹²²

وهو قدرة القرآن على أن يكون في أرفع مراتب التمييز والتفوق في الفصاحة والبلاغة والبيان والأحكام كلها بحيث يعجز ولا يقدر البشر أن يأتوا بمثله وقد تحدى به العرب وغير العرب في حال أن العرب كانوا يفتخرون بفصاحتهم ويعتزون ببيانهم تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله ، فإن عجزوا عن ذلك فلا مناص ولا ملجأ من تسليمهم بأنه كتاب إلهي معجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

تعريف القرآن

مفهوم القرآن في اللغة:-

اختلف أهل العلم في لفظ "قرآن" من جهة أنه مشتق أو غيره ومن جهة أنه مهموز أو غير مهموز ومن جهة أنه مصدر أو وصف على آراء متفرقة:

القول الأول إنه "اسم علم غير منقول" وضع من أول الأمر علماً على الكلام المنزّل على محمد صلى الله عليه واله وسلم، وهو اسم جامد غير مهموز، مثل التوراة والإنجيل، وهذا القول مما روي عن جماعة من العلماء منهم: الشافعي، وابن كثير وغيرهما وقد نقل ابن منظور أن الشافعي كان يقول:

القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت ولكن اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل ¹²³

القول الثاني: هم الذين يقولون بأن لفظ القرآن "مهموز" فقد اختلفوا على رأيين :

¹²² الرافعي: إعجاز القرآن، ص 139

¹²³ لسان العرب (1/ 128) مادة "قرأ"

الأول: أن لفظ القرآن: مصدر "قرأ" بمعنى: "تلا" كالرجحان والغفران،¹²⁴ ثم نُقل من المصدر وجُعِل اسماً للكلام المنزَّل على نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم. ويشهد له قوله تعالى: "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أَي: قراءته"¹²⁵. ، الثاني: أن القرآن: وصف على وزن فعلان مشتق من "الْقُرء" بمعنى الجمع، ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، "وقرأت الشيء قرأناً": جمعته وضممت بعضه إلى بعض¹²⁶ وسمي القرآن قرأناً، لأنه جمع القصص، والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض .

القول الثالث: هم الذين يقولون بأن لفظ القرآن "غير مهموز" لكنهم اختلفوا في أصل اشتقاقه على رأيين:

الرأي الأول: أنه مشتق من "قَرْنْتُ الشيء بالشيء" إذا ضَممت أحدهما إلى الآخر.

قالوا: فسُمي القرآن به: لِقِرَان السُّور والآيات والحروف فيه، ومنه فسُمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران¹²⁷. والرأي الثاني: أنه مشتق من "القرائن" جمع قرينة، لأن آياته يُصدَّق بعضها بعضاً ويُشبه بعضها بعضاً¹²⁸

وفي الاصطلاح القرآن الكريم هو الكلام الإلهي الذي نزل على خاتم الأنبياء وقد بلغه النبي صلى الله عليه واله إلى الأمة ووصل إلينا بالتواتر وقد تكفل الله بحفظه من التحريف كما قال تعالى إِنَّنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .¹²⁹

¹²⁴ مجمع البحرين المؤلف: الشيخ فخر الدين الطريحي الجزء: 3 صفحة: 477

¹²⁵ القيامة، آية: 18

¹²⁶ لسان العرب (1/ 128) مادة قرأ

¹²⁷ البرهان في علوم القرآن (1/ 278) للزركشي.

¹²⁸ الإتيقان في علوم القرآن ص 137 للسيوطي.

¹²⁹ القرآن الكريم سورة الحجر 9

قال الفضلي: هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلا متواترا¹³⁰

وقال السيد محمد باقر الحكيم: القرآن الكريم هو الكلام المعجز المنزل وحيا على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته.¹³¹

وقال الإمام داود العطار: ويمكن القول إن القرآن الكريم هو: وحى الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لفظا ومعنى وأسلوبا، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر¹³² أغراض الإعجاز:- وقد عرف بأن القرآن هو الدليل المعطى للنبيينا محمد ﷺ، وهو يدل على صدقه ومكانته العظيمة عند الله تعالى كني من الأنبياء. ولذلك لا بد له أن يكون معجزا حق الإعجاز. وللإعجاز غرضان مهمان، فالأول أن يثبت به أصالة القرآن بما أنه كتاب إلهي مقدس وبما أنه لا شك في صحته في أنه كتاب سماوي والثاني أن يثبت به صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو المنزل عليه. وقد بدأ أن يظهر مفهوم الإعجاز على صورته في عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بلغ أربعين حتى لا يزال يستمر ذلك إلى الآن .

شروط الإعجاز:- وقد عرض الإمام جلال الدين الدواني الصديقي سبعة شروط لتحقيق الإعجاز "الأول أن يكون فعل الله تعالى أو ما يقوم مقامه من والثاني أن يكون خارقا للعادة والثالث أن يتعذر معارضته والرابع أن يكون مقرونا بالتحدي ولا يشترط التصريح بالتحدي بل يكفي قرائن الأحوال والخامس أن يكون موافقا للدعوى فلو قال معجزتي كذا ففعل خارقا آخر لم يدل على صدقه والسادس أن لا يكون مادعا وأظهره مكذبا له والسابع أن لا يكون المعجزة متقدمة على

¹³⁰ دروس في أصول فقه الإمامية المؤلف: الشيخ عبد الهادي الفضلي الجزء: 1 صفحة: 138

¹³¹ علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص 17

¹³² موجز علوم القرآن، دكتور داود العطار، ص 17.

الدعوى بل مقارنة لها أو متأخرة بزمان يسير يعتاد مثله والخوارق المتقدمة على دعوى النبوة

كرامات "133

مراحل الإعجاز في كلام الله تعالى

وقد أعلن القرآن بعدة آياته العظيمة عبر السور المتنوعة بأن جميع آياته معجز، وكان هذا الإعلان بمراحل شتى. ولما دعا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قريشا إلى الدين الإسلام كذبه أهل بلده وأنكر نبوته وخالفوا القرآن قائلين بأنه غير منزل من عند الله تعالى فقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمعجزة تثبت صدق دعوته ورسالته، وهو القرآن الكريم المعجز المختلف من سائر الكتب. وتحدى الله سبحانه وتعالى معلنا بإعجاز القرآن أن يأتوا بمثلهما فقال أولا {فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين¹³⁴، وبعد ذلك خفف الله هذا التحدي حيث قال: " أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سُورٍ مثله مُفْتَرِيَاتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، ثم زاد جل وعلا من التخفيف فطلب من المنكرين في سورة يونس " أم يقولون افتراه قُل فأتوا بسورة مثله، وبعدئذ صرح الله إعجاز الخلاق لإتيان شيء كما في القرآن بقوله: " قُل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وبعدها يؤكد الله تعالى على إعجاز القرآن واستحالة الإتيان بمثله بصورة الوعد والوعيد بسورة: " فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدَّت للكافرين "

¹³³ شرح الجلال على العقائد العضدية لجلال الدين الدواني، 276، 277/2.

¹³⁴ القرآن الكريم الطور 34

¹³⁵ القرآن الكريم سورة هود

¹³⁶ القرآن الكريم 88

¹³⁷ القرآن الكريم البقرة 24

أنواع الإعجاز:-

الإعجازات للقرآن متنوعة حسب المواضيع المعنوية والتركيبية، ومنها الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي وغيرها. وكل هذه الإعجازات تمثل مسؤوليات متنوعة لمعرفة قدرة القرآن على إيصال المعاني والرسائل إلى أذهان القراء والسامعين بالصورة الإلهية. أما الإعجاز العلمي هو أن يخبر القرآن عن الحقائق الدقيقة والمعلومات القيمة التي لها ارتباط تام بالظواهر الكونية المتنوعة كأسرار هذه المعمورة من عالم الفضاء والبحار والجبال وغيرها مما قد أدرك كنهها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يكن ممكنا إدراكها في زمنه ولم يتم إثباتها إلا بالعلم الحديث .

والإعجاز التشريعي هو تلك التشريعات والأحكام التي تتميز من الأحكام الوضعية بطريقة تستحيل البشرية الإتيان بها وتكون في الأمور الأساسية للدين غالبا. والإعجاز الغيبي هو أن يشير القرآن إلى أمور غيبية تتعلق بالماضي أو الحاضر أو المستقبل بحيث لا يستطيع الإنسان الوقوف عليها والإخبار بها .

الحكمة من إعجاز القرآن

نصغى إلى ما قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله في سورة فصلت سنزيم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .¹³⁸ والذي يفهم منها أن جميع أنواع الإعجاز الذي أظهره الله في القرآن هو للدلالة على أن القرآن كلام حق ثابت منزل من الباري تعالى، بحيث أنه خير شواهد لكل منكري الألوهية للوصول إلى سبيل الرشاد كما أنه من الدلائل المؤكدة لتثبيت وطمأننة قلوب المؤمنين بهذا الدين، ولإعانتهم على محاجة غيرهم وإقناعهم بصحة الإسلام وصدق رسالته

¹³⁸ القرآن الكريم سورة فصلت

لا سيما أولئك الذين يحتاجون إلى دلائل مادية وبراهين علمية. وإضافة إلى ذلك إن من حكمة الإعجاز أنه يسهل الطريق أمام المسلمين للبحث والاستكشاف في عدة الظواهر والعلوم والمعارف ويعطيهم إشارات مطلوبة كافية في هذا المجال .

الميزة اللغوية للقرآن (الإعجاز اللغوي):-

و هذا مما أقر به الأدباء والعلماء الذين تفوقوا وتبحروا في فنون اللغة العربية بأجمعها أن لغة القرآن الكريم عجيبة في أسلوبه، غريبة في صورة أدائه حيث سقط كل من تقدم لمواجهة التحدي الذي عرضه القرآن أمام إعلانات القرآن. هل القرآن الكريم شعر؟ أم هو نثر؟ والحقيقة أن القرآن يختلف في نظمه النثر والشعر ولكنه في نفس الوقت يجمع من خصائصهما ما يعجب المستمعين له، وتتجلى عدة مظاهر يتجلى فيه إعجاز النظم في القرآن. إن الأسلوب القرآني يظهر على نسق طريف خارج عن النظام المعروف من كلام العرب وعباراتهم، فالفنون التعبيرية عند العرب لا تعدو أن تكون شعراً أو نثراً، ولكن القرآن شيء آخر من النثر والشعر كما أننا نفهم ذلك من القصص التاريخية والحوادث القديمة التي حدثت إبان نزول القرآن العظيم وبداية الدعوة الإسلامية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فمثلاً نلتفت إلى هذه الآية الشريفة :-

حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ

فهذه الآيات القرآنية بتأليفها العجيب، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن ربيعة -وكان من أساطين البيان- استولت على أحاسيسه ومشاعره، وطارت بلبّه، ووقف في ذهول وخيرة، ثم

عَبَّرَ عَنْ خَيْرَتِهِ وَذَهَوْلِهِ بِقَوْلِهِ: "وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهُ! مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا بِالسَّحْرِ وَلَا بِالْكَهَانَةِ... وَاللَّهُ لِيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُهُ نَبَأَ عَظِيمٍ"¹⁴⁰

ومثل هذا ما تقوله الآيات من سورة المدثر التي ذكرت عن قصة الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وانهر به. قال السيوطي في الإتيان " أخرج الحاكم عن ابن عباس أنه قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إنَّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره". وقد قص الله - تعالى - خبره علينا في سورة المدثر.¹⁴¹

علاوة على الخصائص المعنوية الإعجازية التي لا يقدر إيرادها خلق من خلق الله، تحمل الآيات القرآنية خصائص عجيبة وميزات ملحوظة، يتميز القرآن بها من سائر الكتب في العالم، حيث إنها من معجزاتها الباهرة كما نرى الخصائص المتعلقة بجمال المفردة القرآنية والمميزات المتعلقة بالجملة القرآنية وصياغتها، فالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم هو الإعجاز الرئيسي للقرآن لما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في عهد كان أهل الجزيرة العربية متنافسين ببلاغتهم ومتسابقين ببيانهم فقدم القرآن يتحدتهم أن يأتوا شيئاً توافق ما في القرآن. والإعجاز اللغوي هو

¹⁴⁰ شرح الجلال على العقائد العضدية لجلال الدين الدواني، 276، 277/2

¹⁴¹ سورة المدثر (11-26)

الدقة والاستيفاء في اختيار كلمات القرآن وتنظيمها وترتيبها بصور أدبية بديعة وببلاغة متناهية – هي تأدية المعنى الكامل بأبلغ طرق الفصاحة- التي تعجز الإنسانية عن الإتيان بمثلها، وإن من بلاغة هذا القرآن العظيم وإعجازه الخالد أن كل كلمة وكل حرف فيه وضع في موضعه المناسب الموافق من السياق، ليعبر عن معنى خاص أو معان معينة لا يطلع عليها إلا من له اطلاع واسع وقلب دقيق على لغة العرب ، أو من رزقه الله -تعالى- تدبّر كتابه، ونور قلبه، وألهمه دقيق المعاني، فكلُّ جملة أو كلمة أو حرف في كتاب الله -تعالى- وضع في موضعٍ يناسبه مناسبةً عجيبة .

مظاهر الإعجاز اللغوي:

ولن تخلو الآيات القرآنية من وجوه الإعجاز المتنوعة لغويا أو معنويا كما نرى شتى مظاهرها في السور المختلفة ، كما أن العالم الكبير والمفكر الإسلامي الفيروز آبادي قد أشار إلى عديدة من أوجه الإعجاز اللغوي في كتابه " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" حيث أوجزها بوجود اثني عشر معنى في القرآن الكريم، وبدأ في بيانها والتمثيل لها، فقال "أولها: إيجاز اللفظ مع تمام المعنى على سبيل الحذف، كقوله تعالى: " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ " ¹⁴² أي واسأل أهل القرية. وقوله تعالى وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ أي: ولكن البر بر من آمن.

أو على سبيل الاختصار كقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} (البقرة: 179) ثانياً: تشبيه الشيء بالشيء كقوله تعالى {أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ} (النور: 36) {أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} (إبراهيم: 18) وكما قيل الأمثال سرج القرآن. وثالثها: استعارة المعاني البديعة كالتعبير عن تكوير الليل والنهار بالسلخ {وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} (يس: 37)، والتعبير عن الماضي والقيام بالصدع {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} (الحجر: 94) هذه الآية

¹⁴² القرآن الكريم سورة يوسف 82

الكريمة عندما سمعها أعرابي سجد، فسألوه عن سبب سجوده قال: سجدت في هذا المقام لفصاحة هذا الكلام.

ورابعها: فهو تلاؤم الكلمات والحروف بما فيه من جمال المقال وكمال الكلام: {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ} (النمل: 44) {يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ} (يوسف: 84) {فَأَذَلَّ دَلْوَهُ} (يوسف: 19) تلاؤم الحروف. وخامسها: فهو فواصل الآيات ومقاطعها، فصورة فواصلها على حرف كسورة طه {طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه: 1 - 5) تجد أنها تنتهي بحرف الألف، كذلك سورة القمر تنتهي بحرف الراء: {أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} (القمر: 2) إلى آخر الآيات.

وهناك سور تنتهي فواصلها على حرفين كصورة الفاتحة بين الميم والنون: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (الفاتحة: 1 - 7)، وكذلك صورة ق تجدها على حرفين أيضا.

و سادس هذه المعاني: فهو تجانس الألفاظ: وتجانس الألفاظ يكون على سبيل المزاجية: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} (النساء: 142) {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ} (الشورى: 40) {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} (الرحمن: 60)، أو من قبيل المناسبة كقوله تعالى: {ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} (التوبة: 127) {تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ} (النور: 37) فهذا من التلاؤم والتناسب بين الكلمات. و سابعها: فهو تصريف القصص والأحوال بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة، لو تأملها الغواص لعلم أن ما كرر فيها من ألفاظ إنما جاء للطائف وأسرار.

و ثامنها: تضمين الحكم والأسرار، فعلى سبيل المثال سورة الفاتحة نصفها الأول يتضمن أحكام الربوبية ونصفها الثاني يقتضي أسباب العبودية، وذلك مثال وكذلك كل ما في القرآن من

كلمة؛ إنما هي عبارة عن كنز معان وبحر حقائق، وكما تضمنت آيات القرآن جوامع الأشياء فهناك آية تجمع مكارم الأخلاق كقوله -سبحانه وتعالى-: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (الأعراف: 199)، وهناك آية تجمع حاجات الكائن الحي: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا} (النازعات: 31) وهناك آية تبين كيف يُساس الناس وما هو مقاصد التشريع، وما الذي يريد الله -سبحانه وتعالى- منهم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل: 90)

و تاسعها: فهو المبالغة في الأمر والنهي باستخدام الأسماء تارة وباستخدام الأفعال تارة أخرى؛ الأسماء كقوله -سبحانه وتعالى-: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} {فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ}، والأفعال: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا} (الإسراء: 12) {قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} (الإنسان: 16) {وَكُلًّا تَبَرَّنَا تَتَّبِيرًا} (الفرقان: 39).

و عاشرها: فهو حسن البيان: حسن البيان لجميع أحكام الشريعة؛ المقاصد والأغراض والمصالح والأسباب، كل ذلك مؤيد بالآيات القرآنية فإذا أردت دليلاً للوحدانية تجد قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (الأنبياء: 22) وإذا أردت آية ترشد لمصالح الصيانة والعفة تجد قوله تعالى: {وَأَنكحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ} (النور: 32) ولرعاية مصالح النفوس: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} (البقرة: 179) ولبيان أركان الإسلام: {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (النساء: 77) {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} (البقرة: 183) {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (آل عمران: 97)، ولبيان المعاملات: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (البقرة: 275) {إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} (البقرة: 282)، ذلك كثير في كتاب الله -سبحانه وتعالى- مما يميز حسن البيان في بيان الأحكام الشرعية وأحكام الشريعة التي جاء بها النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

و الحادي عشر: فهو الإخبار عما كان، وضرب له الفيروزآبادي أمثلة من تخليق العرش والكرسي وحال الحملة والخزنة وكيفية اللوح والقلم ووصف السدرة وطوبى وسير الكواكب ودور الأفلاك ورفع السماء وتمهيد الأرض.

و الثاني عشر: فهو الإخبار عما يكون، كأخبار الموت والقبر والبعث والنشر والقيامة والحساب والعقاب والعرض والحوض والسؤال ووزن الأعمال والميزان والصراط...إلى غير ذلك مما جاء به القرآن الكريم وبينه رسولنا -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم⁽⁷⁸⁾. وكم من الصحابة وذوي المعالي قدموا إلى واحة الإسلام بمجرد سماع الآيات القرآنية، كما أن مثل تلك الواقعات تعلن معجزات القرآن اللغوية.

الفصل الثالث : أسس النحو القرآني وخصائصه

الذي يعنى بالنحو القرآني هو تلك الأسس والقوانين والقواعد والأصول التي تقوم عليها اللغة القرآنية سواء وجدت معها شواهد أخرى تؤيدها أو لم توجد، لأن القرآن أغنى منبع لاستنباط القواعد النحوية والأساليب التركيبية المتينة والدلالات اللغوية القيمة، فنحو القرآن من طرائق البحث النحوية الجديدة التي تعتمد على الآيات القرآنية فحسب، وإنما يراد به أن نحو الكلام لا يستوفي القرآن الكريم قاطبة بل هو دونه ، لأنَّ نحو الكلام العربي إنما بني في أغلب ما بني على مواد شعرية من أشعار العرب وخطبهم وأمثالهم وحكمهم ، فمنه ما لم يسمع إلا في الشعر ، والشعر موضع اضطرار وموقف اعتذار حيث يسمح فيه كثيرا ما يحرف فيه الكلام خلافا مما هو في القرآن الكريم، إن من الحقيقة التي لا تنكر أن الشاهد القرآني لبناء قاعدة من القواعد النحوية العربية هو النموذج المقدم والشاهد المثالي لاستنباط القوانين والنظريات، وهو سيد الشواهد، لما أن القرآن يتضمن أوجهاً إعرابية مختلفة لا تكاد ترد بها الشواهد الأخرى .

أسس النحو القرآني:-

وكان النحو القرآني هو الحجر الأساسي إلى عالم العلوم المتنوعة الوافرة من القرآن لما أن إدراك المعاني القرآنية لا يتوقف إلا بفهم الحاد عن تراكيب الآيات وتأليف الجمل، ولها وظائف عديدة متعلقة بدراسة القرآن. وما زال النحو القرآني-ولا يزال- قائماً بوظائفها المتعددة في توفير الدراسات والعلوم من كتاب الله المنزل على صورها الحقيقية الشاملة، ونورد نبذة منها هنا :

- (1) النحو القرآني يعول على القراءة القرآنية مع الالتجاء بأدلة الصناعة النحوية
- (2) الشاهد النحوي القرآني ينبعث من القراءة السبعة لما أنه اتصف بالقطع بصحته واستحالة نزول أوضاع الشكوك والتشكك فيه، كما أنه معلوم بقطع عربيته وفصاحته.
- (3) اكتشاف المعاني النحوية بالكلمات الصرفية والأدوات النحوية لبيان تخصيصها وفهم غرائها
- (4) بيان القصد الحقيقي والمراد من العبارات القرآنية بإظهار الغايات من تأدية المعنى بطريقة تنبأ غير واضح في الظاهر.
- (5) الاستنباط بالاستنباط والاستقراء بالنظم في المتشابهات من ضروب النظم وغيره لمعرفة المناسبات والعلاقات بين الآيات لما أن أي القرآن مرتبطة بعضها ببعض.
- (6) يدل السياق وأوضاع موقع الآيات ومقام الكلمات والحال، لأن السياق هو الذي يحدد المعنى ويوقن به ويرفع كل الاحتمالات.
- (7) عُدّة النحو القرآني عدة اللغوي والمفسر و الأصولي و المفكر الإسلامي و الباحث الاجتماعي و القانوني والنفسي وجميع من ينهك بالقرآن قيام البحث فيه والاستفاد منه.

الخصائص النحوية القرآنية:-

إن القرآن منبع العربية النقية ومظهرها الصافي المنقح، أسلوبه يقوم قمة الفصاحة وأوج البلاغة، وملامحه اللغوية تبدو بأعلى الرتبة البنائية، ولذلك تكون المبادئ اللغوية والنظريات النحوية التي تؤخذ منه سليمة من كل الأخطاء، خالصة من العيوب والمساوي. وهذا المحور الأساسي هو الذي يسوق النحو القرآني إلى الخصائص التالية المختلفة :-

- النص القرآني هو النص الوحيد الموثوق بصحته والمستيقن بكمالته بكل اليقين والوثوق لما أنه هو القرآن المنزل من خالق الكون ولم يدخله الوضع والتحريف، وإنما نقل إلينا نقلاً متواتراً بخلاف الحديث النبوي أو أنواع النصوص العربية من اللغة والأشعار والأمثال وغيرها. والنصوص القرآنية يُعتبر من أقدم الآثار في النثر العربي، فالآيات القرآنية هي من النصوص القديمة التي يمكن للنفوس الاطمئنان إليها في استخراج المسائل اللغوية والنحوية وغيرها .
- القيام بدراسة النحو عمل ذو شرف من الأعمال القرآنية في أول أمرها ثم تضافرت الجهود لتنمية هذه الدراسة حتى استقلت عن جملة الأعمال القرآنية وتفردت منه .
- إن القراءات القرآنية ناتجة من المنظورات النحوية المتنوعة من حيث إن الأئمة من القراء والحفاظ وفقوا على إعراب القرآن، الذي هو من العنصر الأساسي في النحو، تأثروا به في تشكيل القراءات .
- الدعوة إلى نحو القرآن من غاياتها إقصاء شواهد الشعر وأخبار العرب وإنما المقصود ألا تكون هي منطلق تأسيس النحو .
- عناية النحو القرآني بجانب المعنى عناية كبيرة، ومتابعة المعنى قد تخالف، صنعة الإعراب في كثير من الأوقات، يراد بذلك بأنه يجب أن تبني قواعد العربية على نحو آخر .

- النحو القرآني لا يعتمد إلى إعراب الآيات فحسب وهي معتمدة على سياقاتها أيضا، كما أنه هو أقرب إلى نحو النص الذي يعالج الجملة بارتباطها وتعلقها بغيرها من الجمل في وحدة دلالية .
- لا يلتفت إلى الشواهد الأخرى إلا بعد الالتجاء إلى القرآن الكريم وقراءته المختلفة، لأنه أوثق للاستشهاد به والاعتماد عليه .

تنوع النحو القرآني:- باعتبار التعاملات والتقنيات التي وجدت عند النحويين ينقسم النحو القرآني على قسمين. الأول قسم ارتضاه النحويون ووافقوا عليه وأجمعوا به مثلما وافقوا على نظائره من النصوص العربية من الآثار الأدبية والثاني قسم لم يرتضوه ولم يسمحوا به حيث تأولوه أو عارضوه معارضةً صريحةً أو خفيةً. أما القسم الأول فهو يمثل جانب الاتفاق والتناسب بين القواعد النحوية والنصوص القرآنية، فهو الغالب الكثير في هذا العلم، وهذا القسم هو الأكبر في هذه النظرية-نظرية النحو القرآني- لكن أمره يسير؛ لأنه موضع اتفاق بين الجميع . وأما القسم الثاني، هو الذي فيه جانب الاختلاف بين القواعد النحوية والنصوص القرآنية، وهو مظهر الثقل والتركيز والتحليل في هذه النظرية؛ ويقع هذا حينما تصطدم القاعدة النحوية الخارجة من القرآن الكريم بالآية القرآنية .

وليس هناك منفذ للذكر بأن النحو القرآني نحو منفصل من النحو العربي وبل نذكر بأن ذلك النحو اتجه نحوي نشأ في رحاب القرآن وتوجّه وجهةً نحويةً خالصةً من باب التيسير أو الاستدراك، و صلة النحو بالقرآن الكريم إنما هي بإعادة المعاني إلى النحو في ضوء المناهج اللغوية السليمة. وبذلك، النحو القرآني ليس مستقلاً بل نشأ مختلطاً ومتداخلاً مع اتجاه آخر بالترعة التعليمية والتأثر بالعلوم الفلسفية والمنطقية، التي أصابت الدرس النحوي . فالنحو القرآني هو شكل من أشكال النحو العربي الأسامي، وركن من أركان نظرية النحو العربي الرئيسية .

النحاة والنحو القرآني:- تدخلت النحاة إلى واحة النحو القرآني بعين أشد الاعتناء والاهتمام كما وجدوه مصدرا أوليا لتنظيم المبادئ النحوية، غير أن كلا من نظريات النحو العربي لم يبين من القرآن. ولا يمكن أن نقول بأن النحو القرآني الذي ندعو إليه ظهر في أقوال وآراء نحائنا القدامى صراحة ولكنه إنما يلمح في أثناء أقوالهم وآرائهم الموثقة في مؤلفاتهم، وكان لطائفة من أشهر نحائنا من المتقدمين والمتأخرين دور بارز في إنشاء النحو العربي، ونزعم أن الذي لهم في نحوهم ما يكون بدايته بداية ضمنية لنحو القرآن. وقد قام عديد من العلماء النحويين - من السلف والخلف - بأرائهم المستقلة في استنباط النحو من آيات القرآن، ومنهم عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة 149هـ وأبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، و يونس بن حبيب (ت 182هـ)، والإمام سيبويه (ت 180هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت 189هـ)، و أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، والأخفش سعيد بن مسعدة (ت 215هـ)، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291هـ)، وأبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، وابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ)، وأبو جعفر النحاس (ت 338هـ)، وابن خالويه (ت 370هـ)، وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، و أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي (ت 59هـ) وغيرهم.

وكان الإمام يحيى الفراء ممن وضعوا اللبنة الأولى لبناء النحو على أساس الكتاب العزيز للرد على بعض علماء الشعر ورواة الأخبار التاريخية الذين لم يحرصوا على أن يلتمسوا إعجاز القرآن وبناء القواعد اللغوية في قوالب القرآن اللغوية بل رأوا الفصاحة في لغة عرب البادية وأخبارهم. وهكذا كان النحوي إبراهيم الزجاج ممن حفظوا العناية بتفسير القرآن بالقرآن في المسائل النحوية واللغوية المختلفة حيث إنه كان يحتج بالقرآن في إعراب بعض القرآن، حتى أظهر اهتمامه بنحو القرآن. والإمام الزمخشري الذي اشتهر في التفسير النحوي للقرآن الكريم كان يعالج

النحو القرآني من الوجهة التي تخدم تفسير القرآن وتنسق معانيه وينظر إلى الآيات القرآنية نظر العالم النحوي الحادق .

و كل هذه العلماء وغيرهم كانوا قد اهتموا بالقرآن اهتماما بالغاً في أعمالهم النحوية كما نجدها في كتبهم ومؤلفاتهم، ويفهم بالدراسة عن إمام النحاة أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه أنه لم يقصر اهتمامه بالقرآن وعنايته بآياته على تقديمه على غيره من كلام العرب وعلى أنه المصدر الأول في الاستشهاد به وبناء الأحكام منه. سهل النحاة القدماء الأوائل الطريق لمن جاء بعدهم ممن صنفوا ورتبوا كتب معاني القرآن دخول الأبواب الأولى إلى رحاب نحو القرآن مفصلين معاني النحو معتمدين في ذلك على إعراب آياته، كما نعلم أن كتب معاني القرآن هي الحجج الأولى للتفسير النحوي للقرآن فأصحاب كتب المعاني إنما يفسرون القرآن في ضوء إعرابهم لآياته. وقد اضطربهم التفسير في كثير من الأحيان أن يخالفوا أقيسة النحو لتعارضها مع المعنى ليظهر لنا نحو يخرج من إطار القياس في بعض الأوضاع .

وقد أقر النحاة بأفضلية القرآن الكريم وإعراباته وقراءاته مصدراً رئيسياً من مصادر ومراجع الاستشهاد في النحو العربي ولكن آراءهم قد اختلفت بين النظريات القرآنية ومجال التطبيق منها، ولا نرى أن كل ما ورد من القواعد النحوية كان وفقاً للآيات في القرآن الكريم. والعلماء رأوا القرآن من حيث المبدأ والباب الأول إلى عالم بناء القوانين النحوية والملجأ الحقيقي في سياق اصطدام المنظورات عند التعامل التطبيقي في عملية التععيد، وفهموا أن كل ما ورد فيه وقرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، ولكنهم لما بدؤوا التطبيق والتععيد خالفت كثرة منهم بعض المبادئ القرآنية حتى وقفوا من القرآن والقراءات موقفاً أقل ما ينظر فيه أنه يتعارض مع منهجهم لما أن المنهج قد مزج بين بعض من اللهجات القبلية حيث اعتقدوا صفاءها وشهرتها كما بنوا على أساسها القواعد .

ويعرّف نحو القرآن كمصطلح معاصر لما عرف عند القدماء بأنه مجموعة الأنظمة والقواعد والأحكام التي تستنبط من النص القرآني والتي تقوم على ما يأخذ من الفهم الواضح والإدراك الصريح للغة القرآن مع التدخل إلى القراءات متواترة كانت أم شاذة وتقييمها وتوجيهها وتقديمها بحسب أسس نحو القرآن المعنوية والفكرية من الاهتمام بالمعنى وقواعد التأليف وما يتجدد على النظم من التغيرات كالحذف والذكر والفصل والوصل مع مراعاة مقتضى الحال للمخاطب والمتكلم والاعتناء بالمبادئ الأساسية في هذا الميدان .

الفصل الرابع : الإعجاز النحوي للقرآن الكريم

ممكّن أن تصادفنا أثناء قراءة القرآن الكريم أو تناول آياته الشريفة حركات أو غرائب نحوية، لم نعهدها بنظرنا النحوي العادي القاصر فتفسد علينا فكرتنا، وتعثّر فهمنا، وتدبرنا وحفظنا لكلام الله المعجز، الذي يجب على الجميع تناوله وقراءته وحفظه وتدبره وفهم الأحكام الدينية منه. والاطلاع على ذلك للوقوف على بعض من هذه الغرائب، لأنّ تجعل أليفة أمام المتناولين الباحثين والمتدبرين ويسهل عليهم التدبر والفهم، وتدفع تلك الصعوبات والحواجز المعيقة، التي يتخذها بعض من الناس ذريعة، لعدم تناوله، للتعرف على الاعتبار القرآني الجليل الذي يضع النقاط على الحروف، ويجعل الغريب مألوفاً بليغاً محبباً والصعب سهلاً ممتعاً مقرباً، فتبتدد الحيرة، وتزول العراقيل وتعود المتعة والتدبر لأدق التفاصيل .

لم يغفل الميدان النحوي عن الاهتمام بموضوع الإعجاز القرآني ، فنرى النحويين أن بعضهم كانت لهم بصمة طفيفة في هذه القضية و دخلوا أبوابها للمحافظة على سلامة الذوق للغة القرآنية ولإدراك المعاني الحقيقية للآيات القرآنية ليظل القرآن مفهوماً لدى جميع من يمارسه ويستفيد منه .

مما لا ريب فيه أن النحاة من قديم الزمان قد انشغلوا بالقرآن واهتموا به اهتماما بالغاً لما أن القرآن الكريم مصدر أساسي لدراساتهم وأفكارهم كما يشير إلى ذلك الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني في كتابه "الإعجاز النحوي للقرآن الكريم" بقوله "وكان للنحاة شرف المشاركة في خدمة القرآن ولن نغالي إذ نقرر أن النحاة العرب كانوا من أوائل العلماء الذين لهم شرف السبق في هذا الميدان الشريف وهم خدمة القرآن الكريم فأول عالم نقط القرآن وأعربه هو أبو الأسود الدؤلي". وقد أشار السيد عبد الفتاح لاشين إلى قدوم علم النحو و تطوره وعلاقته بالإعجاز القرآني إذ قال: "و جاء عصر الخليل وسيبويه ، فبلغت دراسة النحو ذروتها ، و قام النحاة بعدها فقعدوا هذه الدراسة و أحكموا أصولها، و جاء عبد القاهر الجرجاني و ذهب إلى أن يصد عن تعليم النحو فهو صناد عن سبيل الله، إذ أن إعجاز القرآن الكريم بالنظم ، و ما النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه و أصوله"¹⁴⁴. وهذا يقر به بأن الإعجاز في القرآن الكريم كان عن طريق النظم أيضا و التأليف الذي هو علم النحو .

وفي نظر الجرجاني إن النظم هو المحور الأساسي والفكرة الجوهرية التي يدور حولها الإعجاز القرآني ، فهو الذي يشاهد من الناحية اللغوية معنى التأليف و التنظيم و الجمع على هيئة خاصة، و قد استعمل الجرجاني هذه اللفظة للتعبير عن نظريته التي تبلورت فكرة الإعجاز بين معانيها ، والذي يعني بالإعجاز في رأيه المزايا اللغوية والنحوية في التأليف و التركيب والتعليق والترتيب، و حاول لإثبات وجوه بلاغة الكلام المتوقفة على النظم والقواعد الكلامية ، مؤكداً أن القرآن معجز بنظمه وبيانه، ودفعه ذلك إلى التكرار و التفصيل لإقناع الدارس، و خاصة في مجال تركيب الجملة والعبارة في الفصل والوصل، و التقديم و التأخير، و الحذف و الذكر ، و ارتباط الكلام بالحروف و الأدوات. ولما كان النظم هو الشيء الوحيد الذي امتلك القرآن به الإعجاز عند الإمام عبد القاهر الجرجاني فهو يعتني به اعتناء ملحوظا ، ويكثر القول فيه فيستخرج حقائقه ،

¹⁴⁴ التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق ، ص05

ويبين مقوماته وأصوله من خلال كتابه "دلائل الإعجاز" كما أنه يريد بالنظم التلاؤم بالمعاني في الكلمات المفردة ، و إنما يتم هذا التلاؤم بفضل علم النحو فقط . وقد أشار عنه في كتابه ذلك كما أن موقفه في هذا أن ليس أن يوضع الكلام في الوضع الذي يقتضيه علم النحو هو النظم، وتعرف منه قوانينه وأصوله وتعلم مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، ولا يكون النظم نظماً إلا باستيفاء معاني النحو فيما بين الكلم ، كما أننا نرتب المعاني أولاً في النفس ، ثم نحذو على ترتيبها الألفاظ في النطق، وهو يؤكد بصورة قطعية أن موضوع الإعجاز القرآني قائم على النظم والتركيب ، من خلال قيام النظم على معاني النحو التي يحصل بها التفاضل بين ضروب الكلام جودة وقبحا مثبتا بقوله بأن لا يرجح صواب شيء إن كان صواباً خطؤه إن كان خطأ بمجرد النظر إلى النظم غير أن يتضمن فيه معنى من معاني النحو الذي قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، وإن كنا نصف كلاماً بصحة النظم أو فساده علينا أن نرجع لتحكيم الصحة والفساد وتفضيل البعض على البعض إلى معاني النحو وأحكامه، فالحكم عنده على الكلام بالجمال أو القبح، والمزية والفضل إنما يتأتى من معاني النحو.

ويثبت من كلام الجرجاني أن الإعجاز ليس في الأوزان وتيسر الألفاظ لما أن الوزن ليس من فصاحة الكلام وبلاغته في أي حال، ولكن الإعجاز في نظره ربطه بالنظم الذي هو توخي معاني النحو وأحكامه، ويصرح أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن عليه أن يطلب في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه وهي معدنه ومعانه وموضعه ومكانه، ولا يقدر له الاستنباط إلا من هناك .

لم تتوقف الدراسات النحوية بالقرآن الكريم واستنباط القواعد الكلامية منها في أي زمن من الأزمنة بعد أن شرع العلماء إلى هذا المجال حتى استخرجوا من الكتاب المقدس دلائل نحوية عديدة وعجائب إعجازية المتعلقة باكتشافات نحوية غريبة، كما أن النحاة بينوا بأن النحو القرآني لا يتم الاطلاع عليها والوقوف بها على وجه الكمال في مجرد ألفاظ الآيات القرآنية وكلماتها وبل

يحتاج إلى فهم الأمور الخارجة من النص أيضا. وهذا ما تشير إليه هـنا محود إسماعيل في بحث "مراعاة المخاطب والمقام في النحو القرآني" حيث تقول: تنبّه النحاة على " أن ظاهر العبارة القرآنية ليس هو كل شيء في تحديد معناها ، وأن معاني النصوص لا تتقرر من داخلها ، ووفقاً لما تملّيه لغتها المباشرة وحدها ، وإنما تتحكم في تحديد معنى النص القرآني كثير من الملابس والقرائن ، منها المأثور من التفسير ، وأسباب النزول ، والسياق اللفظي ، والقرينة العقلية ، " ¹⁴⁵ . لذا عمد النحويون الأوائل إلى اعتماد وسائل غير لغوية في تحديد المعنى القرآني وفهم الجملة ومنها : المخاطب ، والسياق ، والمقام ، " فالجملة أصبحت خاضعة لمناسبات القول وللعلاقة بين المتكلم والمخاطب ، ولا يتم التفاهم في أية لغة إلا إذا روعيت تلك المناسبات ، وأخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار ، ولن يكون الكلام مفيداً ولا الخبر مؤدياً غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظاً ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول " ⁽⁹⁰⁾

فالإعجاز النحوي -من الغرائب النحوية والعجائب التركيبية- يجعل العبارات ذات كمال وجمال ويوفر لها معانٍ شاملة كافية تامة بحيث لا تتصور منها تلك المعاني القيمة لو لم تكن تلك الخصائص النحوية غير موجودة فيها. وقد تتضمن آية قرآنية واحدة عديدة من القوانين النحوية المختلفة ، تنبعث منها النظريات المتفرقة كما نرى أمثلته في عدة من الآيات القرآنية سيبينها الباحث في الباب الرابع إن شاء الله. وهذا كتاب الله العزيز هو المصدر الأول الأساسي لاستخراج مبادئ النحو حتى احتوى بحذافيرها، وألفت كتب وافرة توضح الإعجاز النحوي والعجائب العربية ولطائفها مأخوذة من القرآن .

وكانت الدراسات حول شتى الإعجازات في القرآن مما ازدادت المناقشات والكتابات فيها من بين العلماء والباحثين في هذا المجال غير أن الدراسات الشاسعة في الإعجاز النحوي كانت قليلة نسبياً، كما يشير إليه الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني "وبدأ العلماء يدرسون سير الإعجاز

¹⁴⁵ التأويل اللغوي للقرآن الكريم د. حسين حامد الصالح : 164

في قرآنهم الكريم ، الذي تحدى العالم إنساً وجناً ، (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) ، وأخذوا يبحثون عن مواطن إعجازه وذهبوا في ذلك مذاهب متباينة السبب متفقة الهدف بأنه معجزة محمد صلى الله عليه وسلم لهذا الكون ، فرأى بعضهم أن سر إعجازه قد يعود إلى قوة أسلوبه وجزالة نظمه ، ورأى آخرون أنه معجز في تعاليمه وفكره وما يحتوي على علوم غيبية وقصص الأولين والآخرين . ورأى قوم أنه معجز بتأثيره النفسي على القلوب ومنهم من قسم أوجه إعجازه إلى عدة أقسام. والحقيقة الساطعة التي لا مرأى فيها أن القرآن الكريم معجز في كل شيء فهو إعجاز مطلق ولن أغالي إذ أؤكد أن كل حرف وكل كلمة وكل جملة في التركيب القرآني تشير إلى عظمته وسر إعجازه . فهو معجز في جمعه وفي ترتيبه ، وفي المتلقي والسماع لما فيه من إعجاز فكري ولغوي وبلاغي وإقتصادي وسياسي وإجتماعي ليس في طاقة البشر الإحاطة به لأنه محفوظ من منزله العظيم (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وهذا الحفظ الإلهي لم يأت إلا للقرآن الكريم دون سواه من الكتب المقدسة السابقة. أما الدراسات التي تناولت النص القرآني ، فقد جاءت معظمها مركزة على الجوانب البيانية والمعنوية ، وما فيه من أخبار عن الأمم السابقة ، والعلوم الغيبية ، أما الإعجاز النحوي فلم ينل حظاً وافراً من الدراسة والبحث اللهم إلا ما ندر من إشارات حول بعض الظواهر¹⁴⁶

ويكون كل المحاولات والدراسات حول هذا الموضوع قاصرة للوصول إلى سمو الكتاب وعظمته وسير إعجازه لما أن البشر لا يدركون غوامضها بمقدراتهم العادية، وإن الإعجاز والتحدي قائمان إلى آخر الأيام غير أن يقدر أحد لمعارضته والفوز بما يأتي به.لما أن النحو لاحتفاظ الأخطاء في التراكيب اللغوية التي تقوم لباس الأسلوب الجيد، يقول العلماء بأن أوجه الإعجاز في القرآن

¹⁴⁶ الإعجاز النحوي في القرآن الكريم لفتحى الدجني ص-8

الكريم تعود إلى أسلوبه الباهر لما فيه من النظم والتأليف والترصيف والفصاحة وعذوبة الأسلوب ، ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا .¹⁴⁷

إدراك الإعجاز النحوي:- كما يقال بأن تعلم النحو من أهم الضروريات التي لا بد لمن يطلب معاني القرآن من الوقوف عليه لما أن تعلمه وإدراك علومه من المتطلبات الواجبة لفهم إعجاز القرآن النحوي، ولذا قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للحث على تعلم العلوم المتنوعة المتعلقة بالقرآن بقوله "القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبته" وركز النبي صلى الله عليه وسلم على القراءة السليمة أيضا حيث قال "رحم الله امرئاً أصلح من لسانه". ولما أن النحو علم بأصول أحوال أواخر الكلم -الإعراب- يمكن يكون قول الرسول صلى الله عليه وسلم التالي عن أهمية تعلم النحو "وأعربوا القرآن كي تعربوا القرآن". وقال أيضا معلنا لاكتشاف أسرار كتاب الله العزيز "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"

ولذا أكب العلماء على إدراك الملامح النحوية في القرآن الكريم في جميع الأزمنة وتنبهوا إلى إعجازه وخصائصه الممتازة "والحقيقة التي لامراء بها أن الدراسات النحوية لم تعش إلا في ظل الكتاب الخالد، ألا وهو القرآن الكريم لأنه المنبع العظيم الذي لا ينضب وأمد النحاة والعلماء بفكر خلاق من لدن عزيز حكيم. وبقي الأمر مستمراً حيث نرى النحاة تبعاً يسرون في فلك القرآن وتحت ظلاله يستشهدون في آياته ويعربون كلماته ويخصصون كتباً في إعرابه ومعانيه¹⁴⁸. وقد يبين الإمام الباقلاني -أبو بكر محمد بن الطيب عن الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم حيث يقول:-"منها- من الوجوه الإعجازي للقرآن- ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد . وذلك أن الطرق

¹⁴⁷ الإعجاز النحوي في القرآن الكريم لفتحى الدجني ص-46

¹⁴⁸ الإعجاز النحوي في القرآن الكريم لفتحى الدجني ص-122

التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم ، تنقسم إلى أعايرض الشعر ، على اختلاف أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم إلى ما يرسل إرسالاً ، فتطلب فيه الإصابة والإفادة ، وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع ، ترتيب لطيف ، و إن لم يكن معتدلاً في وزنه ، وذلك شبيهه بجملة الكلام الذي لا يتعمل [فيه] ، ولا يتصنع . وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق . ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب المسجع ، ولا فيه شيء منه ، وكذلك ليس من قبيل الشعر ؛ لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع ، ومنهم من يدعى فيه شعراً كثيراً . فهذا إذا تأمله المتأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم ، وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة ، وأنه معجز . وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه "149

والذي يرى الإمام الخطابي أنّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني ، ثم يتحدث عن القرآن قائلاً: " ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه " والنظم ، عند الخطابي ليس مما يسهل ويكون يسراً ، حيث يقول: " وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذف فيها أكثر لأَنَّها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان "150 . كما أن الإمام أبو بكر الباقلاني يرى أنّ كتاب الله معجز بالنظم أيضاً . لأنّ نظمه خارج عن وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، إذ يصح " فأما نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب والشيء القليل العجيب " . ويذكر أيضاً: " وقد تأملنا نظم القرآن ، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه

149 إعجاز القرآن للباقلاني ص 35

150 الإعجاز في نظم القرآن ، محمود السيد شيخون ص 30

التي قدمنا ذكرها، على حدٍ واحد، في حسن النظم وبديع التأليف والصرف، وبين بأن ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها¹⁵¹.

والقرآن الكريم قد تضمن على أنواع مختلفة من الإعجازات لما أنه يلقي الخطاب إلى العقل و القلب ولعل إعجازه يكون لغويا نحويا ، أو تشريعيًا علميًا أو تاريخيًا واقعيًا ، وكل من هذه الأنواع معجزة بذاته ، إذ أن كل من تلك الألوان الإعجازية دليل صدق و شاهد حق على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم .

إنما يكمن للوقوف على سر الإعجاز النحوي في القرآن العظيم ، بفهم حسن انتقاء ألفاظ القرآن واختيار ترتيب جملة وانسجام تراكيبه بالإضافة إلى قوة النظم و سبك الصياغة القرآنية.و إنما جاء النظام النحوي و جميع ما يحمله من القواعد و القوانين لتخليص القرآن من الألقان اللغوية والأخطاء التركيبية من أبسط قاعدتها إلى أعقدها حتى صار التعاليم النحوية القرآنية من أجل الخدمات التي قام بها العلماء حيث يبقى القرآن فينا مشكاة وهاجة و سراجا منيرا كالدستور الخالد في هذه الحياة الدنيوية والمعجزة العقلية الخالدة في العالمين. لما أن النحو أساس التفكير في قراءة القرآن وإدراك الأمور منه، انشغلت جماعة من العلماء في دراسته والتفقه منه كما أن طائفة منهم اتجه نشاطها إلى تصحيح متن القرآن وآياتها عن طريق الرواية ، حيث تسموا "القراء" ، وبعض من العلماء تدرس القرآن لاستخراج الأحكام التي تلزم لبناء المجتمع الإسلامي حسب التشريع الديني كما أنهم عرفوا بالفقهاء ، والطائفة الثالثة اهتموا بإعراب نصوص القرآن وصور تنظيم تراكيبه اتجهت اتجاهها لغويا مدركين الملامح اللغوية ووسعوا في الدراسة فتناولوا علل الإعراب، وهم الذين تسموا بالنحاة.و نجد كل من هؤلاء الجماعات من العلماء العباقر قد تولعوا بدراساتهم من القرآن الكريم ، لاحتفاظه وتصحيحه وللاطلاع على إعجازه .

¹⁵¹ إعجاز القرآن للباقلاني ص 37

الفصل الخامس : التعامل الإعرابي في القرآن الكريم

إنما بني النحو لاحتفاظ إعراب اللغة العربية عامة ولاحتراز الآيات القرآنية قراءة وتناولاً خاصة من الأخطاء اللغوية النحوية، كما قد أشير إليه في الباب الأول، لما أن الإعراب هو العنصر المذكور في تولد القواعد النحوية حيث أن تعريف علم النحو قد ركز عليه، تمتلك دراسات الإعراب ناحية كبيرة من النحو العربي وتُنظر إليها بعين الاعتناء والاهتمام والاعتبار به من الأقوال المأثورة عن القدماء قولهم "الإعراب فرع المعنى" وهذا القول يعني أن فهم معنى الكلام المراد إعرابه فهما صحيحاً يؤدي إلى إعراب الكلام إعراباً صحيحاً. ويقول الأستاذ أحمد حاطوم "إن كون الإعراب تعبيراً لفظياً محسوساً عن المعاني النحوية التركيبية للكلام المعرب، إنما يعني أن للإعراب دوراً مهماً في أداء المعنى وفهمه، أي في وظيفة التفاهم، لأن المعاني جزء أساسي من المعنى العام للكلام"¹⁵². وقال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه اللغة الشاعرة إنه "آية السليقة الغنية في التراكيب العربية المفيدة"¹⁵³

وقد أشار القدامى عن أثر الحركة الإعرابية في الوصول إلى المعنى المقصود، الإعراب في نظرهم يقوم بدور أساسي في تحديد الوظائف النحوية للكلمات من خلال حركاته التي تتحكم في نقل معنى الجملة من معنى إلى معنى كما أن الإعراب يعطي الدقة في التعبير عن المعاني بالتخصيص أو بالتوكيد أو بالتقديم لأن يزيل الأوهام من قلوب السامعين ولإعطاء المتكلم فرصاً وافرة للتعبير عما في نفسه بصور متنوعة .

و الإعراب ظاهرة قديمة في اللغة العربية كما يوجد في اللغات السامية الأخرى، لا سيما في تلك اللغات التي كانت تستخدم الحركات والمقاطع في كتابتها، من أمثال اللغات الآشورية، والأكادية، والبابلية التي كُتبت بها قانون حمورابي؛ هذا القانون الذي وجد الدارسون فيه نصوصاً

¹⁵² حاطوم: أحمد، كتاب الإعراب / ص ١٩١ / شركة المطبوعات للتوزيع والنشر / بيروت / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

¹⁵³ العقاد: محمود عباس، اللغة الشاعرة، جمعية الدعوة الإسلامية / طرابلس / ليبيا - ص ٢٠.

إعرابيةً كانت دلالةً واضحةً على مدى تشابه الإعراب بين اللغة العربيّة وتلك اللغات. على الرغم من أن الإعراب قد يوجد في بعض من اللغات السامية أيضا اختفى من مضي الأزمنة من سائر اللغات غير العربيّة لما أنهن اختلطت بلغات أخرى حينما كانت اللغة العربيّة محصورة في جزيرة العرب وبعيدة عن الاختلاط بلغات أخرى. ولذلك يمكن القول إنّ الإعراب يبدو خاصيةً لغويّةً أصيلةً في اللغة العربيّة واللغات السامية الأخرى، ورغم اختفائه في تلك اللغات إلا أنّ هذه اللغات تبقى شاهداً على تاريخ قدمه، ولهذا لا يمكن لأية دراسةٍ تناقش الإعراب في اللغة العربيّة أن تكون شاملةً دقيقةً، ما لم تناقش هذه الظاهرة البارزة في اللغات السامية القديمة .

وتعلم الإعراب والوقوف على علاقته بالنحو من المطلوبات الأساسية للاطلاع على تلك النظريات النحوية القرآنية ولإدراك تأثيرها في تأدية معاني آيات القرآن. وقد قام العلماء من اللغويين والنحويين بتحليل المعاني بين النحو والإعراب ووضحوا التناسبات والتباينات في بينهما ومدار تعيين التعريفات فيهما .

إنما حصل اللغة العربيّة تلك المكانة الشامخة في الفصاحة والبيان بمزيتها الاعرابية بخصائصها المتنوعة فللإعراب ارتباطه الوثيقي بشتى العلوم الإسلامية تفسيرا وقراءات قرآنية وحديثاً وفقهاً، وبمختلف علوم العربيّة بلاغة وأدباً ودلالة. ففي مجال التفسير والقراءات نرى المفسرين والقراء أن جعلوا الإعراب أساساً مهماً في التوجيه المعنوي للنص القرآني، وتوضيح الأسرار التي تُقدمها الألفاظ القرآنية ذات التقلبات الإعرابية .

واحتل الإعراب في أذهان بعض العلماء القدماء احتلالاً حاسماً بدأوا أن يرونه معياراً ، أو أساساً في الحكم أو التحكيم على رتبة العالم ، حتى تُعقد المناظرات ومجالس المناضلات التي يتبارى فيها العلماء في مسائل تتعلق بالإعراب وغيره ، والمناظرة التي دارت بين سيبويه من أعظم نحاة البصرة ، والكسائي الذي هو من أكبر نحاة الكوفة – وتعرف هذه بالمسألة الزنبورية – من الشاهد الظاهر على تلك المكانة التي ملكها الإعراب في نفوسهم، حتى يقال إن هذه المناظرة كانت

الأسباب التي أدت إلى وفاة الإمام سيبويه بالهموم والأحزان لما أن ظهر الإمام الكسائي عليه. وقد
حكى هذا في بعض الكتب النحوية والتاريخية.¹⁵⁴

تعريف الإعراب لغة واصطلاحاً:-

يقول الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه "العين" الإعراب هو المصدر المشتق
من فعل "أعرب" وله معان عديدة ومنها "الإبانة" كما يقال 'أعرب الرجل' بمعنى 'أفصح القول
والكلام'¹⁵⁵ والإعراب مصدر أعرب يعرب، والمعنى أفصح، أوضح، أبان. ومثله الفعل عرّب بتشديد
الراء الذي مصدره التعريب، يقول الإمام الأزهري الإعرابُ والتعريبُ معناهما واحد وهو الإبانة
وهما من الثلاثي "عرب" ¹⁵⁶

فقد جاء في اللسان "أعرب عنه لسانه" ، وعرّب: أبان وأفصح¹⁵⁷ و ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال: "الثيب تعرب عن نفسها"¹⁵⁸ أي: تفصح وتبين ، ويقال: "عرب منطقه" أي هذب¹⁵⁹
، و"أعرب كلامه" إذا لم يلحن فيه ¹⁶⁰

وهو في الاصطلاح، يقول ابن هشام "الإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر
الاسم المتمكن والفعل المضارع"¹⁶¹ وأضاف محققو كتابه - شذور الذهب - بعد قوله (الفعل
المضارع) قولهم " الذي لم يتصل به نون التوكيد ولا نون النسوة" ويقول ابن عصفور في كتابه
المقرب "إنّ الإعراب هو تغْيَر آخر الكلمة لعاملٍ يدخل عليها في الكلام الذي بُني فيه لفظاً أو تقديرًا،

¹⁵⁴ يوضح الأستاذ على النجدي ناصف كما أنه نقل عن طبقات ابن قاضي شهبة " ويقولون إنه (سيبويه) مات همًا من إخفاقه في مناظرة الكسائي " وبيّن
عبارته بالتأييد، حيث يقول "لا يبعد أن يكون الهم علة وفاته ، فالهم لاشك داء خطير" انظر: سيبويه إمام النحاة ، ص 118 .

¹⁵⁵ كتاب العين للإمام خليل بن أحمد مادة

¹⁵⁶ أزهري: محمد بن أحمد، تهذيب اللغة - عرب

¹⁵⁷ ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب - عرب ٥٨٨/١ - دار صادر - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

¹⁵⁸ سنن ابن ماجه ٦٠٢/١ .

¹⁵⁹ الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس - عرب ٢١٧/٢ - تحقيق: علي شيري - دار الفكر - بيروت - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

¹⁶⁰ الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح - عرب ١٧٩/١ - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

¹⁶¹ ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص ٤٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية، ميدان الأزهر - القاهرة- مصر.

عن الهيئة التي كان عليها قبل دخول العامل إلى هيئة أخرى." والذي عرفه الإمام ابن جني في كتابه الخصائص هو " أن الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ." وعرف الإعراب في كتاب النحو الوافي " أن الإعراب هو تغيّر العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغيّر العوامل الداخلة عليه، وما يقتضي كلّ عامل". وعرفه الشيخ مصطفى الغلاييني بأن الإعراب "أثر يحدثه العامل في آخر الكلمة فيكون آخرها مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو مجزوماً، حسب ما يقتضيه ذلك العامل"¹⁶²

هل الإعراب هو النحو أم لا؟:-

تعتبر مسألة الإعراب من أهم المسائل المنتسبة إلى علم النحو ، حتى إنه لتكاد تكون كلمة أو مصطلح الإعراب بديلاً من كلمة أو مصطلح النحو للدلالة على هذا العلم ، ورد في لسان العرب لابن منظور ما نصه "والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ"¹⁶³ ، وقد ورد فيه أيضاً "والنحو إعراب الكلام العربي"¹⁶⁴ وقد أطلق لفظ الإعراب في أول الأمر للدلالة على النحو، وبهذا المعنى يكون ذلك أول علم نشأ من علوم العربية التي وضعت لها القواعد والأحكام. ولعل التعبير عن هذا العلم بالإعراب مجازياً بذكر الجزء وإرادة الكل، لما أن الإعراب جزء مهم من النحو، والذين يقولون لهذا العلم علم الإعراب يحتجون بأن الإعراب من أجلى الظواهر النحوية وأبرزها .

ويصرح به الدكتور محمد حسن في كتابه الدفاع عن القرآن " وبما أن اختلاف الحركات هذا هو أهم صور الإعراب أي الإبانة - بالحركات وما إليها- عن المعاني التركيبية فإنهم سمو النحو إعراباً أيضاً¹⁶⁵. وضح غير قليل من العلماء اللغويين هذا في الكتب اللغوية المختلفة¹⁶⁶. وعلاوة على ذلك، كان من أهم الأسباب التي أدت إلى نشأة النحو العربي اختلاف بعض الناس من العرب

¹⁶² الغلاييني: مصطفى، جامع الدروس العربية ١٦/١ - ط١٧ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م- نشر المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.

¹⁶³ لسان العرب ، لابن منظور - دار المعارف - القاهرة ، (عرب) 2865/4

¹⁶⁴ لسان العرب ، لابن منظور - دار المعارف - القاهرة ، (عرب) 4371\6

¹⁶⁵ دفاع عن القرآن الكريم لمحمد حسن حسن جيل ص 58

¹⁶⁶ إنباه الرواة 4/8 - ٩

وغيرهم في نطق الحركات في الألفاظ - يعني الإعراب-، وهذا أيضا مما يؤيد أن يسوغ التعبير عن هذا العلم بعلم الإعراب .

مزايا القرآن الاعرابية:-

المزايا التي تجملت بها اللغة القرآنية وافرة، وقد رأى النحاة واللغويون أن من أبرزها ظاهرة الإعراب التي انفردت هذه اللغة بدوامها فيها، على الرغم أن بعض اللغات السامية أيضا قد حملت هذه الخصوصية، اضمحلت هذا على مر الزمان. ويصرح بهذا العالم المؤرخ بروكلمان¹⁶⁷ بقوله: "وقد ظل إعراب الاسم الموروث من قديم الزمان في اللغة البابلية القديمة كاملاً، غير أنه ضاع بالتدريج شيئاً فشيئاً منذ وقت مبكر، كما حدث ذلك في كل اللغات السامية الحديثة، أما اللغة العربية - بحكم انعزالها في الجزيرة العربية - فظلت تحافظ على صيغتها القديمة وظواهرها اللغوية بما في ذلك الحركات الإعرابية"¹⁶⁸. وقد يتفرق إعراب اللغة القرآنية خاصة واللغة العربية عامة بعناصرها المختلفة كما يرى أن للإعراب دوراً في الوقوف على الدلالة ، ويكون الإعراب هو الفارق الوحيد في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين ، كالفاعل والمفعول، ولا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب . فمثلاً إذا قيل هذا قاتلٌ أخى بالتنوين ، وقال آخر : هذا قاتلٌ أخى بالإضافة ، لَدَلَّ التنوين على أنه لم يقتله ، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله. وذلك أن حذف التنوين يعني إثبات بالإضافة يدل على وقوع الحدث في الماضي كما يدل إبقائه على أن الحدث مستقبل .

وتكون المعاني مغلقة على الألفاظ ويكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأغراض الكلام كامنة بين الحروف فعلايات الإعراب يستخرجها. والإعراب يعطي المتكلم حرية التصرف في البناء التركيبي للجملة، حيث يفهم مجال التقديم والتأخير ويدرك المقامات البلاغية بهذا الوجه، كما أنه يقوم

¹⁶⁷ وهو مستشرق ألماني ولد في 1956

¹⁶⁸ بروكلمان: فقه اللغة السامية - ص 17

رابطا وحيدا يربط بين العبارات الماضية والأحداث السابقة خاصة في تفصيل معاني آيات القرآن، حتى إن لم يوجد تفوت العلاقة المعنوية بين ما يبين الآيات والسور.¹⁶⁹ وهو يحرك القدرة الكبرى التي تتضمنها الآيات القرآنية، ويزيل اللبس الذي يوجد من خلال إجراء التصرفات في الجمل العربية، "ولولا الإعراب لآل الأمر إلى اللبس في الكلام أو جمود العربية في تراكيبها، وقتل الطاقة الكامنة فيها ولعل أسلوب التقديم والتأخير في العربية أصدق دليل على أهمية الإعراب الذي لولاه لأصبحت اللغة جامدة، ولفقدت حريتها في التعبير وقدرتها على التفنن في القول"¹⁷⁰

وقد بين العلماء الشروط التي يجب أن تكون للمفسر، وجعلوا تمامها معرفة الإعراب، وهو أن يكون المفسر ذا علم حادق عن الإعراب حيث لا يخفى عليه شيء من اختلافات الكلام ولا يلتبس له الوجوه المتنوعة المتناقضة في العبارات. والذي فسر بعض أهل العلوم الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن 'باختلاف الإعراب مع اختلاف المعنى أو إتقانه'.¹⁷¹ والقراءات القرآنية من الأصول التي تميل إليها القواعد النحوية، فالإعراب من أهم الوسائط التي تساعد على ضبطها وفهم أسرارها وعلى ضبط نقلها. هذا معلوم بأن اللغة العربية اتصفت بأرفع درجات البلاغة والفصاحة، ونظرية النظم التي دعى إليها العلماء مثل عبد القاهر الجرجاني كان جوهر تلك البلاغة، والأساس الذي تقوم عليه نظرية النظم إنما هو الإعراب. وقد بين الجرجاني هذا في كتابه دلائل الإعجاز¹⁷² كما يقول الأستاذ عبد الكريم الرعيض على وجه الوضوح والإبانة "هكذا نخلص من ذلك كله إلى أن القرآن الكريم قد نزل بأفصح لغة، وأرقى أسلوب، وأوضح بيان عرفه العرب بجميع فروعهم وقبائلهم خالياً من عوارض اللهجات المستهجنة، متحلياً بكل سمات الفصاحة

¹⁶⁹ وقد بين كثير من العلماء والمفسرين تلك العلاقة الوطيدة لفظيا ومعنويا بين الآيات والسور في القرآن

¹⁷⁰ حوث لغوية - أحمد مطلوب - دار الفكر - عمان - الأردن - ط ١ - ١٩٨٧ م

¹⁷¹ الرعيض: عبد الوكيل عبد الكريم، ظاهرة الإعراب في العربية ص ٣

¹⁷² الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز ص ٤٥٨-٤

والبلاغة في مفرداته وأساليبه، وفي مقدمة تلك السمات ظاهرة الإعراب التي التزم بها النص القرآني التزاماً كاملاً، وبنى عليها كثير من مظاهر إعجازه وروعة¹⁷³

الجدال في وجود وأصالة الإعراب:-

ومما يظهر أن اختلافات الإعراب - نطقاً وكتابة - يختلف بها معنى العبارات في الآيات القرآنية. ومن الحقيقة أن القرآن الكريم لم يكن مكتوباً بعلامات الإعراب في أول الأمر - في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - فهل كان الإعراب أصلياً أم لا؟ وهذه مما أدت إلى شتى الإدعاءات حول القرآن. لما أن للإعرابات إهتماماً بالغاً في النطق والكتابة - من حيث أنه يَأثر المعنى تأثيراً مذكوراً، لا نرى تلك الإدعاءات جدوى الأقوال. فعلى الدارس عن أسس نحو القرآن أن يعلم عن هذه المسألة والنقاشات المتعلقة بها. من القائلين من يزعم أن الإعراب ما كان أصلاً وأنه كان أمر محدث لم يتولد حتى القرن السابع الميلادي الموافق للقرن الأول الهجري - القرن الذي نزل فيه القرآن -، وكان العلماء يخترعون في القرن الثامن الميلادي - القرن الثاني الهجري - كما أنهم يزعمون أن القرآن كان في أول الأمر غير معرب في نضبه ثم لما بدأت النحاة واللغويون يحللونه شرعوا إلى تطبيق الإعراب في النص القرآني. ومثل هذه الدعوى في الحقيقة من زعم من ينكرون بأن القرآن ليس كلام الله وأن القرآن قد تعرض للتدخل البشري في صياغته .

ويعرض جاحدو أصالة الإعراب أدلة يحاولون بها إثبات دعوتهم حيث يقولون انفراد اللغة العربية من الإعراب من أول الأمر بالنسبة إلى اللغات السامية الأخرى، كما أنهم يذكرون أنه لا يوجد من الإعراب إلا بعض الآثار في تلك اللغات مع أنه قد اضمحلت عبر الزمان. ويخالفون أيضاً اتخاذ الإعرابات من الشعر العربي الجاهلي القديم قائلين بأنه لا يوثق به لفقدان السند

¹⁷³ الرعيض: عبد الكريم، ظاهرة الإعراب في العربية ص ٢٨٢ - ٢٨

اللغوي الموثق الذي يؤيد وجود الإعراب في عربية ما قبل الإسلام والذي يتأتى أن يكتشف من القوانين النحوية. وكان أول من قام بهذه الادعاءات الباطلة من اللغويين العربيين المعاصرين هو الدكتور إبراهيم أنيس المتوفى سنة 1978 م. يصرح هو والذين معه بأن ضياع الكلمات في الجمل لحركات الإعراب لا يؤثر في فهمنا لمعاني تلك الجمل حتى ليتصور معانيها من لم يتعلق بفن علم النحو، والذي يعنى بهذا أنه ليست لعلامات الإعراب أية دلالة في تأدية المعنى. وكذلك يستدلون أيضا بقول أبي علي الفارسي بأن حركات البناء أيضا تدل على المعاني المختلفة وفقا لتغيير الحركات كما أننا إذا حوّلنا الفتحة من فاء الفعل في "سَمِعَ" إلى الضمة يصير إلى سُمِعَ ويتحول معناه أيضا كما يقع في حركات الإعراب، كما يجوز إسكان حركات الإعراب¹⁷⁴ في الوقف وغيره، ويشير هذا أنه يمكن أن يستغني من علامات الإعراب .

وقد أثبت العلماء اللغويون من المؤرخين -والمستشرقين أيضا- الذين تناولوا اللغات السامية القديمة وجود الإعراب في أكثر تلك اللغات السامية، كما نرى قول يوهان فك المستشرق حيث يقول " لقد احتفظت العربية الفصحى ، في ظاهرة التصرف الإعرابي ، بسمة من أقدم السمات التي فقدتها جميع اللغات السامية -باستثناء البابلية القديمة- قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي".¹⁷⁵ على الرغم أن يوهان فك لا يهتم إلا بالآثار الواسعة الوافرة غير أنه قد يقرّ ويثبت وجود الإعراب في البابلية القديمة مع أن اللغة العربية كانت معربة كسائر اللغات السامية ثم أنها احتفظت مزيتها الإعرابية عندما فقدت كل الساميات إياه. ويذكر إسرائيل ولفنسون في كتابه " تاريخ اللغات السامية " أن هناك شيئا من بقايا الإعراب في أغلب اللغات السامية، ثم ذكر أمثلة لذلك من العبرية والسريانية والبابلية¹⁷⁶. وهناك مثل هذا غير قليل من المستشرقين الذين

¹⁷⁴ قراءة أبي عمرو بتسكين أواخر الكلمات مثل "يأمركم" و"ينصركم" ومثل "والهدى والقلائد ذلك لتعلمو" و"قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي" -عند الإعراب- وقد استغنى فيها عن الإعراب.

¹⁷⁵ العربية ليوهان فك ترجمة د.عبد الحلیم النجار ص3

¹⁷⁶ تاريخ اللغات السامية ص 15

يثبتون وجود الإعراب وأصالته في اللغات السامية ومشاهدة آثاره في اللغة العربية أيضا، منهم المستشرق الكبير وليتمان، و نولدكه، و رايت، و برجستراشر، و كارل بروكلمان وغيرهم .

ويقول جاحدو أصالة الإعراب أنه لا يعقل أن عرب القرون الأولى الأميون كانوا يلتزمون ويحافظون على القواعد العربية المتشعبة الدقيقة المختلفة في حياتهم اللغوية اليومية، وأن هذه القواعد المتفرقة اكتشفها بعض اللغويون من لا شيء أو اقتسبت من لغات أخرى. ولكن نفهم بأن هذا الدعوى باطل لما أن الأميين يتناولون ويتعاملون باللغة فطريا وتلقائيا دون إحساس بتشعب، وإذا يكن العرب ينطق أي لفظ مثلا "أشهد أن محمدا رسول الله" يلفظ بإعطاء ضمة لللام في "رسولُ الله" ويكون هذه القراءة أو التلفظ صحيحا على الرغم أن الرجل الذي نطق بضم اللام لعله لا يكون يعلم الحكم الذي تسبب لحصول حركة الضمة - على أنه خبر أن-، وإذا نطق أحد منهم بإعطاء الفتحة على ذلك اللام يكون ذلك أيضا صحيحا على الرغم أن ذلك الرجل لا يفهم الوجه الاصطلاحي النحوي لحصول الفتحة- على أنه صفة ل'محمد'،-، لما أن العربي يعلم بالفطرة الصفة والموصوف وكذلك سائر أركان الجملة ومكملاتها دون معرفة مصطلحاتها .

وكذلك لا نقدر أن نسلّم دعوى اختراع الإعراب من عند أنفس النحويين أو اللغويين القدماء، ودعوى اقتباس الإعراب من لغات أخرى، لما أن هناك كثير من الاستحالات في تسلمها وهي أنه قد اشتهر أن الآثار العربية الوافرة من الأشعار والقصص والخطب والأمثال والحكم وغيرها مما أبقى العصر الجاهلي كانت هي من أهم المصادر اللغوية النحوية التي التجأ إليها النحويون لبناء القواعد والنظريات النحوية. وكان كل المبادئ والقوانين النحوية التي عرفوها ما يوافق ويناسب للتركيب اللغوية من المصادر الجاهلية العربية. ولو كانت تلك القواعد وأحوال الإعراب مما اخترعوا من عندهم أو اقتسوا من أية لغات أخر فكيف تكون تلك المناسبة والتساوي بين أكثر أو كل المبادئ النحوية (نسبيا) التي عرفتها النحاة وبين التركيب العربية من تلك الآثار القديمة ؟ .

علاوة على ذلك، مما نرى في الكتب النحوية الإعرابية، أقوال النحاة عندما يبين ويوضح بعض الأحكام، على أن كذا نشاهد في قول العرب حتى يأتون لذلك الشواهد أيضا من الأشعار وغيرها، كما أنهم يقولون عن بعض الأحكام النحوية النادرة الشاذة بأنهم ما سمعوا ذلك من العرب. هذا خير شاهد لإبطال من يدعون عدم أصالة الإعراب ويقولون باصطناع النحو من عند أنفس اللغاة .

ومع ذلك قد أطل العلماء هذا المجال بأدلة وتفصيل غيرها عقلية ونقلية. وهذا واضح مثل النهار أن القرآن الكريم كتاب ورد أفصح اللغات وأبلغها، والذي وردنا ذلك معربا، ولا ينكر ذلك أحد، ومن أنكرهنا فإنه ينكر حقيقة ظاهرة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة أيضا وصل إلينا معربةً وأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قالها هو أفصح بشر نطق بالضاد. إضافة إلى ذلك، أن من المفهوم أن السبب المهم الذي يأخذ اللغويون الأشعار العربية للاستدلال بها هو لما أنها تبادلت من جماعة إلى أخرى معربةً بالإعرابات المختصة، كما أن وجود الإعراب في القافية أكبر دليل على أن العرب كانت تستعمل حركات الإعراب للدلالة على المعاني المختلفة، فكانوا لما أنهم رغبوا على المعنى الذي يقصدونه يثبتون الحركة الدالة عليه، ولو لم يكن الأمر كذلك لما ضحوا بالموسيقى التي تنتج من وحدة الحركات. ولذلك لا بد لنا أن نقول بأن الإعراب ظاهرة موجودة في العربية منذ أقدم العصور المعروفة، حافظت عليها الأمم والأئمة في كل العصور تمثل أداة رئيسية تساعد كلاً من المتكلمين والمخاطبين ليتسعوا في كلامهم معبرين عما في نفوسهم من المعاني على أسهل صور ممكن .

و قد ادعى بعض العلماء مثل الدكتور إبراهيم أنيس المصري أن ليس للإعراب شيء يؤثر في معاني العبارات العربية، وقد أتى بدلائله المتنوعة لدعواه حيث أوردها في كتابه "من أسرار البلاغة" ، كما أورد العالم الكبير والمؤرخ البارز والكاتب المشهور الدكتور محمد حسن حسن جبل

في كتابه 'دفاع عن القرآن الكريم' كل الادعاءات والأقوال المتعلقة بهذا وصرح بأجوبته الجلية لها بإظهار الأدلة القاطعة لجميع الدلائل الموصلة إلى حقائق الأمور، حيث قام بعرض الشواهد الصوتية والخطية العديدة من القرآن والأحاديث والآثار العربية المتفرقة ومن الحوادث التاريخية الوافرة .

النحاة المتقدمون وآراءهم مع الدلائل:-

وقد أقرّ جميع العلماء النحويين - باستثناء حفنة منهم- أن لمزية الإعراب في اللغة العربية تأثيراً بالغاً في معانيها ودخلاً حاسماً في تراكيبها ودوراً مذكوراً في تقديم ما تتضمنها، كما أنهم صرحوا بتفاصيل ما أقرّوا بها مع بيان الدلائل المطلوبة التي تؤيد وتُصدّق ما بيّنوها. بالنسبة إلى ما نظروا وتفحصوا أن الإعراب هو الذي يعين المعنى الحقيقي وهو الذي يعطي الكلام الكمال، حيث يكون الإعراب مطابقاً للمعنى المختص كما يشير إليه النحوي المشهور يحيى بن زياد الفراء -207هـ - " العرب تخرج الإعراب على الألفاظ دون المعاني - ولا يفسد الإعراب المعاني، وإذا كان الإعراب يفسد المعنى فليس من كلام العرب، ولم يوجد في كلام العرب وأشعار الفحول إلا ما المعنى فيه مطابق للإعراب ، والإعراب مطابق للمعنى "177.

وحركات الإعراب تُخبر المعنى ويختلف المعنى باختلاف الحركات التي هي علامات الإعراب، وكان هذا جواب الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي حينما سأله سائل " ما الذي دعا إلى الإعراب واحتيج إليه من أجله؟" حيث يوضح له بالإجابة الشاملة بقوله "إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة (مرة) ومفعولة (أخرى) ، ومضافة (مرة) ومضافاً إليها (أخرى) ، ولم تكن في صورها وأبنيها أدلة على هذه المعاني ، بل كانت مشتركة - جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني . فقالوا : "ضرب زيد عمرو" ، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له ، وينصب عمرو على أن الفعل واقع به ، وقالوا " ضرب زيد " فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد على

أن الفعل لم يسم فاعله ، وأن المفعول قد ناب منابه وقالوا " هذا غلام زيد " فدلوا يخفض زيد على إضافة الغلام إليه . وكذلك سائر المعاني : جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ؛ ليتسعوا في كلامهم ، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالة على المعاني هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً¹⁷⁸ .

وبخاصية الإعراب يستطيع كل من يتصرفون باللغة العربية أن يحولوا بعباراتهم إلى حالات متنوعة ، مختلفة المعاني حسب إراداتهم الحالية حتى حصلوا الوسعة المحتاجة في تناول اللهجة القرآنية تحدثا واستماعا وقراءة وكتابة . وهو الفارق الوحيد بين الكلامين المتكافئين الذي يفهم به الافتراق بين المعنيين المتبسين عندما يحتمل الكلام للمعنيين أو أكثر ، كما يجعل للكلام رونقا وجمالا في بنيته ، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة يرى هذا في كتابه 'تأويل مشكل القرآن' ولها (أي العرب) الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها ، وحلية لنظامها ، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول ، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب " .

ومع ذلك أورد الإمام ابن قتيبة في كتابه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قال " لا يقتل قرشى صبيرا " فمن رواه جزما (أي بجزم الفعل) أوجب ظاهر الكلام للقرشي ألا يقتل إن ارتد ، ولا يقتص منه إن قتل . (أي لأن الكلام يكون حينئذ نهيا من النبي ﷺ عن قتل القرشي صبيرا مطلقا) . ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل.¹⁷⁹ ونفس هذا التصريح قد صرح به العالم اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس

¹⁷⁸ كان قطربا من المعتزليين الذين لا يابهنون بإعجاز اللغة العربية ، كما أن كثير من العلماء مثل الأزهري وابن سكيت وغيرهم قالوا أنه كان يكذب من اللغة وأنه كان ليس من الثقات . وهذا يوجد في كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي .

¹⁷⁹ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 14

بن زكريا الرازي كما يذكر بأن الإعراب هو من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام¹⁸⁰

وهناك بحوث ومناقشات عن عدة العناصر والفروع المتعلقة بالإعراب، مثل العوامل المؤثرة فيه، وعلامات الإعراب الأربعة، وأنواع الإعراب المتنوعة كالإعراب الظاهر والإعراب المقدر والإعراب المحلي والإعراب المحكي وإلى غير ذلك.

الفصل السادس: الاتجاهات اللغوية الحديثة في القرآن

لا شك في أن القرآن هو الكتاب المنزل من عند الله عز وجل المعجز بجميع آياته، وهو الكتاب الذي يحمل المكانة الأولية بأعلى درجاتها في الفصاحة اللغوية والبلاغة التركيبية، كما أن معاني القرآن الكريم وأساليب عباراته موافقة لمقتضيات جميع العصور المختلفة ومناسبة للاتجاهات المتنوعة التي تظهر في شتى الأزمنة. وهذا مما يعلن عجائب القرآن الأدائية الباهرة التي يدركها كل من يتناول النصوص الإلهية القرآنية. إنه مما صرح به القرآن أن لا بد للإنسان محافظة التواصل النظامي في المجتمع لما أنه حيوان اجتماعي وله احترام أكبر من بين سائر الحيوانات، وهو خلق الله جل وعلا المختص بمميزات عديدة في خليقته وحُلُقه وفي جميع الأشياء الجارية في حياته اليومية .

وتلك الخصائص والمميزات تظهر في الميادين الثقافية والمجالات الاجتماعية والمدارات العقلية وغيرها. والذي يهتم من المواصفات في هذه المظاهر هو اكتساب اللغة وممارستها وتطبيقها، لما أنه من العوامل الأساسية والعناصر الابتدائية لتبادل المعلومات من فرد إلى آخر كما بين الله تعالى " وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ " ¹⁸¹. وهذه الآية مما يدل على تكريم الإنسان بإنعامه بإعطاء قدرة الكلام وموقع استخدام اللغات كما قال القرآن أن هذا كان مرفقا للإنسان منذ بدء

¹⁸⁰ الصحاحي لابن فارس 76

¹⁸¹ سورة ص 20

خلقه حيث يذكر الباري تعالى "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" ¹⁸².

وكان من الفيضانات الإلهية أن منح الإنسان كل التوفرات والمصادر لأن يكون الإنسان على موهبة تامة للتواصل بينهم شفويا، حتى تمكنوا معرفة الأسماء التي علّمها الله النبي آدم عليه السلام وتعرّفوا أساليب اللغة الاستعمالية بمر الزمان والأيام، مع أن القرآن يسلط الأضواء إلى هذه الحقائق التاريخية اللغوية التي تنبه أهمية الدراسة اللغوية كما أنه يقع مصدرا أساسيا معتمدا عليه في كل العصور للتقدم مع الاتجاهات اللغوية المختلفة حسب الأزمنة المتغيرة. وهذا واضح لكل من له أدنى إلمام عن أسلوب الآيات القرآنية أن لغة القرآن هي الجامعة لكل الشروط الواجبة لمواجهة المخاطبين حسب حالاتهم النفسية، وهي المانعة لكل الموانع التي من شأنها أن تبعد من مسامع السامعين والمخاطبين، كما أنها من أوصاف اللغة الحسنة أن تكون هكذا .

وقد بنيت النظريات العديدة والمبادئ الوافرة لعلم اللغة ولكل العلوم المتعلقة به حسب البحوث العلمية الحديثة والاكتشافات العصرية حتى صارت العلوم والدراسات المنتسبة إلى اللغة فنا مستقلا منفردا يجتهد فيه الباحثون والعلماء وتُرى فيه الكتب والمصنفات ويبني له المعاهد والجامعات. وبالنسبة إلى اللغة العربية نرى أن القرآن الكريم هو الذي كان الملجأ الأساسي والمنبع الرئيسي لتولد الدراسات اللغوية العربية لما أن لغتها تقوم أوج الصواب والاستقامة، صالحة للاعتماد عليها، مُقرّة لدى جميع أممها. والدراسات اللسانية القديمة الشاملة بكل أنواع اللغة كانت مجرية ومبنية على ضوء الآيات القرآنية خاصة والآثار العربية عامة، حتى تنوعت الكتب اللغوية وفق موضوعاتها اللغوية المختلفة، حسب الاتجاهات اللغوية المتناسبة بالعصور .

وهناك غير قليل من المناهج اللسانية الموظفة في الدراسات القرآنية المعاصرة مثل المنهج البنيوي والمنهج التأويلي (هرمينيوطيقا) والمنهج السيميائي والمنهج الدلالي وغيرها. وفي بادئ

الأزمة من العصر الحديث قدم بعض المفكرين الأوروبيين بدراسة العلوم المتنوعة عن اللغة حتى أنشأوا بعض النظريات والمبادئ اللغوية وحاولوا تطبيقها على الآيات القرآنية - على لغة القرآن-، وبعد أن نشطت الحركة الاستشراقية صارت أصحابها حاملي رسالة تلك الدراسات اللسانية والمناهج اللغوية حتى قلدهم فيما بعد بعض الدارسين العرب. وكان المنهج الفيلولوجي¹⁸³ من أخطر المناهج التي حاولوا تطبيقها على النصوص القرآنية مع أن هذا المنهج قد اندلع من أعمال مثابرة من المستشرقين الغربيين الذين لا يعترفون الخصائص القرآنية اللغوية الإعجازية .

على الرغم أن الفيلولوجيا ما كانت في من نشأتها تقوم بنقد النص الديني لما أنها كانت دراسة لغوية تتعلق بالملاح التاريخية -انثروبولوجية- التي تهتم بأصل اللغة وقدمها وتقديمها وارتفاعها وتأليفها وتنظيمها بحيث أنه بحث نظري بعيد عن التطبيق، فله ارتباط باللغات القديمة، مع أن هنالك رأي يقول بأن هذا المنهج تعلق في ابتداء أمره بالمؤلفات الإغريقية والرومانية القديمة، التي مشى نحوها المفكرون الأوروبيين بعد سقوط القسطنطينية سنة 1454م لما أنهم تأثروا بطريقة أولئك المفكرين في تحليل النصوص ودراستها، فإذًا بدأوا الاعتناء والاعتبار بالنصوص والوثائق لما أنها هي الشواهد الوحيدة على الأحداث الغائبة من هذه الأمم. ومثل هذه المناهج الحديثة التي بنيت وأجريت المحاولات لتطبيقها على الآيات القرآنية، لا نقوم بتحليلها وشرحها وتفصيلها في هذا المقام لما أن المراد بهذا الفصل والعنوان هو الفهم والإفهام عن الاتجاهات اللغوية العصرية القرآنية التي تظهر منها العجائب الإلهية العظيمة والإعجازات القرآنية الباهرة والمزايا اللغوية الطريفة .

¹⁸³ الفيلولوجيا: هو كلمة غربية يشير اصطلاحيا إلى الدراسة اللغوية المتعلقة بأصل اللغة وبدايات قدمها وتولدها ونشأتها وتطورها وتقديمها، كما يشمل تلك العوامل التي ساعدت لارتقاء اللغة وارتفاعها.

الباب الثالث

تشكيل المبادئ النحوية وتطبيقها في اللغة العربية

الفصل الأول : تولُّد القواعد النحوية في العربية

الفصل الثاني : تطبيق القواعد النحوية في القرآن

الفصل الثالث : الأحاديث النبوية والقوانين النحوية

الفصل الرابع : الملامح النحوية من الآثار العربية القديمة

الباب الثالث

تشكيل المبادئ النحوية وتطبيقها في اللغة العربية

الفصل الأول : تولد القواعد النحوية في العربية

من الحقيقة الظاهرة أن الموارد الأصلية للغة العربية هي تلك الكلمات والعبارات المتولدة من ألسنة العرب الخالص من بينها الأشعار والخطابات والأمثال والحكم وغيرها. ومع ذلك إن من الحقيقة الباهرة أن القرآن الكريم هو الكلمة الأخيرة لتعبير القوة اللغوية الشامخة للغة العربية لما أن لغته في أعلى درجة التراكيب الجيدة والنسق القويم. وكانت القواعد النحوية العربية تولدت على أساس ما ورد في تلك الموارد اللغوية الخالصة يعني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار العربية القديمة والأمثال الجاهلية وحكمها وخطبها .

ومع ذلك، قد اعتمد النحويون إلى الفصحاء من العرب لاستقراء وتحليل العناصر النحوية المتباينة الوافرة لما أنهم قاموا بتحديد الإطار المكاني للاحتجاج وذلك من القبائل التي لم تتأثر بلغات الأعاجم ولم تختلط بهم ، وهم قيس وتميم وأسد ، وهذيل ، وبعض الطائيين. يقول ذلك الإمام السيوطي في كتابه المزهري في علوم اللغة وأنواعها¹⁸⁴

مع أن القرآن الكريم يعتبر المصدر الأول من مصادر التقعيد النحوي وكان إلى جانبه قراءته أيضا، لما أن آيات القرآن تمثل القرآن الأصلي ، وتمثل القراءات فيها تمثل الفرع . ولكن النحاة اختلفوا اختلافا شديدا حول القيام ببعض القراءات حجة ، وتراوحت آرائهم بين معرض ومقبل عليها غير أن النحاة أجمعوا بأجمعهم على أن النص القرآني أوثق وأصح مرجع لهم ، غير أن التضارب بينهم كان في القراءات فقط. " والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف وكيفيةها ، من تخفيف وتثقيل وغيرهم¹⁸⁵

¹⁸⁴ للاحتجاج وذلك من القبائل التي لم تتأثر بلغات الأعاجم ولم تختلط بهم ، وهم قيس وتميم 1 وأسد ، وهذيل ، وبعض
¹⁸⁵ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان لعلوم القرآن، تج: محمد ابي الفضل ابراهيم، دار التراث، القاهرة، ط2، 1/318م1972.

وبالنسبة إلى الأحاديث النبوية لقد رفض بعض من العلماء القدامى الاحتجاج بها في استخراج القواعد النحوية لما أنه جوّزت رواية الأحاديث بالمعنى وتصحيح رواية الأعجمي للأحاديث. والأمر الذي نأخذ بالأحاديث حجة لاستنباط القواعد هو كونها واردة من لسان سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. ولكن رد العلماء ما رفض بعض منهم لما أن الأحاديث لا تروى بالمعنى إلا للضرورة في بعض من الأحيان مع التحرز البالغ من التغيير المخل لأن شرط الراوي أن يكون من أهل الضبط والإتقان والحفظ واللغة العربية. علاوة على ذلك، إن رواية الأحاديث كانت أكثر تحرزا وتعهدا مما هو في رواية الأشعار العربية كما أن الأشعار العربية الوافرة قد عرفت بتداخل التحريف والتصحيح والوضع والاختلاق .

والمسلمون في القرون الأولى يحفظون ويحافظون الأحاديث النبوية المقدسة بإتقانها من حفظ الأشعار العربية وقصائدها و آثار الجاهلية الأخرى، وكان ذلك بحمهم الشديد وحرصهم العالي لكل ما جاء من بين شفتي الحبيب محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. كما يقول الدكتور محمود فجال " وهكذا قيض الله تعالى للحديث النبوي من ينافح عنه ويزود عن حياضه ويدعو إلى الاستشهاد به في ميدان النحو العربي وهو ينبوع فياض وموارد عذب ولن يخلو عصر من العصور من عالم ينفي عنه تعريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ¹⁸⁶.

وقد كان هناك معايير عديدة ونظامات وافرة في إنشاء القواعد النحوية العربية من تلك الموارد الأصلية، كما بينها العلماء من النحاة واللغويين ولاحظها في بناء القوانين والنظريات اللغوية. من شأن تلك القواعد أن تكون مختصرة شاملة مانعة بحيث إنه يحدد المادة اللغوية ويحدد الوظائف النحوية كما أنها تكون عامة مطردة تخضع لها جزئيات المادة العلمية المجموعة حتى

¹⁸⁶ الحديث النبوي في النحو العربي ، الدكتور محمود فجال ، أضواء السلف ، الرياض - 1997 م

تكون القوانين متضمنة تحت مجموعة من وسائل التحقق تحدث بها النحاة من بينها مسالك العلة وشروطها والطرده والعكس ودوران العلة مع المعلول إلى غير ذلك .

ومن الشروط الهامة التي تعتبر لوضع القواعد الضبط والموضوعية، وهذا ما رآه النحويون من القدماء والمحدثين بالأهمية الكبرى حيث أنهم كانوا يردون قواعدهم إلى ما تقوله العرب ويوثقونها بالشواهد والأمثلة. ولذا كانت النحاة الأوائل يكثر من حفظ النصوص الفصحى، على رأسها نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك كلام العرب من الشعر والنثر. من الأمور التي تنتبه إليها مسامع المحاضرين ومناظر القراء أن ملاحظة النحويين واللغويين دورا هاما في الآثار العربية القديمة من الضياع وعدم الاعتناء بها، في حال أنهم لم يستثنوا الأشعار العربية القديمة لغرابة لفظها وغموض معانيها أو لبعض من الأسباب الأصلية والفرعية غيرها .

و لم تنظر النحاة إلى زمن الشعراء أو بيئتهم أو إلى نسبهم وعلمهم و بل عاملوا بهم بمجرد الأخذ بما قالوا من دون عين العصبية والحزبية حتى احتجوا بالأشعار البدوية من ذكور الشعراء وإنائهم وصغارهم وكبارهم وفقرائهم وأغنيائهم، غير أنهم التجأوا إلى بعض الأمور مثل صحة الأسناد وكثرة الاستعمال وصحة القواعد النحوية ودلالة السياق ودقة إصابة المعنى في أحوال ورود الاعتراضات. وعلاوة على ذلك، هناك بعض من الأسس العقلية التي ساقى النحويين إلى بناء القواعد مثل القياس التعليل والتأويل النحوي والعامل النحوي. والقياس هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه. والتعليل بيان سبب ابتداء العرب ظاهرة لغوية¹⁸⁷. والتأويل صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، وهو تقدير الكلام تقديرا يخضعه للأحكام كما أنه حمل الكلام على غير ظاهره .

¹⁸⁷ التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، الكندي خالد بن سليمان، دار المسيرة، عمان ط1، 200م ص 122

وقد اعتمد النحاة في بناء القواعد النحوية وتقعيدها على خمسة أصول مهمة، فالأصل الأول من تلك الأصول نقلي كما أن البقية منها أربعة عقلية منطقية وهي القياس والتعليل والتأويل ونظرية العامل والأهم من هذه الخمسة هو السماع الذي هو لغة العرب من حيث تم الاستقراء والاستنباط منها، وهو الأساس الذي عليه وضعت القواعد النحوية ومنه انطلقت العملية التقعيدية. و لم يأبه أكثر النحويين القدماء بالاستدلال بالنصوص الأدبية التي لا يعلم قائلها وبالشواهد المجهولة النسبة حتى تسببت مثل هذه المواقف لانبعاث المعارضات والاختلافات بين النحاة واللغويين، ومن هذا تولدت الأحكام الشاذة أيضا. وفي بعض الأحيان يعود النحاة إلى التقديرات وإلى القول بالضرورة الشعرية و إلى الاعتماد على أقوال بعض القبائل العربية وغيرها .

والذي استنبط النحاة القوانين اللغوية النحوية من الكلام العربي الفصيح الذي لم يدخله اللحن. وقد احتززه النحويون على حدما يستطيعون وضمنوا غير قليلة من النصوص الصحيحة حتى نجد ألفا وخمسين بيتا من الشعر العربي استشهد بها الإمام سيبويه في كتابه "الكتاب" ، كما أنه اتبع كثير من المصنفين مثل الإمام السيوطي والنحاس وابن السيرافي وغيرهم. وهذا ما يزيد من شرف الأشعار العربية القديمة لما أنها كانت صورة صادقة للغة العربية في أوجها ولوحة جميلة في متانة البيان ورونق الأسلوب بالإضافة إلى علو التعبير حتى صارت مضرية للمثل في فصاحة الكلمة وبلاغة المعنى. ولا نقدر لإنكار المكانة الأدبية للأشعار الجاهلية على أي وجه وإن كان هنا القرآن الكريم في قمة الأدب وفصاحة الكلام كما يصرح به العالم اللغوي المشهور عبد العال سالم المكرم في كتابه القرآن الكريم وأثر في الدراسات النحوية "لأن إنكارنا الشعر الجاهلي يعد إنكارا لإعجاز القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم - كما نعلم - أشار في أكثر من موضع إلى

فصاحة العرب وبلاغتهم ولو لم يكن رصيد من بلاغة القول وفصاحة اللسان لما كان هناك داع لهذا التحدي التي تمثله آيات قرآنية متعددة¹⁸⁸

وكانت الاختلافات التي وقعت بين النحاة من البقعات المختلفة من البصرة والكوفة والأندلس وغيرها من أحد المشاكل التي واجهها العلماء في طريق بناء القواعد وقد بين ذلك العلماء في كتبهم كما يقول الإمام ابن الأنباري في كتابه " والحديث عن الخلاف ,يجر إلى الحديث عن مدرستي البصرة , والكوفة بالضرورة ذلك أنهما .يمثلان أهم مصادر النحو ,فالخلاف هو ما نشأ بين علماء البصرة والكوفة من تباين في تعليل الظواهر اللغوية ,ومن تمايز في استنباط الأحكام النحوية واختلاف في فهم الأصول ,واستخدامها ,وتقعيد القواعد وتخريجها إلى غير ذلك ,مما يمت إلى النحو واللغة ,فقد كان لكل منهما فهمه الخاص للأصول ,وموقفه المتميز منهما ,فقد استخدم كل منهما السماع والقياس , وتمسك بهما , ولكن اختلاف فهم كل منهما لهذين الأصلين الكبيرين , جعلهما يقفان أحيانا على طرفي نقيض في تفسير النحو وتقعيده فما تجد لطرف رأيا , حتى تجد للطرف الآخر ما يباينه ويناقضه "¹⁸⁹

ويقول الإمام السيوطي "إن الحديث عن الخلاف هو حديث عن النحو برمته , إذ يرتبط الخلاف بالموضوعات النحوية جميعا – تقريبا – فلا تكاد تطالع موضوعا نحويا دون أن تجد اختلاف النحويين في تفسير ظواهره ,أو تعليله ,أو بيان عامله , أو نحو ذلك , كما أن طبيعة النحو العربي تساعد على نمو الخلاف, إذ انه علم اجتهادي ,فللنحوي فيه أن يرتجل فيه عن المذاهب ما يدعو إلى القياس ما لم يخالف نصا "¹⁹⁰

¹⁸⁸ عبد العال سالم المكرم في كتابه القرآن الكريم وأثر في الدراسات النحوية " دار المعارف ، القاهرة، ط1، ص329

¹⁸⁹ علوش جميل ، ابن الانباري ، ابن الأنباري و جهوده في النحو ، (دكتوراه)، معهد الاداب الشرقية، جامعة القديس يوسف، بيروت ، 1977 ، ص212-2

¹⁹⁰ ينظر: السيوطي، الاقتراح في اصول النحو، دائرة المعارف، ط1، 1315هـ، ص35

وقد وقعت هناك جدالات ونضالات بين النحويين والشعراء إبان العصر الأموي كما أن تلك المناظرات التي وقعت بين النحوي الإمام الجليل الحضرمي¹⁹¹ والشاعر الكبير الفرزدق و النضال الذي جرى بين النحوي المشهور عيسى بن عمر الثقفي وبين الشاعر النابغة الذبياني. وهذه الحوادث تشير إلى ما كان للأشعار العربية القديمة التي جاءت من ألسنة أصحاب اللغة السليمة من المكانة العالية في إظهار النظريات النحوية العربية .

والدوافع التي أدت إلى تنشئ الاختلافات بين المدارس النحوية والعلماء اللغويين وفصحاء العرب وقبائلهم تعود إلى بيئتهم اللغوية وأحوالهم السياسية ومناهجهم اللغوية المختلفة، بحيث أنه كان في البصرة والكوفة أسواق مشهورة مثل سوق المرید ومساجد ومجالس الوعظ وحلق العلم مثل مجلس الحسن البصري رضي الله عنه ومجلس الخليل بن أحمد الفراهيدي ومجلس حماد بن سلمة وغيرهم، وكذلك تحول الحزبان إلى ذينك البلادين في فترة معركة الجمل – حزب علي بن أبي طالب وحزب عائشة رضي الله عنهما- وانتشرت أساليب اللغة في المدينتين، واهتم البصريون بعلوم الفلسفات كما اهتم الكوفيون بعلوم الفقه والحديث. وظهرت الاختلافات والآراء المتباينة في المناظرات والمجالس العلمية، ومما عرف هناك مناظرة الإمام الكسائي والإمام سيبويه ومناظرة الإمام الكسائي والأصمعي وغيرهم¹⁹².

الفصل الثاني : تطبيق القواعد النحوية في القرآن

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم وحيا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، فأعجز فصحاء العرب وبلغاءهم وشعرائهم عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل أي

¹⁹¹ والحضرمي هو الذي مد القياس والعلل ويقول فيه ابن سلام الجمعي فكان أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل

¹⁹² وقد وقعت المناظرات بين الإمام المازني ونحاة الكوفة وبين الإمام المرید والثعلب

سورة من سور القرآن ، وأعلن الله جل وعلا بحفظه بقوله تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ¹⁹³ ، ومسالك حفظ القرآن كثيرة من شأنها أن تحقق وعد الله تعالى في كتابه المجيد، ومن تلك المسالك أنه تعالى هياً طائفة من علماء الأمة ليقوموا جاهدين على وضع قواعد تضبط لغة العرب وتحافظ عليها من الضياع واللحن والانحراف، وكان معتمدهم الأول في صياغة القواعد النحوية هو النصوص القرآنية، ولا ينتقلون إلى نص آخر إلا إذا لم يجدوا نصاً قرآنياً تقوم عليه القاعدة النحوية، فمن المعروف أن القرآن عربي، وليس كلّ العربية من القرآن. ولكن قد استنبط النحاة كثيراً من القواعد النحوية من القرآن . وهذا ما يقول الإمام مهدي المخزومي بقوله " هو أصدق مرجع ، وأصح مصدر يرجع النحاة إليه في تقنين القوانين ، واستخراج الأصول ، لأن العربية لم تشهد كتاباً أحيط بالعناية ، واكتنف بالرعاية منذ زمن مبكر ، فحفظ على تراكيبه ، وأحصيت كلماته وحروفه ، وكيفية ترتيله بلهجاته ، مع إتقان متناه في التلقين ودقة بالغة في الأخذ والأداء " ¹⁹⁴

الشاهد القرآني عند النحاة ، وأثره في قيام القاعدة النحوية

لقد كان القرآن الكريم سبباً للدراسات العربية عامة وللقواعد النحوية خاصة، ولم يغفل النحاة الأوائل عن الشاهد القرآني، فالنحاة البصريون "قد جعلوا القرآن الكريم وقراءته مصدراً مهماً من مصادرهم وأصلاً من أصول استشهادهم" ¹⁹⁵ ، ف"وقفوا من القرآن الكريم موقف المدافع عما يرد في الكتاب العظيم، فقاسوا على آياته ما أجازوه من قواعد، وأجازوا ما جاء في

¹⁹³ سورة الحجر، الآية: 9.

¹⁹⁴ منصور صالح محمد علي الوليدي، الخلافة النحوي في المنصوبات، عالم الكتب الحديث، عمان، الاردن

¹⁹⁵ تاريخ النحو وأصوله، د. عبدالحميد السيد طلب، تقديم: عبدالسلام هارون، مكتبة الشباب: 82.

قراءته المتواترة، ولم يصدر عنهم أي طعن في قراءة أو تخطئة لقارئ كانت قراءته شاذة أم غير شاذة"¹⁹⁶.

أما فيما نسب إلى البصريين من تخطئة بعض القراءات وردّ بعض منها فقال الدارسون: "إننا رأيناهم قد عزّ عليهم أن يحطموا ما أقاموه من مقاييس وقواعد لمذهبيهم ولم يكن في مقدرتهم أن يبتعدوا عن القرآن الكريم وألا يغترفوا من معينه تثبيتاً لقواعدهم فلجؤوا إلى التأويل والتخريج، وبذلك تزاومت الأقوال في مسائل النحو"¹⁹⁷.

بعض أهمّ قواعد النحويّة من القراءان

(أفعل) التفضيل مؤول بالصفة المشبهة:

قد يستعمل اسم التفضيل عارياً عن معنى التفضيل، فيتضمن معنى الصفة المشبهة، كما في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ"¹⁹⁸، فقد ذكر أبو حيان في تفسيره هذه الآية أربعة أقوال هي¹⁹⁹:

(1) إنّ (أهون) ليست أفعل تفضيل؛ لأنه يدل على تفاوتٍ عند الله في النشاطين الإبداء والإعادة، فلذلك تأوله ابن عباس والربيع بن هيثم على أنه بمعنى (هَيِّنٌ) والضمير عائد على الله.

(2) إنّ (أهون) للتفضيل بحسب معتقد البشر، وما يعطيهم النظر في المشاهد من أن الإعادة في كثير من الأشياء أهون من البداءة؛ للاستغناء عن الرؤية التي كانت في البداءة وإن كان الاثنان عنده تعالى من اليسر في حيز واحد.

¹⁹⁶ المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي، مطبعة جامعة بغداد، ط2، 1990: 97.

¹⁹⁷ تاريخ النحو: 82، وينظر: المدارس النحوية: 97، والشواهد والاستشهاد في النحو، عبدالجبار علوان، مطبعة الزهراء، بغداد، ط1، 1987: 22-71.

¹⁹⁸ سورة الروم، الآية: 27.

¹⁹⁹ البحر المحيط: 165/7.

(3) إنّ (أهون) اسم تفضيل والضمير في عليه عائد على الخلق، أي: والعود أهون على الخلق، بمعنى أسرع؛ لأن البداية فيها تدرج من طور إلى طور إلى أن يصير إنساناً، والإعادة لا تحتاج إلى هذه التدريجات في الأطوار إنما يدعوه الله فيخرج، فكأنه قال: وهو أيسر عليه، أي: أقصر مدة وأقل انتقالاً.

(4) وقيل المعنى: وهو أهون على المخلوق، أي: يعيد شيئاً بعد إنشائه فهذا عرف المخلوقين، فكيف تنكرون أنتم الإعادة في جانب الخالق اجتمع فيه ثقلان منعه من الصرف.

ويذكر النحاس أن الأكثرين يقفون على الأول بألف لأنه رأس آية ويرى أن النحاة اتخذت من القراءتين اللتين ذكرهما حجة ظاهرة على جواز الوقوف على ما لا ينصرف بألف ، ويقوي حجته أن ترك التنوين فيها هو من محض قياس العربية لأنه على وزن فواعيل

إشباع الفتحة ألفا والمد في الفصل

يكون إشباع حركة الفتحة ألفا والمد في الوصل في ضمير الرفع أنا ، إذا كان بعدها همزة. احتجاجاً بقراءة نافع في جميع القرآن إلا في قوله تعالى قل لا أملك نفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يوقنون –

على ضوء حديث المالمقي في كتابه رصف المباني عن إشباع حركة الظاء في "انظر" لتتولد عنها الواو ، ذكر أنّ ذلك ضرورة شعرية ، ولا تأتي في فصيح الكلام "إلا" في "أنا" التي هي ضمير المتكلم المرفوع ، إذا كان بعدها همزة ، نحو "أنا" أحيي " ، "وأنا أخرج" و"أنا إذن أكرمك" وهي قراءة نافع بن أبي نعيم على خلاف منه في المكسور ، وأمّا مع غير الهمز فلا إلا في الضرورة."

من هذا النص الذي ذكره المالمقي يتبين لنا تقرير قاعدة صرفية مفادها أن الحركة تشبع ، إذ تتحول إلى حرف عند ملاقة همزة ، وذلك يكون في ضمير الرفع "أنا" فحسب ، احتجاجاً بقراءة

نافع في جميع القرآن إلا في قوله تعالى فإنه يطرحها في هذا الموضع مثل سائر القراء ، وحجته في إثبات الألف أنه أتى بالكلمة على أصلها وما وجب في الأصل لها لأن الألف في "أنا" كالتاء في "أنت" إجراءً للوصل مجرى الوقف .

ولا يرى النحويون لقراءة نافع وجها لغويا سديدا ، إذ يرون أن الألف في "أنا" لبيان الحركة في الوقف فإذا اتصلت الكلمة بشيء سقطت الألف ولا يثبت الألف من "أنا" إلا شاذاً . وذهب مكي إلى أن الألف زيدت للتقوية أو قيل للوقف لتظهر حركة النون ، وهذا مذهب الشعر ،

إثبات الألف في الوصل والوقف

من مواضع الألف في كلام العرب على قراءة من إثبات الألف في الوصل والوقف .ومن ذلك قوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا .

من مواضع الألف في كلام العرب أن تكون في رؤوس الآي وعلل النحاة في ذلك تشبيها بالقوافي ، ومن ذلك قوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم من أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا .

على قراءة من أثبت الألف في الوصل والوقف وهي قراءة نافع وأبي عامر

وقد أثبت النحاة حكما لغويا مفاده إن من مواضع الألف تكون في رؤوس الآي ، فهي ليست ألف وقف ، فتلك تحذف في الوصل وتثبت في الوقف أما هذه الألف لا تحذف لا في وصل ولا في وقف ، وإن كثير من النحاة اعتمدوا هذه القراءة تقريرا للموضع العاشر من مواضع الألف .

وذهب العلماء في تخريج قراءة نافع مذهبين :

1 أن من أثبت الألف ووصله وقفا إنما اتبع المصحف لأنها ثابتة في السواد ، وهي مع ذلك مشاكلة لما

قبلها من رؤوس الآي وهذه الألفات تسمى في رؤوس أبيات الشعر قوافي وترنما وخروجا

2 من العرب من يقف على المنصوب الذي فيه الألف واللام بألف فيقولون ضربت الرجل ، وفي

الخفض مررت بالرجلي

3- إن الألف رأس آية فحسن إثباتها لأن رأس الآية في موضع سكت وقطع للفصل بينها وبين الآية

التي بعدها وللتوفيق بين رؤوس الآي كما ذكر .

الوقف على الممنوع من الصرف بألف

استشهد النحاة على ذلك قوله تعالى "قواريرا قواريرا" على قراءة من لم ينون الأول ومن نونه فهو

عوض من التنوين" وعلل ذلك أن من العرب من يصرف الجمع الذي لا نظير له في الواحد فيقول

: هذه مساجد ، وعليه قراءة من "قرأ سلاسلأ واغلالأ وسعيرا"

وهي قراءة نافع والكسائي وأبي بكر عن عاصم وحجة من ترك التنوين أنه أتى بمحض قياس العربية

لأنه على وزن فواعيل وهذا الوزن نهاية الجمع المخالف لبناء الواحد فهذا أثقل وهو مع ذلك جمع

والجمع فيه ثقل ثان.

جواز الرفع في المعطوف على اسم إن .

إن من أحكام إن المكسورة الهمزة جواز الرفع في المعطوف على اسم إن بعد الخبر نحو إن زيدا قائم وعمرو. واحتج على تقرير ذلك قوله تعالى - أن الله بريء من المشركين ورسوله²⁰⁰-. بكسر ان ورفع رسوله

إن من أحكام "إن" المكسورة الهمزة التي ذكرها النحاة جواز الرفع في المعطوف على اسم "إن" بعد الخبر نحو إن زيدا قائم وعمرو، واحتج على تقرير ذلك وإثباته بقراءة الحسن والأعرج من خارج السبعة قوله تعالى "إن الله بريء من المشركين ورسوله" بكسر "إن" ورفع "رسوله"، وخرجها على إن "ورسوله" معطوف على موضع إن واسمها لكونها مع اسمها في موضع مبتدأ إذ لم يتغير معناها وان كانت ناصبة .

وهذا النوع من العطف لا ينكر حتى إذا قيل إن زيدا قائم وعمرو بتقدير زيد قائم وعمرو، لأنه جاء بعد خبرها وخبر ليس على الموضع بالنصب كقوله:

فلسنا بالجبال ولا الحديد

وقوله :

لعمرك ما قلبي إلى أهله بحر ولا مقصر يوما فيأتيني بقر

إبدال ياء الإلحاق ألفا

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ²⁰¹

²⁰⁰ القرآن الكريم ، سورة التوبة 3

²⁰¹ القرآن الكريم سورة المؤمنون 44

واحتج لقوله هذا بقراءة أبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو بالتنوين في قوله تعالى " وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ آلِجِرَةِ وَآتَرَفْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ " 202

القراءة بالوجهين أي بالتنوين وبغير التنوين ، إذ قرر من القراءتين قراءة الجمهور ، وقراءة أبي جعفر وغيره حكما لغويا و هو أن من نون جعلها كالأصلية ومن لم ينون أجراها مجرى المؤنث ، فالألف فيها زائدة كما إن ألف التأنيث في حبلى وغيرها زائدة ، لذا امتنعت من الصرف وهذا مذهب أكثر العلماء .

ذكر النحاة أن في المواضع التي تبدل فيها الألف من حرف أصلي هي أن تكون بدلا من ياء الإلحاق ، ومثل لذلك بـ "علقى" و "معزى" وقال إنهما ملحقان بجعفر و هجرع ، إذ تحركت فيهما الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، والاسم معها منون وغير منون ، فمن نون جعلها كالأصلية ، إذ هي مناظرة لراء "جعفر" وعين "هجرع" وإن كانت زائدة في الكلمة ألا ترى أن علقى من التعلق و "معزى" جماعة من المعز ، ومن لم ينونها أجراها مجرى المؤنث إذ الألف فيها زائدة كما في ألف التأنيث في حبلى وسلعى ، وللزومها الكلمة كألف التأنيث امتنع الاسم من الصرف

ومعنى القراءة بالتنوين "وترا" فأبدلت الواو من التاء كقولهم التكلان من الوكالة وتجاه من وجاه ، والدليل على ذلك أنها تكتب بألف وهي لغة قريش ، ولو كانت من ذوات الياء لكانت مكتوبة بالياء "تترى" كما كتبوا يخشى ويرعى "بالياء" وذهب اليزيدي - إلى أنها بمعنى المصدر وأن الألف بعد الراء عوض من التنوين في الوقف وأن هذا المصدر صدر عن معنى الفعل لا عن لفظه كأنه- حين قال ثم أرسلنا رسلنا قال ذكرنا رسلنا فجعل تترى صادرا عن غير لفظ الفعل.

وذكر سيبويه أن في "تتري" لغتين بمعنى إن اللغة الأولى هي لغة التنوين والثانية عدم التنوين ، وأن القراءتين جاءتا على اللغتين اللتين ذكرهما سيبويه ، ولا ضير في ذلك إذ إن اختلاف القراءات جاء تيسيرا لهذه الأمة لاختلاف لهجاتها .

والملاحظ على كلام سيبويه انه لم يفاضل بين القراءتين وذلك بأن جعلهما لغتين ، إلا أن الطبري عدتهما قراءتين مشهورتين في كلام العرب ، وإنهما بمعنى واحد ، إلا أنه لم يتفق مع غيره في المختار فاختر القراءة بغير تنوين معللا ذلك بأنها أفصح اللغتين وأشهرهما ، وربما كان اختيار الطبري لهذه القراءة كونها جاءت على لغة قريش ، وهي أفصح اللغات .

جواز تسكين اللام :

إن لام الامر فيما إذا اتصلت بها واو العطف أو فاءه ، استدلالا بقراءة تسكين "اللام" وأجري ذلك مجرى فخذ وكبد باسكان الخاء والباء تخفيفا للاجتماع المتحركات ، ويستقيح ذلك مع حرف منفصل نحو "ثم ليقطع" ، "ثم ليقضوا"

ويرى أبو زرعة أن سكون اللام على الأصل إنما تكسر إذا وقعت ابتداء وقيل إن تسكين اللام في هذا الموضع على تشبيهه "ثم" بالواو والفاء "لكون الجميع عواطف". ويرى بعضهم أن القراءة بالسكون للتخفيف وهو المختار .

وجعل المالقي قراءة قالون والكسائي " ثم" هو يوم القيامة ، بإسكان الهاء كقراءة "ثم ليقطع" بإسكان اللام باعتبارها قراءة مستقبحة عنه أيضا ، وذلك أن "ثم" كلمة قائمة بنفسها فهي مؤلفة من ثلاثة أحرف ولا تكون كالبعض من الكلمة أو كالجزم منها ، وهذا مردود أيضا للعلة نفسها التي ذكرتها سابقا .

تضمين لعل في الترجي معنى ليت في التمني :

في باب الحديث عن لعل ذكر النحاة أنّ لعل تخالف "إنّ" وسائر أخواتها في أنّ تدخل على خبرها
لمعنى الترجي الذي فيها أو التوقع ، كما قال الشاعر :

"لعلك يوما تركع والدهر قد رفعه"

وتخالفها وأخواتها إلا "ليت" في دخول الفاء ونصبها في جوابها نحو قولك : لعل الله يرجعني فادخل
الجنة ، لأنها في معنى الطلب من الترجي كما ذكر واستدل على ذلك من خلال قراءة حفص من
رواية عاصم أنه قرأ لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات ... فأطلع ، بنصب فأطلع "لأنه أشار بها
معنى ليت من التمني وهو طلب فاعلمه" وقوله هذا أوجه من قولهم في توجيه القراءة عن تشبيهه
"لعل" بـ "ليت" لأنّ ليت في التمني أخت لعل في الترجي ومنه قوله تعالى "وما يدريك لعله يزكى ، أو
يذكر فتنتفعه الذكرى"²⁰³

، ونص أبي زرعة في توجيه القراءة قريبا من توجيه شيخنا المالقي – إذ قال "ونصب فاطلع على
جواب التمني بالفاء وجعل لعلي أبلغ تمنيا" وربما أراد بقوله هذا بما أشار إليه النحاة من أنه
أشرب الترجي معنى التمني

الفصل الثالث: الأحاديث النبوية والقوانين النحوية

تتبع أهمية الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، من خلال استنباط قواعد النحو منها،
فكانت الدراسة للأحاديث من هذا المنطلق، وبيان أثر الحديث النبوي في بناء القاعدة النحوية،
وهل كان العلماء يحتج بالأحاديث لبناء قواعد نحوية، وهل يعد من المكثرين من الاحتجاج
بالحديث. القاعدة النحوية في القرآن ثم وبعد دراستي لأحاديث النبوي وحتى نتبين أثر النبوي في
بناء القاعدة النحوي .

هناك غير قليل من الكتب المتنوعة مشتملا قواعد النحوية يحتج بالأحاديث النبوية لبناء القواعد النحوية. مثل مغني البيب وغيره. وبإجراء الدراسة القاطبة لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع نتبين أثر الحديث النبوي في بناء القاعدة النحوية ، هناك كثير من الأحاديث التي احتج بها العلماء مثل ابن هشام وأحاديث احتج بها من قبل، وأعاد الاحتجاج بها، وأحاديث جاءت للتمثيل على القاعدة، ولم تبني قاعدة جديدة، .أحاديث احتج بها النحاة، بحجيتها، وأحاديث يوجهها ويؤولها ويتمثل بها لغير قاعدة، أو ليزيل إشكالا فيها، أو وهماً، أو غير ذلك، كما أن من الأحاديث أحاديث شاذة وغريبة، لا يقاس عليها. وليس بالضرورة أن نجد أثراً كبيراً للأحاديث في بناء القاعدة النحوية، بقدر ما هي دراسة لمعرفة ونحن في طلب جواب لسؤال " هل كانت النحاة يحتجون بالحديث الشريف لبناء القواعد النحوية جديدة ثم كيف كان يتناولون الأحاديث النبوية في كتبهم أحاديثا .

و أهمية البحث في أن قواعد النحو العربي اعتمدت في تقييدها على مصادر شتى ، كان في طليعتها كلام العرب نثراً وشعراً، و الحديث الشريف من تلك المصادر من دون منازع؛ لأنه كان نصه عربياً فصيحاً بليغاً معجزاً، لا يدانيه نص بشري، ولا يرقى إلى مستواه كلام آخر، لذا فإنّ البحث في النص الحديث الذي يعد الشاهد الأهم في قيام القاعدة النحوية عليه يعد من الأهمية بمكان رفيع . و يهدف هنا إلى تحقيق أمور كثيرة منها ما يأتي:

1. بيان مكانة الاحاديث الشريفة اللغوية الرفيعة بين شواهد اللغة الأخرى.
2. إثبات دقة القاعدة النحوية التي تبني على نص الحديث النبوي
3. تصحيح عدد من المفاهيم النحوية التي قد يساء فهمها.
4. استجلاء بعض من أسرار الاحاديث الشريف من خلال قواعد النحو العربي.
5. تحليل بعض نصوص الأحاديث على ضوء القاعدة النحوية.

المسائل النحوية المختلفة من الأحاديث الشريفة

مسألة حذف الخبر وجوبا

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : لولا قومك حديث عهد بكفر لبليت الكعبة على قواعد إبراهيم²⁰⁴ يجب حذف الخبر أن تقع بعد لولا او لوما نحو لولا رحمة الله لهلك الناس أي لولا رحمة الله كائنة لهلك الناس جميعا .ولكن إن كان الخبر صفة مفيدة اي دالة على وجود خاصة كالمشي والركوب ونحوها وجب ذكره إن لم يدل عليه دليل . ومنه هذا الحديث.

مسألة وجوب رفع المبتدأ

الشاهد فيها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة"²⁰⁵

وقد يجر المبتدأ بحرف جر زائد نحو. بحسب امرئ

مسألة المنصوب على الاختصاص

الاختصاص : نصب الاسم بفعل محذوف وجوبا تقديره أخص أو أعني , ولا يكون هذا الاسم إلا بعد ضمير لبيان المراد به . نحو نحن -المؤمنون نخشى الله وحده

ويجب أن يكون الاسم المختص معرفا ب "ال" او مضافا لمعرفة كحديث الرسول صلى الله عليه

وسلم "نحن - معاشر الانبياء - لا نورث ما تركناه صدقة"²⁰⁶

مسألة الأفعال الجامدة

²⁰⁴ صحيح البخاري , كتاب العلم , رقم الحديث 126

²⁰⁵ مصطفى الفيلاني , جامع الدروس العربية 18-3

²⁰⁶ المرجع السابق

استعمل النحاة الأفعال الجامدة مثل كذب التي تستعمل للاغراء بشيء والحث عليه. ويراد به الأمر به ولزومه لا الإخبار به ومنه قوله : كذبك الأمر أي عليك به فالزمه ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم "فمن احتجم في يوم الخميس والأحد كذباك"²⁰⁷ أي عليك بهذين اليومين فاحتجم فيهما

مسألة فعلين الجامدين - نعم ,وبئس

استشهد البصريون على أن نعم وبئس فعلان جامدان لاتصال تاء التأنيث الساكنة بهما كما في الحديث "من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالفعل أفضل"²⁰⁸

مسألة إضافة الاسم إلى الصفة

حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم "يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن جارتها ولو كراع شاة محرق"²⁰⁹

هذا الحديث شاهد في مسألة إضافة الاسم إلى الصفة. يقول به ابن الطراوة في رسالة الإفصاح لبعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح في هذا الباب

مسألة في حرف الباء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكلما سمع"²¹⁰

هذا الحديث شاهد في زيادة الباء في مفعول "كفى" المتعدية لواحد , والمفعول فيها - بالمرء- ومسألة زيادة الباء في المفعول سائغ في اللغة، واحتج النحاة بهذا الحديث على زيادة الباء في المفاعيل

²⁰⁷ المرجع السابق

²⁰⁸ سنن ابي داود , دار الافكار الدولية, الاردن , باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة , رقم 3542

²⁰⁹ موطأ امام مالك , كتاب الصداقة (باب الترغيب في الصداقة) ج2 ص992

²¹⁰ صحيح البخاري – كتاب الجنائز 2: 104

المتعدية لواحد ,ولكن مسألة زيادة الباء في المفعول به لا خلاف عليها , وقد استشهد بالآيات الكريمة في مطلع حديثه , وبالشواهد الشعرية , ولكن جاء "الحديث في جزئية في الفعل المتعدي لواحد "كفى"

مسألة العطف في التوكيد المعنوي

لم يجز النحاة العطف في التوكيد المعنوي بخلاف ابن الطراوة²¹¹ , فقد وردت ألفاظ التوكيد متوالية بلا عطف في قوله تعالى :فسجد الملائكة كلهم أجمعون²¹²

مسألة -كل- إذا أضيفت الى معرفة

يرى النحاة أن كل إذا أضيفت الى معرفة فضميرها لا يعود إليها من خبرها إلا مفردا مذكرا على لفظها ,كقول النبي صلى الله عليه وسلم " كلنا لك عبد"

مسألة اقتران خبر- لعل - بأن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض"²¹³ . استشهد بهذا الحديث في اقتران خبر - لعل - بأن

مسألة حرف الفاء مع أحوال الصفات على ترتيبها في الوجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - رحم الله المحلقين فالمقصرين²¹⁴

قال الزمخشري للفاء مع الصفات ثلاثة أحوال

²¹¹هو أبو الحسين ، سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي المعروف بابن الطراوة (438 هـ-528 هـ ، ؟ 1134 م بمالقة) هو أديب نحوي أندلسي

²¹²القرآن الكريم سورة الحجر 30

²¹³صحيح مسلم , كتاب الحيل , باب ما يقال إذا غضب جارية... ص 198

²¹⁴صحيح البخاري 2-213

أحدها - أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود

الثاني - أن تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه

الثالث - أن تدل على ترتيب موصوفاتها .

الشاهد في هذا الحديث جاء في المعاني .

مسألة في وقوع كل في حيز النفي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- كل ذلك لم يكن²¹⁵ . استشهد بهذا الحديث في باب وقوع كل

في حيز النفي

مسألة حرف اللام الجارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صوموا لرئيته و أفطروا لرئيته"²¹⁶

استشهد النحاة بهذا الحديث على مجيء اللام بمعنى بعد . وهذا المعنى ذكره النحاة السابقون . فقد

ذكره الثعالبي في كتابه " فقه اللغة " وأحمد بن فارس في كتابه " الصحابي " , وذكر ابن هشام هذا

المعنى في كتابه " اوضح المسالك " واستشهد بهذه الآية لا بالحديث .

الجمل التي لها محل من الإعراب حالا

استشهد ابن هشام بالحديث في الجمل التي لها محل من الاعراب حالا وموضعها النصب . الشاهد

بهذا الحديث قوله عليه السلام " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"²¹⁷ - وهو من أقوى

²¹⁵ صحيح مسلم , كتاب المساجد , باب السهو في الصلاة ص 229

²¹⁶ كتاب صحيح البخاري 3-27

²¹⁷ القشيري , صحيح مسلم , كتاب الصلاة , ما يقال في الركوع والسجود وص 200

الأدلة على أن انتصاب قائما في ضربني بكر قائما على الحال , لا على أنه خبر لكان محذوفة , اذ لا

يقترن الخبر بالواو

دخول قد في فعل الماضي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أليس قد صليت معنا" ²¹⁸

جاء الحديث شاهدا في دخول قد على الفعل الماضي الواقع خبرا لكان أو احدى أخواتها .

مسألة حرف الحاء المهملة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا بك وإليك" ²¹⁹ استشهد به ابن هشام في باب حرف الحاء

المهملة (حتى) وأوجه استعمالها فهي تأتي على ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون حرفاً جاراً بمنزلة إلى في

المعنى والعمل ولكنها تخالفها في ثلاثة أمور، جاء (الحديث) في الأمر الثالث وهو أن كلاً منها قد ينفرد

بمحل لا يصلح للآخر، يقول: ما انفردت به (إلى) أنه يجوز كتبت إلى زيد وأنا إلى عمرو، أي هو غايي،

كما جاء في الحديث أنا بك وإليك، وسرت من البصرة إلى الكوفة، ولا يجوز: حتى زيد، وحتى عمرو،

وحتى الكوفة

مسألة مجيء حتى على المضارع المنصوب

²¹⁸ صحيح البخاري، كتاب الجناء، ص143

²¹⁹ صحيح بن حبان رقم الحديث 1773

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما الذان

يهودانه أو ينصرانه"²²⁰

مسألة مجيء "حتى" الداخلة على المضارع المنصوب، مرادفة لـ "إلا" في الاستثناء ثابتة، كما أشار

إليها ابن هشام عن سيبويه،

مسألة "رب" حرف الجر .

يقول ابن هشام "وليس معناها التقليل دائماً، خلافاً للأكثرين، ولا التكثر دائماً، خلافاً لابن

دستويه وجماعة، بل ترد للتكثر كثيراً وللتقليل قليلاً، فمن الأول الآية الشريفة من القرآن الكريم

"ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين"²²¹ . وفي الحديث يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم

القيامة."²²² وفي هذا الحديث استشهاد ابن هشام على مجيء معنى رب للتكثر كثيراً وللتقليل قليلاً.

مسألة الفاء للتعليل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها"²²³

استشهد به ابن هشام في باب الفاء: في (معاني "في") ومنها التعليل. قال نحو – "فذلكم الذي لمتني

فيه ولمسكم في ما افضتم"²²⁴ وفي الحديث "إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها"

مسألة مجيء كذا

²²⁰ صحيح مسلم رقم الحديث 2658

²²¹ القرآن الكريم سورة الحجر 2

²²² البخاري، كتاب التهجد، ص 130

²²³ صحيح البخاري 2365

²²⁴ القرآن الكريم سورة يوسف 32

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنه يقال للعبد يوم القيامة أتذكروم كذا كذا فعلت كذا أو

كذا" 225

هذا الحديث شاهد على مجيء كذا كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنيا بها عن غير عدد .

مسألة من

قال رسول الله عليه وسلم – " فمطرنا من الجمعة الى الجمعة " 226

جاء الحديث في حرف من التي معنى ابتداء الغاية باتفاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد

استشهد به ابن هشام في حرف الباء في (بيد) أيضاً، ولكن على المعنى الثاني وهو بمعنى (من أجل)

وهذا الحديث لم يذكر في كتب الصحاح والسنن، ولم يذكره أحد من أصحاب هذا الفن - الحديث

- ولكن جاء ذكره في بعض الكتب المتقدمين، وأورده ابن هشام على أنه حديث واستشهد به .

والمسألة فيها خلاف كما قال ابن هشام.

مسألة الفاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رحم الله المحلقين فالمقصيرين " 227

استشهد به ابن هشام في حرف الفاء لما أن لها مع الصفات حالة بأنها تدل على ترتيب معانيها في

الوجود

225 صحيح مسلم، كتاب الايمان ، باب ادنى اهل الجنة منزلة فيها ، ص 105

226 موطأ الإمام مالك | كتاب الاستسقاء باب ما جاء في الاستسقاء (حديث رقم: 514)

227 صحيح مسلم كتاب الحج باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير رقم الحديث: 2202

حرف لا النافية على الفعل الماضي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى²²⁸

استشهد به في حرف اللام: - لا ومواطن تكرارها- ولا النافية تكون على خمسة أوجه: أن تكون عاملة عمل إن، وأن تكون عاملة عمل ليس، وأن تكون عاطفة، وأن تكون جواباً مناقضاً (لنعم) وتكون نافية في غير ذلك فإن جاء بعدها جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة، ولم تعمل فيها، أو فعلاً ماضياً لفظاً وتقديراً وجب تكرارها ثم مثل ابن هشام بما ذكر شواهد، واستشهد بالحديث على الفعل الماضي .

لقد شغلت قضية الاحتجاج بالحديث اهتمام علماء اللغة كثيراً، وذلك بسبب ما يستنبط منها ويبنى عليه من قواعد جديدة، وهي مسألة بالغة الأهمية، وبدأت في عهد العلماء القدماء بأنهم يستشهدون بالأحاديث كثيراً، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروي في أول الأمر. ولقد ذهب إلى الاحتجاج بالأحاديث النبوية حشد من علماء النحو واللغة مثل الإمام ابن مالك ، وابن هشام والجوهري وصاحب البديع والحريري وابن سيده وابن فارس وابن جني وابن خروف وغيرهم كما أن الجهابذة من العلماء مثل أبو عمرو بن العلاء والخليل والكسائي والفراء والأصمعي وأبو عبيدة وابن قتيبة والمبرد وابن دريد وغيرهم قاموا بأخذ الأحاديث لأن يحتجوا بها في اللغة والنحو العربي لكثيرة من المتطلبات اللغوية .

والسنة النبوية هي الأصل الثاني لاستنباط الأحكام الدينية بعد القرآن الكريم، وقد اتفق العلماء على حجية القيام بها والاستدلال عليها والأخذ بها. والذي أظهر العلماء الخلافات في هذا هو الاستدلال بها في ميدان النحو لما وقع في بعض الأحاديث شيء من الأساليب والتراكيب التي لا يوافق

²²⁸ البيهقي ، سنن الكبرى ج 3، ص 28.

لما شاع في استعمال اللغة العربية الشائعة حتى جعل ذلك النحاة إلى القيام بتأويلها بالوجهات النحوية المتنوعة. ومن تلك الأحاديث حديث أخرجه الإمام مسلم رضي الله عنه في صحيحه " إن قعر جهنم سبعين خريفاً " ²²⁹

و"سبعين" في هذا الحديث منصوبة على رأي الكوفيين الذين يجيزون أن تكون "إن" وأخواتها ناصبة للجزأين، كقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :-

إذا اسودَّ جُنْحُ الليلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ ؛ خَطَاكَ خِيفَاً إِنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدَا

والذين يمنعون هذا يُخَرِّجُونَ الحديث على أن القعر مصدر "قعرت البئر" إذا بلغت قعرها، و"سبعين" منصوبة على الظرفية، أي: إن بلوغ قعر جهنم يكون في سبعين عاماً. ويؤولون البيت بإعراب «أسداً» حالاً، أي: إن حراسنا تلقاهم أسداً. أي: كالأسد ²³⁰

وكذلك حديث: " كل أمتي معافي إلا المجاهرون " ²³¹. أي: بالمعاصي. والمعروف في الاستثناء أن الكلام إذا كان تاماً موجباً وجب نصب المستثنى، هذا هو رأي الجمهور، والرفع جائز في لغة حكاها " أبو حيان " وخرج عليها بعضهم هذا الحديث، ويكون الرفع على التبعية. وقال ابن مالك 'إلا' بمعنى "لكن" وما بعدها متبداً وخبره محذوف. ²³²

الاستدلال بالحديث النبوي

وهذا الاحتجاج بالأحاديث الشريفة كان في المرحلة الأولى، وفي المرحلة الثانية لما ظهرت الحاجة وطلبت الأوضاح من موارد جديدة للاستدلال والاحتجاج ذهبت عدة من العلماء إلى

²²⁹ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة

²³⁰ مغنى اللبيب 55-56

²³¹ صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملكة بيتا فيه كلب ولا صورة.

²³² الحديث النبوي في النحو العربي ص 104

الحديث يطلبون فيه ما يؤيد أقيسته ويعضد أحكامه حيث اعتبروها مصدرا أساسيا جديدا يحتج به في المواد النحوية، حين توسط هنا بعض من العلماء مع أنهم يحتجون ببعض الأحاديث ويتركون بعضها. وكان ممن رفض الاحتجاج بالأحاديث من العلماء الشيخ أبو حيان وأبو الحسن ابن الضائع وغيرهما.²³³

" والحديث النبوي هو الذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه، إذ المتكلم به الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق على الإطلاق، وأبلغ من أعجزت فصاحته الفصحاء على جهة العموم والاستغراق، فالاحتجاج بكلامه عليه الصلاة والسلام الذي هو أفصح العبارات، وأبلغ الكلام، مع تأييده بأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، من الملك العلام وأولى وأجدر من الاحتجاج بكلام الأعراب الأجلاف بل لا ينبغي أن يلتفت في هذا المقام لمقام من جار عن الوفا"²³⁴

ويقول الإمام ابن الطيب أيضا " ما رأيت أحداً من الأشياخ المحققين إلا وهو يستدل بالأحاديث على القواعد النحوية والألفاظ اللغوية، ويستنبطون من الأحاديث النبوية الأحكام النحوية والصرفية واللغوية، وغير ذلك من أنواع العلوم اللسانية، كما يستخرجون منها الأحكام الشرعية"²³⁵

والممانعان الذان أشار إليهما المعارضون للاستشهاد بالأحاديث في النحو العربي، أحدهما تجويز العلماء رواية الأحاديث بالمعنى وثانتهما وقوع الألقان في بعض الأحاديث المروية. ولكن يقول الأستاذ سعيد الأفغانى في كتابه في أصول النحو الإجابات الصحيحة القاطعة لتلك الموانع بحذافيرها حيث يقول " فأما المانع الأول، وهو تجويز الرواية بالمعنى فيجيبون عليه بأن الأصل الرواية باللفظ، ومعنى تجويز الرواية بالمعنى: أن ذلك احتمال عقلي فحسب، لا يقين بالوقوع،

²³³ المرجع السابق 113

²³⁴ محمد بن الطيب الفاسي، تحرير الرواية في تقرير الكفاية-96، درة الغواص، 1983

²³⁵ المرجع السابق 101

وعلى فرض وقوعه فالمغير لفظاً بلفظ في معناه عربي مطبوع يُحتج بكلامه في اللغة، ونحن نعرف مقدار تحري علماء الحديث، وضبطهم لألفاظه، حتى إذا شك راو عربي بين قوله صلى الله عليه وسلم " على وجوههم "، وبين قوله " على مناخرهم " ²³⁶، أثبتوا شكه، ودونوه مبالغة في التحري والدقة. هذا إلى جانب كثير من الرواة صحابة وتابعين دونوا الأحاديث من عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهذا " عبد بن عمرو بن العاص " كان يكتب الحديث حياة رسول الله، وكذلك روي عن " عبد الله بن عمر "، و " أنس بن مالك "، و " سهل بن سعد الساعدي " من الصحابة الكرام رضي الله عنهم. وإن وقع بعد ذلك شك في بعض الروايات من غلط أو تصحيف، فنزر يسير لا يقاس أبداً إلى أمثاله في الشعر، وكلام العرب، فكثير من الأشعار نفسها رويت بروايات مختلفة، وبعضها موضوع وربما كان ما فطنوا إلى وضعه منه القليل، وجاز عليهم أكثر الموضوع إذ كان واضعاً قد أحسن المحاكاة. قال الخليل بن أحمد " إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيث " وأما المانع الثاني، وهو وقوع لحن في بعض الأحاديث المروية، فهو شيء - إن وقع - قليل جداً، لا يبني عليه حكم، وقد تنبه إليه الناس وتحاموه، ولم يحتج أحد، ولا يصح أن يُمنع من أجله الاحتجاج بهذا الفيض الزاخر من الحديث الصحيح إلا إن جاز إسقاط الاحتجاج بالقرآن الكريم ؛ لأن بعض الناس يلحن فيه. وأنت تعرف إلى هذا أنهم قد تشددوا في أخذ الناس بضبط ألفاظ الحديث، حتى إذا لحن فيه شاد أو عامي، أقاموا عليه النكير، بل إن بعضهم ليدخله النار بسببه، وكان هذا التشديد تقليداً متوارثاً في حَمَلَة الحديث حتى يومنا هذا ²³⁷.

²³⁶ في الحديث : " وهل يحب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم. إلا حصائد السيئتهم ". أخرجه الترمذي في سننه في " أبواب الإيمان باب ما جاء في حُرْمَةِ الصلاة " ١٢٥ من حديث " معاذ بن جبل ". رضي الله ، وقال : هذا حديث حسن صحيح.

²³⁷ سعيد الأفغاني ، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ن 1994م

الفصل الرابع : الملامح النحوية من الآثار العربية القديمة

والآثار العربية هي المأجأ الوحيد بعد القرآن والأحاديث النبوية في العثور على الأساليب اللغوية العربية الأصلية المنبعثة من الأمم العربية القديمة حيث تشتمل الأشعار والأمثال والحكم والخطب وغيرها. وقد قال النحاة واللغويون أهمية الأخذ بها والالتجاء إليها كما يقول اللغوي الكبير إبراهيم السامرائي في كتابه "" وقد تجاوزه إلى الشعر الإسلامي , فكان لهم من شعر الفرزدق وجريير والعجاج ورؤبة , وأبي النجم , مادة اعتمدها في نحوهم , ولا نعدم أن نجدهم استشهدوا بشعر بشار بن برد²³⁸"

الشواهد النحوية من أبيات شعراء الجاهلية

لم يخل كتاب نحوي شامل إلا والتفت إلى بعض أشعار عربية قديمة حيث احتج بها القدماء في استنباط الأحكام النحوية كما نورد هنا نبذة يسيرة منها:-

تجاوزت احراسا عليها ومعشرا علي حراسا لو يسرون مقتلي²³⁹

الشاهد النحوي في هذا البيت هو "تجاوزت" على مجيء صيغة "تفاعل" متعدية , الشاهد الآخر في هذا البيت "لو يسرون" احتج به النحاة على مجيء لو مصدرية من دون أن تسبق بفعل .

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزير الريح مرت بأثاب²⁴⁰

الشاهد في هذا البيت أن قبيلة تستعمل القول معنى الظن , وفي لغتهم جاء النصب في قوله هزير ,

ولكن عند العودة إلى الديوان الذي رواه الأصمعي وجدنا الرواية بالرفع

²³⁸ مهدي المخزومي , مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو, دار الرائد , بيروت , ط3, 1406هـ- 1986م , ص51
²³⁹ كتاب شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن عبد الله الزوزني, ص 79, لجنة التحقيق في الدار العالمية, بيروت, 1992
²⁴⁰ البيت لامرئ القيس في ديوانه ص 49, ولسان العرب 5/ 424 "هزز", والمقاصد النحوية 2/ 431, وبلا نسبة في الأشباه والنظائر 5/ 220, وأوضح المسالك 2/ 71, وشرح التسهيل 2/ 90.

إذا ما غدونا قال ولدان هلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب²⁴¹

احتج النحاة الكوفيون بهذا الشاهد على الجزم بـ "أن" مفتوحة , وقالوا هي لغة بعض بني صباح من ضبة

فأقبلت زحفا على الركبتين فثوب نسيث وثوب أجر²⁴²

احتج سيبويه بهذا الشاهد على حذف الضمير من "الخبر" واحتج بعض النحاة على جواز الابتداء بالنكرة اذا قصد بها التنويع والتقسيم

فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل²⁴³

فقد احتج به سيبويه على جواز حذف الضمة في " اشرب " ضرورة , فمنهم من قال انه خفف الباء بالتسكين بسبب توالي الحركات

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول²⁴⁴

استشهد سيبويه هذا البيت على جواز مجيء اسم إن وخبرها نكرتين , اذ وجد أن الإخبار عن نكرة بنكرة أفضل من الإخبار بمعرفة كقولنا "إن بعيدا منك بكر". وهذه الرواية التي ذكرها سيبويه في كتابه لم يذكرها أحد قبله , وأما من ذكرها بعده فقد نقلها عنه كابن مالك والرضي وابن عصفور وغيرهم.

²⁴¹ البيت لامرؤ القيس قال السيوطي "والبيت أورده المصنف (ابن هشام) مستشهداً به على أن 'أن' قد تجزم المضارع. وقد أنكر ذلك الفارسي وقال : الرواية "إلى أن يأتي الصيد" وكذا أورده وصاحب منتهى الطلب. وأورده ابن الأنباري في شرح المفضليات بلفظ : إلى ما يأتنا الصيد ، شرح شواهد المغني : ٩٣/١.

²⁴² هذا البيت من قصيدة لامرئ القيس أثبتها له أبو عمرو الشيباني، والمفضل الضبي، وغيرهما،

²⁴³ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة 99\1

²⁴⁴ كتاب شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن عبد الله الزوزني، ص 89، لجنة التحقيق في الدار العالمية، بيروت، 1992

وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعلّ منا يانا تحوّلن أبؤسا²⁴⁵

فقد احتج به ابن هشام على مجيء خبر "لعل" فعلا ماضيا، واحتج به السيوطي على أن فعل تحول بمعنى "صار".

سريت بهم حتى تكلم مطيمم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان²⁴⁶

استشهد سيبيوه بهذا البيت في موضعين من كتابه، فقد استشهد فيه في الموضع الأول على إعمال "حتى" في قوله "حتى تكلم مطيمم". وفي الموضع الثاني استبدل كلمة "مطيمم" بكلمة "غزيمم" ليستشهد على أن "غزيا" اسم جمع لغاز، لأن فعلا لا يكون جمعا إلا نادرا مثل كلب وكليب.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل²⁴⁷

فقد استشهد الخليل قوله "قفا" على أن أصله "قفن" بنون التوكيد الخفيفة وحذف النون وبدل عنها بالالف. واستشهد الأشموني بقوله "نبك" على جزم الفعل المضارع إذا كان جوابا لطلب. واستشهد سيبيوه بقوله "منزل" حيث رواه "ومنزلي"، على وصل اللام في حال الكسر بالياء للترنم ومد الصوت.

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل²⁴⁸

فقد استشهد بعض النحاة بقوله "رب" على أنها تفيد التكثر في مواضع المباهاة والافتخار بقوله "يوم لك منهن صالح" على أن مجرور رب نكرة موصوفة، واستشهد آخرون بقوله "ولا سيما" على

²⁴⁵ هذا البيت أيضا للشاعر امرؤ القيس وأورد شرح أبيات المغني/ ١٧٧/٥

²⁴⁶ شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 3\245

²⁴⁷ ديوان امرؤ القيس، دار صادر، بيروت 1421هـ/2000م، ص: 29

²⁴⁸ المرجع السابق

أن "الواو" قبل "لا سيما" هي واو الاعتراض، وأن قوله "يوم" يجوز فيه الجر والرفع مطلقاً والنصب إذا كان نكرة .

أحار ترى برقاً هب وهنا كئنا ر مجوس تستعراستعاراً²⁴⁹

احتج به سيبويه على عدم صرف "مجوس" لأنه اسم قبيلة للعلمية والتأنيث، وقال الزجاج: ذهب سيبويه إلى أن "مجوس" و"يهود" اسم لهذا الجيل، ثم جعلت العرب كل اسم جيل من هذه أسماء لقبيلة، فإذا كان اسماً للقبيلة قلت: هذا رجل من يهود .

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل²⁵⁰

احتج به النحاة على تنازع الفعلين "تصد" و"تبدي" بـ "عن" وأن "تبدي" ضمن معنى "تكشف" في تعديته إلى المفعول الثاني بـ "عن" وحذف المفعول الأول .

إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معلقة مما تجيء به التجر²⁵¹

احتج به النحاة على أن الشاهد فيه قوله طعم مدامة، على أن "طعم" مرفوع للحكاية، مع أنه مفرد على تقدير متمم الجملة، أي:، طعمه طعم مدامة أي هي خبر لمبتدأ محذوف

ويمنحها بنوشمجي بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان²⁵²

احتج بهذا الشعر الإمام الزمخشري في بيان لفظ "المعز" من آية "ومن المعز اثنين" يقول "الأكثر في كلام العرب المعز والضأن بالإسكان. ويدل على هذا قولهم في الجمع: معيز، فهذا جمع معز. كما يقال: عبد وعبيد.

²⁴⁹ شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 483\1

²⁵⁰ كتاب فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، محمد على طه الدرة، مكتبة السوادى، 2008م

²⁵¹ كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 560\1، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة، 2007

²⁵² شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 274\3

المفعول لأجله

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى السترا للبسة المتفضل²⁵³

احتج به النحاة على جر المفعول لأجله "نوم" باللام بسبب عدم اتحاده مع فاعله في الزمان

الحال

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي²⁵⁴

احتج به النحاة على إعمال حرف التشبيه الكاف بالحال "فرطبا" حال وعاملها حرف التشبيه لما

فيه من معنى الفعل

النداء

أفاطم مهلا بعض هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت صرمني فأجملي²⁵⁵

احتج بعض النحاة على ترخيم كل ما أنث بالهاء , ورخم "فاطمة" على ما لغة من ينتظر واستشهد

به آخرون على أن الهمزة من حروف النداء , وهي لنداء القريب

المجرورات بالاضافة

كأن على الكتفين منه اذا انتحي مداك عروس أو صراية حنظل²⁵⁶

احتج به النحاة على أن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه على تقدير من ، أي مداك من عروس

²⁵³ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، 1\255، دارالكوخ، 1384هـ.

²⁵⁴ كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 2\291، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة، 2007

²⁵⁵ كتاب توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ابن أم قاسم المرادي، 3\127

²⁵⁶ شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 475هـ.

مكرم مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل²⁵⁷

احتج به النحاة على أن "عل" قطعت عن الإضافة لفظا ومعنى، ولذلك جرت ب "من" وأعربت ونونت

المجرور بحرف الجر

فإن تناأ عنها حقبة لا تلاقها فانك مما أحدثت بالمجرب²⁵⁸

احتج به النحاة على زيادة الباء في خبر إن بعد نفي

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيدبل²⁵⁹

احتج به النحاة على مجيء " اللام" في قوله "فيا لك" للتعجب المجرد من القسم، واحتج به العيني

على مجيء اللام في "لك" للاستغائة، و"ليل" مستغاث من أجله، وقد جر بحرف "من". أما الرضي

فقد احتج به على زيادة "من" في قوله "من ليل" و"ليل" تميز للضمير المهم في "لك" وهو تميز ذات لا

تميز نسبة.

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا فألهيتها عن ذي تمانم محول²⁶⁰

احتج به النحاة على أعمال "رب" مضمرة بعد الواو والفاء، وذهب سيبويه الى أن "مثلك" قد ينصب

على المفعولية، وقال الأندسي: إن الفاء عوض عن "رب" ذاهبا مذهب المبرد الذي جعل الفاء هي

الجار.

²⁵⁷ كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 2\219، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة، 2007

²⁵⁸ كتاب أشعار الشعراء الستة الجاهليين 1\14، يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بأعلم الشنتمري، دار الإفاق الحديدية، بيروت، 1984

²⁵⁹ كتاب فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، محمد على طه الدرّة، 1\114، مكتبة السوادى، 2008م

²⁶⁰ المرجع السابق 1\63

الأفعال المتعدية

واركب في الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر²⁶¹

احتج به النحاة على أن الفعل "كسا" يأتي متعديا إلى مفعول واحد

فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أي إذلال²⁶²

استشهد به المبرد على أن الفعلين إذا اتفقا في المعنى جاز أن يحمل مصدر أحدهما على الآخر ولو كان على "ذلت" لكانت "أي ذل". ولكنه "رضت" بمعنى "أذلت". واستشهد المبرد ونحاة آخرون بقوله "صرنا" على أن "صار" فعل تام بمعنى رجع.

النعى

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل²⁶³

مكرم مقبل مبرمعا كجلمود صخر حطه السيل من عل

احتج به النحاة على جواز تعد الصفة لموصوف واحد وهو قوله "منجرد" حيث وصف بسبع صفات , وهي قوله "قيد الأوابد , مكرم , هيكل , مقبل , مدبر"

وفرع يزين المتن اسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعكل²⁶⁴

احتج به النحاة على جواز تقديم النعت الجملة "يزين" على النعت المفرد "اسود" في الموصوف

المتعدد وصفه

²⁶¹ كتاب الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء- ص 33، أبو عبد الله محمد المرزباني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م

²⁶² كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 271\2، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة، 2007

²⁶³ كتاب فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، محمد على طه الدرّة، 124\1، مكتبة السوادى، 2008م

²⁶⁴ المرجع السابق، ص- 98

البدل

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل²⁶⁵

احتج به بعض النحاة على جواز "الكل" بدلا من "البعض" فيوم تحملوا أتت "بدل" من غداة البين

العطف

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها حذف أعسرا²⁶⁶

احتج به العلماء على جواز حذف حرف العطف مع المعطوف , والتقدير رجلها ويدها. ويسمى

الاكتفاء

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل²⁶⁷

احتج به النحاة على أن الواو لا تفيد الترتيب

الشرط

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي بنا بطن خبت ذي عقاف عقتقل²⁶⁸

احتج به الخليل والاحفش على زيادة الواو في جواب الشرط

القسم

²⁶⁵ ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت 1421هـ/2000م، ص: 29

²⁶⁶ شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم، مطبعة القديس، بيروت، 1212

²⁶⁷ كتاب فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، محمد على طه الدرة، 110\1، مكتبة السوادي، 2008م

²⁶⁸ شرح الرضي على الكافية - رضي الدين الأسترابادي - ج ٤ - الصفحة ٣٩٣، جامعة قانوبوز بنغازي، 1996

فاقسم لوشيئاً أتانا رسوله سواك ولكم لم نجد لك مدفعا²⁶⁹

احتج به الفراء على حذف جواب الشرط ,وقال الرضي : حذف جواب القسم والاستغناء بذكر القسم عن ذكر المقسم.

حلفت لها بالله حلقة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صالي²⁷⁰

احتج به السراج على حذف "قد" من جواب القسم "لناموا" شذوذا . وقال الرضي: يجب تقدير "قد" بعد اللام لأن لام الابتداء لا تدخل على الماضي المجرد وعده البغدادي ضرورة

قضية رفع الفعل بعد حذف ناصبه

استشهد سيبويه بيت طرفة بن العبد

الأمهنا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي²⁷¹

وقال : الشاهد في هذا البيت رفع أحضر بحذف الناصب وتعريه منه والمعنى لأن أحضر الوغى , وقد يجوز النصب بإضمار -أن - ضرورة وهو مذهب الكوفيين

قضية حذف المبتدأ بعد لكن

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد²⁷²

استشهد سيبويه بيت طرفة بن العبد في هذا البيت بأنه حذف المبتدأ بعد لكن وتقديره أنا ، على مذهب سيبويه والبصريين.

²⁶⁹ المرجع السابق 313\4

²⁷⁰ المفصل في صنعة الاعراب المؤلف : الزمخشري، 1\450، دار الكتب العلمية ، بيروت

²⁷¹ كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 1\277، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة ، 2007

²⁷² كتاب أدوات الإعراب ، ظاهر شوكت البياتي ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 2005

الاسم الظاهر على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض

فاليوم قد بت تهجوننا وتشتمننا فاذهب وما بك من الأيام من عجب²⁷³

احتج النحاة بهذا الشعر الشاهد فيه عطف "الأيام" على الضمير المجرد من غير إعادة الخافض

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض لضرورة الشعر

فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة²⁷⁴

الشاهد في هذا البيت أبي مزادة القلوص ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالقلوص وهو مفعول

بظرف ولا حرف خفض. وجاء في بيت الأخطل:

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يُوْ مَا يَلْقَى فِيهَا جَازِرًا وَظَبَاءً²⁷⁵

والبيت في "المغني" شاهد على رفع المبتدأ بعد "إِنَّ" المكسورة الهمزة، وقد يكون اسمها ضمير شأن

محدوف. وفي البيت: مَنْ: اسم شرط، مبتدأ، وله الصدارة؛ فلا يعمل فيه ما قبله²⁷⁶

. أفعال المقاربة

وهي "عسى وكاد وكرب وجعل وأخذ وقارب وطفق وما أشبه ذلك" ، فهي مقاربة الفعل وقوعه

فالأجود أن تستعمل ب"أن" فيقال "عسى زيد أن يقوم" ، وتكون مع الفعل بتأويل المصدر مثل

قولهم قارب زيد القيام وقد تستعمل "عسى" بغير أن كقول الشاعر

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراه فرج قريب²⁷⁷

²⁷³ قاله الإمام سيبويه، شرح ابن عقيل - ابن عقيل الهمداني - 240\2 ،

²⁷⁴ الشاعر أبو الحسن الأنباري ، كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري، 349\2، دار الفكر

²⁷⁵ كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 68\1، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة ، 2007

²⁷⁶ المغني 1\185

²⁷⁷ قاله الشاعر هدية بن الخشرم، شرح ابن عقيل - ابن عقيل الهمداني - 327\1،

الأمثال في القضايا النحوية:-

لغة الألف في الأسماء الستة

مما هو معلوم لدى كل من يمارس النحو العربي أن للأسماء الستة من الإعرابات الفروعية وأن تلك الأسماء هي "أبوه ، وأخوه ، وحموه وهنوه وفوه وذو مال" وهذه الاسماء ترفع بالواو نيابة عن الضمة ، وتنصب بالألف نيابة عن الفتحة ، وتجر بالياء نيابة عن الكسرة، تقول: جاءني أبوه ، وسمعت أباه ، ومررت بأبيه ولكن لهذه الأسماء بعض من الشروط في إعرابها الأول: أن تكون مفردة فلو كانت مثنى أعربت بالألف رفعاً وبالياء جراً ونصباً ، تقول علمني أبوان و مشيت بأيوين ورأيت أبوين وإن كانت جمع تكسير تعرب بالحركات على الأصل كقولك علمني آبائك ورأيت آبائك ، ومشيت بأبائك وإن كانت مجموعة جمع تصحيح أعربت بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجرّاً نحو جاءني أخون ، ومشيت بأخين، ورأيت أخين، ولم يجمع منها هذا الجمع إلا الأب والأخ والحم. والشرط الثاني أن تكون مكبرة غير مصغرة نحو جاءني أبيك ورأيت أبيك ، ومشيت بأبيك، والثالث أن تكون مضافة ، فلو كانت مفردة غير مضافة أعربت ايضاً بالحركات نحو هذا أخ، ورأيت أخاً، ومررت بأخ ولكن في أب وأخ وحم لغة ثالثة وهي بالألف ، تقول ذهب أباك، أباك و مشيت بأباك سلمت على أباك .

ومنها قول الشاعر

إنّ أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها²⁷⁸

استشهد لهذه اللغة بالمثل القائل: "مكره أخاك لا بطل"²⁷⁹ والقياس أن يقول أخوك " لأنه نائب فاعل ولكن جاء بلغة النقص هنا.

²⁷⁸ رؤية بن العجاج، ملحق ديوانه، تحقيق: وليم بن الورد، بيروت دار الآفاق الجديدة 1980، ص 168

²⁷⁹ الميداني مرجع سابق 2-318

وقوع المضارع موقع المصدر المؤول

يقع المضارع موقع المصدر المؤول في بعض الأوقات، مقدراً بأن، وقياسه مع ذلك أن يرفع، كقول

الشاعر

وما راعني إلا يسير بشرطة وعهدي به قينا يفش بكير²⁸⁰

والبيت شاهد على أنّ جملة "يسير" فاعل راعني، وخرّج على أن الأصل "إلا أن يسير" فأن والفعل في تأويل مصدر مرفوع، فاعل راعني، ولما حذف "أن" ارتفع الفعل، وبعد ذهاب أثرها وهو النصب، لوحظت مع الفعل فصار مصدراً فاعلاً لراعني، بملاحظتها، وهذا خاص بضرورة الشعر، وقد يقدر الفاعل مستتراً والجملة تكون حالاً.

فقد قالوا في المثل "تسمع بالمعيدي خيراً من أن تراه" فجعلوا تسمع في موضع المبتدأ وخبره "خيراً من أن تراه" وتقديره "سماحك بالمعيدي خيراً من أن تراه" قيل هذا مثل "تسمع" هنا تقديرها "أن تسمع" وهو مصدر مؤول من أن والفعل أي "سماحك"، لذلك أعرب مبتدأ²⁸¹

الابتداء بالنكرة

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، لأن في النكرة يكثر ألا تفيد الإخبار عنها، والخبر أصله أن يكون نكرة، والتعريف في الخبر الأصل عدمه، وقد يعرف المبتدأ والخبر نحو الله إلهنا وإلهكم، وقد يكونان نكرة نحو: شجرة طيبة، وفي الغالب إذا كان المبتدأ نكرة فلا بد أن يكون نكرة محضة، والخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً مقدماً، نحو: قولهم "عند بكر تمرّة"، أو استفهام نحو "هل فتى فيكم"، أو نفي نحو "ما أحد أعلم منك، ويعرف النكرة إمّا بوصف، نحو "رجل عالم عندنا"، أو

²⁸⁰ البغدادي، 1-300 الهرمي، عمر بن عيسى بن اسماعيل، المحرر في النحو، تحقيق علي محمد عبد السميع، دار السلام

²⁸¹ كتاب سيبويه 4\44

بإضافة نحو "عمل صالح يزين"، وقد يبدأ بالنكرة في غير ذلك، لأن الإخبار عنها ذو فائدة، نحو

قول الشاعر

سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا مُحَيَّاك أخفى ضوءه كل شارق²⁸²

ثم استشهد بالمثل القائل "شر أهر ذا ناب"²⁸³ والشاهد فيه (شر) مبتدأ نكرة، أشار إلى هذه

القضية سيويه تحت عنوان "هذا باب يختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة"

تقديم الضمير على الظاهر

المضمر لا بد أن يتقدم على الظاهر في أقوال العرب على وجهين

الأول - المضمر بشرط التفسير ، ويكون بعده ما يفسره ، وذلك كالضمير في كان نحو (كان بكر

قائما)، أضمرها الاسم لما فسرتة الجملة التي بعده، وفي قوله تعالى: "إنه من يأت ربه مجرماً فإن

له جهنم"²⁸⁴

الثاني - وهو مضمر تقدم لفظ وهو مؤخر في المعنى ، وقد علم أن موضعه متأخر فلذا يجوز

تقديمه، وذلك كل مضمر ان اتصل به اسم منصوب أو مجرور فإنه يجوز تقديمه وتأخيره على

الظاهر ، لأن النية فيه أن يكون مؤخراً فإن اتصل باسم مرفوع لم يجز تقديمه على الظاهر لأنه لا

ينوي به التأخير ، نحو (ضرب غلامه زيد) لأنه اتصل بمنصوب فلذا جاز تقديمه .

هذا، ومن الشواهد من الأمثال على تقدم الضمير

المثل القائل "في أكفانه يلف الميت" ، هنا تقدم الضمير في قوله (في أكفانه)

²⁸² شرح ابن عقيل - ابن عقيل الهمداني - ج ١ - الصفحة ٢٢١

²⁸³ كتاب مجمع الأمثال للإمام أبو الفضل الميداني، المكتبة العصرية، بيروت 1\270

²⁸⁴ "القرآن الكريم، سورة طه 74

ما النافية

تجري ثلاثة من حروف النفي مجرى "ليس" على قول النحويين في رفع الاسم ونصب الخبر، وهي "ما و لات، ولا" تعمل (ما) عمل (ليس) وهي لغة الحجازيين وهي التي جاء بها القرآن ومن ذلك قوله تعالى " مَا هَذَا بَشَرًا"²⁸⁵ وقوله تعالى " مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ"²⁸⁶

ولإعمال (ما) عمل (ليس) ثلاثة شروط

أ- ألا يتقدم خبرها على اسمها

ب - ألا يقترن خبرها ب "إلا .

ج- ألا يقترن اسمها "إن" الزائدة.

ومنه قول الشاعر

بني غدانة ما إن أنتم ذهباً ولا صريفاً ولكن أنتم خزف²⁸⁷

وهنا في قوله وما إن أنتم ذهباً أهملها بسبب وجود (إن) الزائدة بعدها وبنو تميم لا يعملون (ما) شيئاً

ولو استوفت الشروط الثلاثة فيقولون: ما بُّكر (قائم) ويقراءون "ما هذا بشرٌ"

و أن المثل "ما مسئ من أعتب"²⁸⁸ قد جاء على إهمال (ما) وهي من لغة تميم

²⁸⁵ القرآن الكريم سورة يوسف الآية 40

²⁸⁶ القرآن الكريم ، سورة ال عمران الآية 144

²⁸⁷ شرح ابن عقيل - ابن عقيل الهمداني - ج ١ - الصفحة 303

²⁸⁸ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب المؤلف : ابن هشام الأنصاري الجزء : 1 صفحة : 223

إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان

اختلف في هذه القضية نحاة البصرة والكوفة ، ويمكن أن نقف على آرائهم من خلال ما يلي

أولاً- رأي البصريين

عند البصريين أنه لا يجوز، لأن الإضافة إنما يراد بها التعريف والتخصيص، والشيء لا يتعرف بنفسه، لأنه لو كان فيه تعريف لكان مستغنياً عن الإضافة، وإن لم يكن فيه تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد من التعريف ، إذ يستحيل أن يصير شيئاً آخر بإضافة اسمه إلى اسمه فوجب أن لا يجوز ذلك، كما لو كان لفظهما متفقاً

ثانياً- رأي الكوفيين

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان واحتجوا في ذلك بقولهم: إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء في كتاب الله وكلام العرب كثيراً، ومنها قوله تعالى: " إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ " واليقين في المعنى صفة للحق ، لأن المعنى فيه الحق اليقين والصفة في المعنى هي الموصوف فأضاف الموصوف إلى الصفة، وهما بمعنى واحد ، وقال تعالى " وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ²⁸⁹فأضاف دار إلى آخرة وهما بمعنى واحد ، وقال تعالى: " جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، والحب في المعنى هو الحصيد.

واستدلوا أيضاً بقول الشاعر الراعي

وقرب جانب الغربي يأذو مدب السيل واجتنب الشعارا²⁹⁰

²⁸⁹ القرآن الكريم سورة النحل 30

²⁹⁰ شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية 3 \ 122

وقد أكد على رده على الكوفيين بالمثل القائل هو أحق من رجلة²⁹¹ ، عليه فإذا كان جميع ما جاء به الكوفيون محمولاً على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه ، لم يكن لهم فيه حجة

التمييز

هو التبيين والتفسير ، ولفظ التمييز اسم نكرة يأتي بعد الكلام التام ويراد به تبيين الجنس فمثاله في الجملة (طاب زيد نفساً) وفي القرآن قوله تعالى " واشتعل الرأس شيباً " ²⁹² وقوله تعالى " ومن أحسن قولاً " ²⁹³ ، ومثاله في المفرد : (عندي رطل زيتا ، ومنوان عسلاً) وشبه المميز بالمفعول لأن موقعه في هذه الأمثلة كموقعه في ضرب زيد عمراً وضارب حارثاً.

ومن هذا النوع من التمييز المثل القائل "وعلى التمرة مثلها زيدا" ²⁹⁴ حيث جاء تزييد تمييزاً منصوباً و من خلال ما سبق نستطيع القول بأن للأمثال دوراً فعالاً وواضحاً في القواعد النحوية والصرفية وقد كان لها دور كبير في التععيد النحوي والصرفي وقد اعتمد عليها علماء اللغة واستشهدوا ما وجدها ، وهذا قليل كما ورد ذكره ، واستشهدوا مع البواقي أيضاً ، وهو الأكثر وقد ذكرنا لذلك النماذج السابقة في القضية النحوية .

²⁹¹ وهي البقرة التي تسميها العامة "الحمقاء" ، وإنما حَمَّقُوها لأنها تنبُت في مجاري السُّيول فيمر السيل بها فيقتلعها.

²⁹² القرآن الكريم ، سورة مريم 4

القرآن الكريم ²⁹³ سورة فصلت 33

²⁹⁴ الزمخشري ، أبو القاسم بن عمر الزمخشري ، المفصل في علم العربية 32

نماذج للاستشهاد بالأمثال في القضايا النحوية من بعض كتب النحاة:

مثلما استعرضنا، هناك نماذج للأمثال في بعض كتب النحو المشهورة في القضايا النحوية ، وجدنا

أن نأتي بالأمثال في القضايا النحوية

المثل	مجمع الامثال	موطن الشاهد
ادفع الشر ولو أصعباً	267-1	حذف الفعل بعد (لو) وتقديره (ولو دفعته)
أطرق كرا وإن نام العام	431-1	جواز حذف (ياء النداء) من النكرة
أطري فإنك ناعلة	430-1	حذف الفعل تقديره (أطرى الأبل واجمعي) لكثرة استعمالهم إياه
أغدة كغدة البعير	57-2	وجوب حذف عامل المصدر اي (اغدي عادة)
افتد مخنوق	78-2	جواز حذف (ياء النداء) من المنادى النكرة (افتد يا...)
إلا حظية فلا ألية	20-1	رفع (حظية) من باب حذف الفعل بلا خلاف أي (إن لا يتفق لك حظية)
اللهم ضبعا وذئبا	المستقصي	نصب (ضبعا) على تقدير (اللهم اجعل....)
أمت في الحجر لا فيك	360-1	حجر وقعت خيرا المراد به الدعاء

الباب الرابع

التحليل النحوي للآيات المختارة من القرآن الكريم

الفصل الأول : العناصر النحوية وتأثيراتها في معاني الآيات القرآنية

الفصل الثاني : أثر الحروف العاملة في تبديل المعاني

الفصل الثالث : ملامح النحو العربي في السور المفصلة

الباب الرابع

التحليل النحوي للآيات المختارة من القرآن الكريم

يقوم الباحث بإجراء التحليل النحوي في الآيات القرآنية المختارة حسب النظريات النحوية الرسمية وفقاً لأقسام سور القرآن لتضمين السور – كما حاول لتضمين آية واحدة على الأقل من كل السور- ويحاول أن يستخرج الملامح النحوية منها.

الفصل الأول : العناصر النحوية وتأثيراتها في معاني الآيات القرآنية

وفي الآية القرآنية التالية توجد

فائدة دخول "ال"

فقد روي عن ابن عباس أنه فسر قوله تعالى : " الحمد لله " في الآية الثانية من سورة الفاتحة " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " بقوله : " هو الشكر لله والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك . والذي يقول الإمام " الطبري " إن لدخول الألف واللام معنى في يؤديه قول القائل " حمداً " بإسقاط الألف واللام، وذلك أن دخولهما في الحمد منبأ على أن معناه " المحامد والشكر لله " ولو أسقطنا منه لما دل إلا على أن حمد قائل ذلك لله، دون المحامد كلها. إذ كان معنى قول القائل : " حمداً لله " أو " حمد الله " أحمد الله حمداً، وليس التأويل في قول القائل " الحمد لله رب العالمين " أحمد الله، بل التأويل في ذلك ما وصفناه أن المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه، بما أنعم عليهم به من النعم التي لا كفاء لها في الدين والدنيا والعاجل والآجل " وذلك إدراكاً منه لأهمية المعنى الذي أفاده التعريف بالألف واللام، الذي يفيد استغراق الجنس من المحامد فالله سبحانه وتعالى يستحق الحمد كله .

فائدة التقديم

في تفسيره قوله تعالى " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " أدرك ابن عباس رضي الله عنه أهمية تقديم المفعول على الجملة الفعلية في أداء المعنى، وفي التعبير عن المراد الذي لا يفي به قول القائل "نعبدك ونستعينك" فقال في معنى "إياك نعبد" إياك نوحى ونخاف ونرجو لا غيرك²⁹⁵. وفي قوله "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" " إياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها" ، فقوله "لا غيرك" معنى توصل إليه ابن عباس من تقديم المفعول على الجملة، وذلك لأن التقديم عند العرب يعني الاهتمام بالمقدم، ولا شك أن ابن عباس قد أدرك أهمية هذا التقديم، فقرر أنه المخصوص بالتوحيد والخوف والرجاء والاستعانة على الأمور كلها لا غيره .

فعل النهي بغير الصيغة المعروفة

" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ " ²⁹⁶

والذي يظهر بأن كلمة "لا تعبدون" في هذه الآية الشريفة جاءت بمعنى النهي وهو الصحيح أيضا على رأي العلماء ولكن الصورة التي وردت في هذه الكلمة ليست على صيغة النهي حسب القواعد النحوية كما نفهم بأن علامة النهي في الأفعال الخمسة هي أن تحذف النون من آخر الفعل في حال أن تلك النون لم تحذف هنا في الآية..! وبالتحليل النحوي المعنوي الدقيق نفهم بأن هذه الكلمة من جملة خبر بمعنى النهي، و الإتيان بمثل هذه يفيد أبلغ المعاني من صريح النهي كما بين

²⁹⁵ تفسير الطبري، 1/160

²⁹⁶ القرآن الكريم سورة البقرة 83

النحويون لما فيه من إبهام بأن المنهي حقه أن يسارع إلى الانتهاء فكأنه انتهى عنه، حتى جاءت بصيغة النهي وأريد بها النهي فبقيت النون غير محذوفة لما أن اللام في أوله نافية لا ناهية .

اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى

" وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " ²⁹⁷

الكلمتان في هذه الآية " هو خيرًا لهم " ، و " بل هو شرٌ لهم " ليستا واحدة في المعنى والإعراب، وإن كان الاعتقاد الظاهري يوهم أنهما واحدة. الكلمة خيرا منصوبة لما أنها مفعول ثان للفعل " يَحْسَبَنَّ " والضمير الذي قبلها (هو) ضمير منفصل لا محل له من الإعراب وفائدته التوكيد ليؤكد الله سبحانه وتعالى سوء عاقبة البخلاء. و" هو " الثاني ضمير المنفصل جاء في محل رفع مبتدأ و" شرٌ " خبره. واتفقت هو الأولى مع هو الثانية في اللفظ واختلفتا في المعنى والإعراب، كما يرى الإمام الزمخشري أن ذلك الضمير ضمير فصل لتأكيد نفي الظن في الخيرية .

فائدة التفرقة بالعطف

" لَنْ يَنْصُرُوَكُمْ إِلَّا أَدَىٰ عَوَانٍ يُقْتَلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ " ²⁹⁸

كلمة " لا ينصرون " هنا مرفوعة مع أن الظاهر لنا أنها معطوفة على المجزوم قبلها (يولوكم ، يقاتلوكم). وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا يُنصَرُونَ قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت: فأى فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قلت لو جزم لكان النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية

²⁹⁷ القرآن الكريم سورة آل عمران 180

²⁹⁸ القرآن الكريم سورة آل عمران 111

الأدبار وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقا كأنه قال. ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا يهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر، وكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخبر؟ قلت: جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم يهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت فما معنى التراخي في ثم؟ قلت: التراخي في المرتبة، لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتولييتهم الأدبار فإن قلت: ما موقع الجملتين، أعنى مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَنْ يَضُرُّوكُمْ قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عطف 299

والتعبير بثم لإفادة التراخي في المرتبة: لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتولييتهم الأدبار. وهذه الجملة خبرية وهي معطوفة على جملة الشرط وجزائه معا، للإشعار بأن هذا دينهم، وأنهم لن ينتصروا على المسلمين لا في قتال ولا في غيره، مادام المسلمون مستقيمين على الطريقة التي رسمها الله - تعالى - لهم .

وجه العامل المستتر

" لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا " 300

299 تفسير الكشاف 1\185

300 القرآن الكريم سورة النساء 162

وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ "للعلماء فيه وجوه من الإعراب أشهرها أنه منصوب على المدح. أى: وأمدح المقيمين الصلاة. قال صاحب الكشاف: وقوله " وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ " نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع.

حكمة الإعراب في الآية

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصْرِيُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " ³⁰¹

كلمة "الصابئون" في الآية أتت مرفوعة غير أن الظاهر يوهم بأن من شأنها أن تأتي منصوبة لما أنها معطوفة على ما قبلها. وفي ورود كلمة الصابئون على هذا الإعراب حكمة نحوية كبيرة توصل إلى المعنى الحاسم حيث يقول ذلك الإمام الزمخشري وَالصَّابِقُونَ رفع على الابتداء وخبره محذوف. والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها. كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا. والصابئون كذلك. ثم قال: فإن قلت ما التأخير والتقديم إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم؟ وذلك لأن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها أي: خرجوا .

و يقول ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير " لما كان الصابئون أبعد عن الهدى من اليهود والنصارى في حال الجاهلية قبل مجيء الإسلام ، لأنهم التزموا عبادة الكواكب ، وكانوا مع ذلك تحق لهم النجاة إن آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحاً ، كان الإتيان بلفظهم مرفوعاً تنبيهاً على ذلك .

لكن كان الجري على الغالب يقتضي أن لا يؤتى بهذا المعطوف مرفوعاً إلا بعد أن تستوفي (إنّ) خبرها ، إنّما كان الغالب في كلام العرب أن يؤتى بالاسم المقصود به هذا الحكم مؤخراً ، فأما تقديمه كما في هذه الآية فقد يتراءى للناظر أنّه ينافي المقصد الذي لأجله خولف حكم إعرابه ، ولكن هذا أيضاً استعمال عزيز ، وهو أن يجمع بين مقتضيي حالين ، وهما للدلالة على غرابة المُخبر عنه في هذا الحكم . والتنبية على تعجيل الإعلام بهذا الخبر فإنّ الصابئين يكادون ييأسون من هذا الحكم أو ييأس منهم من يسمع الحكم على المسلمين واليهود . فنَبّه الكَلَّ على أنّ عفو الله عظيم لا يضيق عن شمولهم ، فهذا موجب التقديم مع الرّفْع ، ولو لم يقدّم ما حصل ذلك الاعتبار ، كما أنّه لو لم يرفع لصار معطوفاً على اسم "إنّ" فلم يكن عطفه عطف جملة .³⁰²

خطر الإعراب وقع الخطأ في فهمه

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۗ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَسَوْمِنكُمْ مَّن يَتَوَقَّىٰ وَمِنكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۗ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " ³⁰³

و كلمة "ونُقِرُّ" في هذه الآية جاءت مرفوعة على أنها جملة استئنافية خلافا لما أنما يوهم في التركيب كأنها معطوفة على كلمة "لنبيين". ولو قرئ بفتح الرّاء لتصيب ذلك في المعنى سلبيا حيث يكون المعنى "خلق الله الإنسان ليقر في الأرحام ما يشاء ..!

وكذلك

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ

³⁰² تفسير التحرير والتنوير 271\7

³⁰³ القرآن الكريم سورة الحج 5

مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ

السَّبِيلِ "304

و عندما يتأمل من يقرأ هذه الآية الشريفة بالنظر القاصر، يظن بأن الآية تحذر من الإيمان في "واياكم أن تؤمنوا". معاذ الله أن يكون المقصود هو التحذير من الإيمان، وعندما نقوم بالتحليل النحوي في هذه الآية نفهم بأن "واياكم": ضمير نصب منفصل مبني معطوف على كلمة "الرسول" الذي قدمه الله تشریفاً للنبي - صلى الله عليه وسلم . أي تقديرها: يا معشر المؤمنين، لاتخذوا الكافرين أعدائي وأعداءكم أصدقاء وأحباء تسرون إليهم بأخبار المسلمين كما فعل حاطب بن أبي بلتعة المسلم. حيث كتب رسالة لمشركي مكة، من المدينة، يحترهم من غزو النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم، وهذا عتاب له وتنبية للمسلمين وزجر على أن يفعل أحد مثل فعله، وكذلك فيها تشریف لحاطب؛ لأن الله شهد له بالإيمان بقوله: "يا أيها الذين آمنوا . وهؤلاء المشركون يخرجون محمداً ويخرجونكم من مكة ظلماً. وأخبر الله سبحانه بالمستقبل عن أحداث الماضي - الهجرة-، لاستحضار صورة القهر وظلم المشركين لهم بسبب إيمانهم ليزيدهم عداوة للمشركين على سبيل "الالتفات" وكلمة "أن تؤمنوا" هو المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله . المقصود يخرجون الرسول والمؤمنين بسبب إيمانهم³⁰⁵ .

الالتفات:- نرى في القرآن الكريم كثيراً من الأمثلة للإلتفات الذي هو الإخبار بصيغة الماضي عن المستقبل وبصيغة المستقبل عن الماضي وكذلك العدول من صورة الخطاب إلى صورة الغيبة وبالعكس. وهذا لأمر معنوي جليل وغرض بلاغي عظيم مثاله :-

" إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا "306

³⁰⁴ القرآن الكريم سورة الممتحنة 1

³⁰⁵ صفوة التفاسير المجلد الثالث

³⁰⁶ القرآن الكريم سورة الفتح 1

و فتحنا في هذه الآية فعل ماضي، جاء الإخبار بصيغة الماضي مع أن الفتح -فتح مكة- المقصود المستقبل حسب زمن نزول هذه الآية: هذا هو الإعجاز القرآني، يتحدث بصيغة الماضي عن المستقبل، ليؤكد للناس، وقوع "فتح مكة" على عادة رب العزة سبحانه في إخباره؛ لأنها في تحققها بمنزلة الكائنة الموجودة. وذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن الفتح. وبشارة عظيمة من الله لرسوله وللمؤمنين ووعده بالفتح بعد مرجع النبي ﷺ والمسلمين من الحديبية. وعندما نزلت السورة، قال النبي ﷺ: «لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها» "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً"

فائدة القول بالنكرة

" لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطَعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ " ³⁰⁷ " لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ " ³⁰⁸

ومحل النقاش هنا "كلمة" منافع" جاءت نكرة في كلتي الآيتين ولم تأت معرفة هنا، وهذا لفائدة نحوية عظيمة كما يبينها العالم الكبير عزيزة يونس بشير حيث يقول " منافع النكرة، تعني الشمول . أي أن الله سبحانه وتعالى أراد بتنكيرها، منافع مختصة بهذه العبادة : دينية ودينيوية شاملة، لا توجد في غيرها من العبادات. وهذه منافع الحج. وأيضاً: منافع النكرة في الآية الثانية تعني الشمول أي منافع كثيرة من النسل، والركوب إلى وقت نحر هذه الأضاحي . المنافع : المعرفة، منها تحديد وتخصيص ³⁰⁹

³⁰⁷ القرآن الكريم سورة الحج 28

³⁰⁸ القرآن الكريم سورة الحج 33

³⁰⁹ النحو في ظلال القرآن ص 221

" ذَلِكْ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ " ³¹⁰

و لفظ "ظلام" في هذه الآية الشريفة على وزن فعال، وعندما نفتشها بنظرنا الأولي يوهم بأنه صيغة المبالغة حسب القواعد النحوية ، ولكن هذا لا يوافق لمعنى الآية الكريمة لينسب وصف الظلم الأكبر إلى ذات الله سبحانه وتعالى. فإذا ما نوع تلك الكلمة؟ وبإجراء التحليل الصغير في هذه الكلمة نفهم أن هذه الكلمة إنما هي للنسب وليست للمبالغة، ومعنى ظلام على هذا صاحب ظلم مثل عطار، نجار، تمار، حداد، وهذه كلها ليست للمبالغة، وإنما هي للنسب أي من صيغ النسب مثل صاحب عطر، صاحب تمر

الفرق بين مرضع ومرضعة

" يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " ³¹¹

وقد استعملت كلمة مرضعة بإلحاق التاء المربوطة التي هي من علامة التأنيث مع أن الإرضاع لا يوجد إلا من الأنثى. والفائدة النحوية هنا أن إلحاق التاء بمثل هذه الكلمات يورث معنى آخر في التركيب. لأن المرضعة ، التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي ، والمرضع : التي من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به ، ولو قال ذلك لكان الوطاء خفيفاً. ولذلك استخدم عز وجل «مرضعة، ليبين للناس شدة هول القيامة وشدة الفزع فقيل : مرضعة ، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه ، وقد ألقمت الرضيع لديها نزعته عن فيه لما يلحقها من

الدهشة. ³¹²

³¹⁰ القرآن الكريم سورة آل عمران 182

³¹¹ القرآن الكريم سورة الحج 2

³¹² هذا الذي ما نراه في كتاب في كتابي الوسيط والكشاف

الأوجه الثلاثة في خبر كان ومعانها المختلفة

وهذا كما يظهر في آية قرآنية من سورة التوبة حيث يختلف المعنى حسب الاعتبارات المختلفة النحوية في خبر يكون. وتفصيلها كما يلي:-

قوله تعالى " كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ " (التوبة: 7)

أوجه الإعراب في الآية:

قوله (يكون) يحتمل خبرها ثلاثة أوجه من الإعراب³¹³

الأول: (كيف) وقدم للاستفهام.

الثاني: متعلق الجار والمجرور في قوله (للمشركين).

الثالث: متعلق الظرف في قوله (عند الله).

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

فالمعنى الأول "كيف" اسم استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد، وهو واجب التقديم؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام، و"عهد" اسم يكون مؤخر، والتقدير: يكون عهد المشركين كيف؟، أي: على أي وجه يكون للمشركين عهد، وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي، فمستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد، فلا تطمعوا في ذلك، ولا تحدثوا به نفوسكم .

³¹³ التبيان في إعراب القرآن للعبيدي 636/2

و أما المعنى الثاني: يكون التقدير على هذا المعنى " كيف يكون عهد موجوداً للمشركين " و "كيف" في محل نصب حال، والمعنى: بأي صفة وأي كيفية يثبت للمشركين عهد من العهود عند الله، يقره لهم في كتابه، وعند رسوله يفي لهم به، وتفون به اتباعاً له، وحالهم إضمار غدرهم ونقض عهودهم .

و المعنى الثالث: معنى "عند" الاستقرار المجازي، بمعنى الدوام أي: إنما هو عهد موقت، والتقدير: كيف يكون للمشركين عهد مستقر عند الله وعند رسوله، وكان كفار قريش قد نكثوا عهدهم الذي عاهدوه يوم الحديبية، وكان ذلك سبب التجهيز لغزوة فتح مكة .

الاحتمالان في الخبر:-

قوله تعالى: **أَلَا تُقْتَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ**
فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ³¹⁴

ف "الله" في هذه الآية الشريفة لفظ الجلالة مبتدأ، وخبره "أحق" يحتمل وجهين من الإعراب

و الوجه الأول: "الله" لفظ الجلالة مبتدأ، و"أحق" خبر مقدم، و"أن تخشوه" مصدر مؤول بدل اشتمال من لفظ الجلالة، والتقدير: خشية الله أحق من خشيتهم، ويجوز أن يكون قوله "أن تخشوه" في موضع نصب على حذف حرف الجر، وتقديره: فالله أحق من غيره بالخشية، والمعنى: أي هو أحق بالخشية منكم، فإنه الضار النافع بالحقيقة، وإن من خشيتكم له أن تقاتلوا من أمركم بقتاله، فإن قضية الإيمان توجب ذلك عليكم .

والوجه الثاني: "الله" ابتداء، و"أحق" ابتداء ثان، و"أن تخشوه" خبر الثاني، وجملة "أحق أن تخشوه" خبر الأول، والتقدير: فالله الذي أمركم بقتالهم، أحق خشيته، ويكون المعنى: إذا خطر في نفوسكم عدم الامتثال لأمره، فالله إن كنتم تخشوا أحداً فهو أحق أن تخشوه؛ لكونه في غاية القدرة .

تخالف المعنى بأوجه القراءات

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ "315

هناك قراءتان في هذه الآية

القراءة الأولى: قرأ عاصم³¹⁶، والكسائي، ويعقوب³¹⁷، بتنوين "عزير".

وأما القراءة الثانية: قرأ الباقر "عزير" بضم الراء من دون تنوين.

فا المعنى على القراءة التي تقرأ بالتنوين على أن "عزير" مبتدأ، و"ابن" خبره، ولم يحذف التنوين إيداناً بأن الأول مبتدأ، وأن ما بعده خبر وليس بصفة، فيحتمل أن يكون اسماً عربياً، فيكون تنوينه على الأصل، ويحتمل أن يكون أعجمياً، ولكنه خفيف اللفظ "كنوح" و"لوط"، فصرف لخفة لفظه، يعني أنه تصغير "عزير" فحكمه حكم مكبره، وقد رد هذا القول بأنه ليس بتصغير؛ لأنه على أربعة أحرف .

³¹⁵ القرآن الكريم سورة التوبة 9

³¹⁶ عاصم: هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهدلة، ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين، أحد القراء السبعة، كان ثقة في القراءات، صدوقاً في الحديث، قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - 1 / 346، الأعلام - الزركلي - 3 / 248

³¹⁷ يعقوب البصري: هو أبو محمد، يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، أحد القراء العشرة، مولده 117 هـ ووفاته بالبصرة سنة خمس ومائتين، كان إمامها ومقرئها، له في القراءات رواية مشهورة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - 2 / 386، الأعلام - الزركلي - 8 / 195

والقراءة التي تقرأ على حذف النون، تحتل فيها أوجه الإعراب الثلاثة :-

الوجه الأول: أنه مبتدأ وخبر، وحذف لالتقاء الساكنين على حد قراءة: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
اللَّهُ الصَّمَدُ"³¹⁸، فإن نون التنوين في "عزيز" ساكنة، والباء في قوله: (ابن ساكنة، فالتقى ساكنان،
فحذفت نون التنوين للتخفيف، وقد أجاز سيبويه مثل هذا بعينه. والحجة في ذلك أن التنوين
حرف الإعراب مشبه للواو والياء والألف، فكما يسقطن إذا سكن، وسكن ما بعدهن، كذلك
يسقط التنوين إذا سكن، وأتى بعده ساكن. وقد رد على هذا القول الإمام مكي بن أبي طالب فقال:
"ولا يحسن حذف التنوين على هذا من "عزيز"، وإنما يكسر التنوين لالتقاء الساكنين "

والوجه الثاني: أن تنوينه حذف لوقوع "ابن" صفة له، فإنه مرفوع بالابتداء و"ابن" صفة، والخبر
محذوف، والتقدير: عزيز ابن الله نبينا أو إمامنا أو رسولنا، ويجوز أن يكون "عزيز" خبر مبتدأ
مضمر، والتقدير: نبينا عزيز، و"ابن" صفة له، أو بدل، أو عطف بيان .

والوجه الثالث: أنه إنما حذف لكونه ممنوعاً من الصرف للتعريف بالعلمية، والعجمة، ولم يرسم
في المصحف إلا ثابت الألف، وهذا القول ينصر من يجعله خبراً . قال الزمخشري: "عزيز ابن"
مبتدأ وخبره، كقوله: "المسيح ابن الله"، و"عزيز" اسم أعجمي، ولعجمته، وتعريفه، امتنع صرفه،
وقول من قال بسقوط التنوين لالتقاء الساكنين، كقراءة: "قل هو الله أحد الله الصمد"، ولأن "ابن"
وقع وصفاً، والخبر محذوف، وتقديره: "معبودنا "

و أثر اختلاف الإعرابات تظهر في أن الكلمات التي تتغير حركة إعرابها بناء على قراءة
صحيحة متواترة، فإن بيان هذه الأوجه الإعرابية المختلفة وتقديراتها، وإظهار المعاني المصاحبة

³¹⁸ القرآن الكريم سورة الإخلاص 1,2

لهذه الأوجه المختلفة، كله يؤدي إلى تنوع المعاني التفسيرية، ويظهر إعجاز القرآن من الناحية الإعرابية في التفسير .

المعاني المختلفة للفعل الواحد

" لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۗ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

يرى المفسرون آراء مختلفة نحوية تأثر المعنى في قوله تعالى " يهلكون " تحتل وجوها من الإعراب

الأول: جملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب.

الثاني: حال من ضمير الرفع في قوله " يحلفون".

الثالث: حال من فاعل "لخرجنا"

الرابع: بدل اشتمال من الجملة قبلها وهي قوله " سيحلفون".

وعندما نخوض إلى المعاني التفسيرية المتنوعة في هذه الكلمة القرآنية حسب الإعتبارات الأربعة المذكورة أعلاه نفهم أن

المعنى الأول :- أخبر الله - تعالى- أنهم يهلكون أنفسهم بالحلف الكاذب، أي: يوجبون لأنفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب؛ لأنهم يورثونها سخط الله، ويكسبونها أليم عقابه، فهم كانوا يستطيعون الخروج ولكنهم تركوه كفرا ونفاقا، فكأنهم يوجبون على أنفسهم الحتم بعذاب الله .³¹⁹

والمعنى الثاني:- فيه يكون تقدير الحال: أي يحلفون مهلكين أنفسهم، فالمعنى: مهلكين أنفسهم وموقعين لها موقع الهلاك بحلفهم الكاذب، وفي هذه الآية دلالة على أن اليمين الفاجرة يفضي إلى الهلاك.³²⁰

المعنى الثالث:- التقدير بهذا المعنى: لخرجنا مهلكين أنفسنا، والمعنى: لخرجنا وإن أهلكنا أنفسنا، وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة، وجيء به على لفظ الغائب؛ لأنه مخبر عنهم.³²¹

والمعنى الرابع:- بدل اشتغال من قوله "سيحلفون"، إذ الحلف سبب للإهلاك، والمسبب يبدل من السبب لاشتغاله عليه؛ لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس، والمعنى: أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب، وما يحلفون عليه من التخلف.³²² وتعددت المعاني التفسيرية في هذا الموضع بناء على اختلاف أوجه إعراب هذه الجملة، مستأنفة للإخبار، ومرة حالية مبينة لصاحب الحال فهو إما يحلفون مهلكين أنفسهم أو لخرجنا مهلكين أنفسنا، وفي الرابعة ما أفاده إعرابها على البدلية المشتغلة على سبب هلاكهم وهو فمرة هي حلفهم الكاذب .

توافق المعنى العام في اختلاف الاعراب

" فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ " ³²³

³²⁰ التحرير والتنوير 10\209

³²¹ الكشاف الزمخشري 2\261

³²² روح المعاني الألوسي 5\107

³²³ القرآن الكريم سورة التوبة 81

لفظ "خلاف" في هذه الآية يتمكن فيه أن يعرّب بثلاثة أوجه حيث يعطي لنا معان خاصة مختلفة وإن كانت معانيه سواء في صورة العموم. باعتبار أن لفظ خلاف مصدر من قول القائل خالف فلان خلافاً ، فلذلك جاء مصدره على تقدير "فعال" ، يكون المعنى تخلفوا خلافاً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما يقال جاهد يجاهد مجاهدة .

وباعتبار أن لفظ خلاف في موضع نصب على أنه مفعول لأجله يكون المعنى " فرحوا لأجل مخالفته، حيث مضى هو للجهاد وتخلفوا هم عنه

وباعتبار أن لفظ خلاف ظرف مكان متعلق "بمقعد"- أي: بقعودهم عن الغزو خلفه، يقال: أقام خلاف الحي أي بعدهم، والخلاف: اسم للجهة المعينة كالخلف، وذلك أن المتوجه إلى قدامه فجبهة- يكون المعنى: فرح المتخلفون عن غزوة تبوك بقعودهم في المدينة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حيث خرج ولم يخرجوا. فالنصب هنا على الظرفية، بمعنى بعد وخلف .

و قال صاحب التحرير والتنوير: "ومن نكتة اختيار لفظ "خلاف" دون "خلف": أنه يشير إلى أن قعودهم كان مخالفة لإرادة رسول الله، حين استنفر الناس كلهم للغزو، ولذلك جعله بعض المفسرين منصوباً على المفعول له، أي بمقعدهم لمخالفة أمر الرسول" ³²⁴

اللفظ الوحيد في المعاني المختلفة

" وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

هناك ثلاثة آراء رئيسية في خبر قول الله سبحانه وتعالى " والسابقون " في هذه الآية حينما

يكون هذا اللفظ مبتدأ..

الرأي الأول إن الخبر هو قوله " الأولون "

الرأي الثاني الخبر هو قول الله تعالى " من المهاجرين والأنصار "

الرأي الثالث قوله تعالى " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ " هو الخبر

والمعنى على الرأي الأول " والسابقون إلى الهجرة الأولون من أهل هذه الملة، أو السابقون إلى الجنة

الأولون من أهل الهجرة، وفيه بيان لفضائل أشرف المسلمين وأوائلهم " ³²⁵

والمعنى الثاني:- الإعلام بأن السابقين من هذه الأمة هم من المهاجرين والأنصار، فلو قال قائل: إن

السابقين الأولين هم جميع من هاجر إلى أن انقطعت الهجرة؛ لكان قوله صحيحاً يقتضيه

اللفظ. ³²⁶

المعنى الثالث :- رضي الله عنهم بقبول طاعتهم، وارتضاء أعمالهم، وتجاوز عنهم بأن لم يسخط

عليهم، ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة؛ لذلك قدم رضاه. ³²⁷

نكتة تابعة:-

قال الفخر الرازي: " رضي الله عنهم لأعمالهم وكثرة طاعتهم، ورضوا عنه لما أفاض عليهم من نعمه

الجليلة في الدين والدنيا، لما وصفهم بهذا الوصف " السابقون الأولون " أثبت لهم ما يوجب

³²⁵ البحر المحيط – أبو حيان 96\5

³²⁶ فتح القدير – الشوكاني 398\2

³²⁷ روح المعاني الألوحي 8\6

التعظيم، وهو قوله: "رضي الله عنهم ورضوا عنه"، والسبق في الهجرة وصف مناسب للتعظيم، فدل هذا على أن التعظيم مغلل بكونهم سابقين في الهجرة، وكونهم سابقون في الهجرة وصف دائم لهم في جميع مدة وجودهم، فوجب أن يكون ذلك الرضوان حاصلًا لهم في جميع مدة وجودهم.³²⁸ وقد ذكر الزمخشري أيضا المراد بالسابقين من المهاجرين والأنصار، فقال: قوله (والسابقون الأولون من المهاجرين) هم الذين صلوا إلى القبلتين، وقيل: الذين شهدوا بدرًا، وقيل: من بايع بالحديبية، وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين، وقوله (من الأنصار) أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم مصعب بن عمير- رضي الله عنه- فعلمهم القرآن.³²⁹

وفي نفس هذه الآية هناك إمكانية أخرى في إعراب اللفظ الآخر هو "والأنصار". وقد وردت فيه قراءتان، القراءة الأولى هي بضم الراء على أن الأنصار معطوف ب المهاجرين. وهذه القراءة هي التي قرأ بها الجمهور من القراء، والقراءة الثانية هي بضمها على أنه مبتدأ و خبرها رضي الله عنهم أو عطف بيان على والسابقون، قرأ بها القارئ يعقوب³³⁰

و وجه الجر في "الأنصار" أن يجعل الأنصار مع المهاجرين السابقين، والمعنى: أن كلا الفريقين سبقوا غيرهم ممن تأخر عن الإيمان، فهي عطف على المهاجرين، فيكون وصف السابقين صفة للمهاجرين والأنصار، فالسابقون كانوا من الفريقين جميعاً، من المهاجرين ومن الأنصار، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع، ومعنى الكلام: رضي الله عن جميعهم . -لما أطاعوه، وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره.

³²⁸ التفسير الكبير 16\174

³²⁹ الكشاف 2\289

³³⁰ هو يعقوب بن إسحق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي البصري المتوفي سنة 205هـ.

وأما وجه الرفع فيه "والأنصار" على أن يجعل قوله "الأنصار" ابتداءً، وخبره "رضي الله عنهم"، أو عطف على "والسابقون"، فيكون الأنصار جميعهم مندرجين في هذا اللفظ أي الخبر، ويكون التعظيم الحاصل من قوله: "والسابقون الأولون" مختصاً بالمهاجرين، ولا يشاركهم الأنصار فيها؛ فوجب مزيد التعظيم للمهاجرين ، والله أعلم

" خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " 331

وفي كلمة "تطهرهم" في هذه الآية الشريفة يحتمل وجهين من الإعراب كما أنه يَأْتِرُ في المعنى أيضا تأثيرا خفيفا باعتبار أن تلك الكلمة توضع في موضع نصب صفة لصدقة يكون المعنى " خذ من أموالهم صدقة فإنها طهرة لهم " وهذا الذي ما قاله الإمام علاء الدين الخازن³³² حيث يصرح " وإنما حسن جعل الصدقة مطهرة؛ أنه لما جاء أن المال فيه من الأوساخ، فإذا أخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ، وكان ذلك الاندفاع جارياً مجرى التطهر، فعلى هذا القول يكون قوله "وتزكئهم بها" متقطعا عن قوله "تطهرهم"، ويكون التقدير: خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكئهم "

وباعتبار أن كلمة تطهرهم توضع في موضع نصب حال من ضمير الفاعل في " خذ" يكون المعنى التفسيري تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم، والضمير في قوله "تطهرهم" عائد على الذين خلطوا، حيث قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا. والتقدير: خذها مطهراً لهم .

³³¹ القرآن الكريم سورة التوبة 103

³³² هو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي المعروف بالخازن المتوفي في 741 هـ

" التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " ³³³

قوله سبحانه وتعالى " التائبون " يحتتمل وجهين من الإعراب :- الأول إنه مبتدأ، واختلف في الخبر فقيل: محذوف، وقيل الخبر قوله " العابدون " وما بعده أخبار متعددة. الثاني: رفع على إضمار مبتدأ، والتقدير: هم التائبون وما بعدها صفات لها. وعندما نخوض إلى المعنى التفسيري لهذين الوجهين من الإعراب نفهم أن معنى الآية على الوجه الأول يكون منفصلاً عن معنى التي قبل هذه الآية ، وهي قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ³³⁴

فلقد استأنف لفظ " التائبون " بالرفع لانقطاع الكلام عند الآية السابقة التي تم معناها، فعلى تقدير حذف الخبر، يكون قد حذف بعد تمام الأوصاف، والتقدير: التائبون هم من أهل الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا؛ لأن بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد، والمعنى: التائبون إلى آخره الجامعون لهذه الخصال لهم الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا، غير معاندين ولا قاصدين بترك الجهاد، فكأنه وعد بالجنة جميع المؤمنين. وقيل هو مبتدأ خبره مذكور وهو قوله " العابدون " وما بعده خبر بعد خبر، فالمعنى: التائبون من الشرك هم الذين عبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها .

ومعنى الآية على الوجه الثاني كما أنه هنا تابع للآية التي قبلها، حيث بين – تعالى- أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم، بين هنا أن أولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات، فكأن الوعد بالجنة

³³³ القرآن الكريم سورة التوبة 112

³³⁴ القرآن الكريم سورة التوبة 111

خاص بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات، والتقدير: هم التائبون، يعني المؤمنين المذكورين في قوله "اشترى من المؤمنين أنفسهم"، والمعنى "الذين بايعوا الله هم التائبون"، فكأنه قيل "من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات؟" فقال: هم التائبون.³³⁵

قال الإمام ابن عاشور: "أسماء الفاعلين هنا أوصاف للمؤمنين في قوله: (إن الله اشترى من المؤمنين) فكان أصلها الجر، ولكنها قطعت عن الوصفية، وجعلت أخباراً لمبتدأ محذوف هو ضمير الجمع؛ اهتماماً بهذه النعوت، اهتماماً أخرجها عن الوصفية إلى الخبرية، ويسمى هذا الاستعمال نعتاً مقطوعاً، وما هو بنعت اصطلاحية ولكنه نعت في المعنى".³³⁶

أثر الاختلاف:-

على الوجه الأول وهو الاستئناف، تكون الآية السابقة مستقلة بنفسها، أي يقع تحت تلك المبايعة كل موحد، قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وإن لم يتصف بهذه الصفات في هذه الآية الثانية أو أكثرها. وعلى الوجه الثاني وهو الرفع على إضمار مبتدأ، تكون هذه الأوصاف جاءت على جهة الشرط والآيتان مرتبطتان، فلا يدخل تحت المبايعة إلا المؤمنون الذين هم على هذه الأوصاف، ويبدلون أنفسهم في سبيل الله، أي لا يستحق الجنة بتلك المبايعة إلا من كان من المؤمنين على هذه الأوصاف.³³⁷

خمسة معان نحوية في كلمة واحدة:-

³³⁵ التفسير الرازي 16\207

³³⁶ التحرير والتنوير 11\40

³³⁷ الجامع لأحكام القرآن - القرطبي 4\584

" فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " 338

وبالفحص الحادق في هذه الآية نفهم أن كلمة " متاع " بهذه الآية، يسوغ فيها أن يعرب بالفتحة والضمة على الوجوه الخمسة. وقرأ الإمام حفص رضي الله عنه بنصب العين كما أن الباقين من القراء قرأوها بضمها. وفي قراءة النصب هناك ثلاثة وجوه. الأول: منصوب على المصدر المؤكد بفعل مقدر بطريق الاستئناف ، والتقدير: متَّعكم بذلك متاع. الثاني: في موضع نصب مفعول به بفعل مقدر يدل عليه المصدر، وهو قوله " بغيكم " و البغي هنا بمعنى الطلب. الثالث: في موضع نصب مفعول لأجله، والعامل فيه الكينونة المقدرة في قوله " على أنفسكم " .

وعندما نخوض إلى المعاني التفسيرية لهذه الأوجه الإعراب الثلاثة في قراءة النصب نقف على أن المعنى الأول: " تتمتعون متاع الحياة الدنيا " فيدل انتصاب المصدر على الفعل، ويكون قوله " بغيكم " مبتدأ، ومتعلق قوله " على أنفسكم " خبر المبتدأ. والمعنى الثاني: " تبغون متاع الحياة الدنيا " فيكون قوله " متاع " مفعولا به، والخبر محذوف، والتقدير: بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال. والمعنى الثالث: " إنما بغيكم مستقر وثابت على أنفسكم لأجل متاع الحياة الدنيا مذموم، أو مكروه " رفع قوله " بغيكم " بالابتداء، والخبر محذوف، وحسن الحذف لطول الكلام .

وفي قراءة الرفع هناك وجهين من الإعراب الأول هو في موضع رفع خبر المبتدأ، وهو قوله " بغيكم " . الثاني: في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف. إذا نخوض إلى المعاني التفسيرية في قراءة الرفع ندرك على أن المعنى الأول: قوله (بغيكم) مبتدأ، وقوله (على أنفسكم) متعلق به وهو صلته، " إنما بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا التي لا تبقى ويبقى عقابها " وهو كلام متصل بما قبله، يعني

يقول الله سبحانه وتعالى " يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم، لا يتبها أن يبغى بعضكم على بعض إلا أياماً قليلة، وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها ".³³⁹ والمعنى الثاني:

" إنما فسادكم وبغيكم راجع عليكم " أي " ذلك متاع الحياة الدنيا، أو إنما بغيكم هو متاع الحياة الدنيا " كأنما يراد " أن ما تنالونه لهذا الفساد والبغى تتمتعون به في الدنيا، و لا يصلح لزيد الآخرة " فيتم الوقف على قوله " بغيكم على أنفسكم " ، ثم يبدأ قوله " متاع الحياة. " الخبر هنا هو متعلق قوله " على أنفسكم " بالاستقرار والثبات، ويكون قوله " متاع " خبر مرفوع بإضمار مبتدأ.³⁴⁰

فالكلمة أو الجملة التي تختلف حركات إعرابها بناء على قراءة صحيحة متواترة، فإنها تؤدي إلى تنوع في المعاني التفسيرية، وذلك بإجراء التوجهات في كل من القراءات وإظهار معانيها المتنوعة الموافقة للحال كما ظهر ذلك جلياً باهراً في هذه المسائل في الآية القرآنية حيث أثر اختلاف الإعراب في تبديل المعاني.

الإعرابات المحلية المختلفة وأثرها في تأدية المعاني

" كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " ³⁴¹

تحتل جملة " أنهم لا يؤمنون " في هذه الآية ثلاثة أوجه من الإعراب المحلى :-

فعلى الوجه الأول أن هذه الجملة في محل رفع بدل من قوله تعالى " كلمت ربك ". والوجه الثاني يقوم بأنه في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره " الأمر ". وعلى الوجه الثالث أنها في محل جر بلام التعليل المحذوفة .

المعاني التفسيرية حسب الوجوه الثلاثة:-

³³⁹ الكشاف 2\323 ، لباب التأويل 3\183

³⁴⁰ إعراب القرآن – النحاس 2\250 ، حجة القراءات ابن زنجلة 1\130

³⁴¹ القرآن الكريم سورة يونس 33

الأول: حق عليهم انتفاء الإيمان، حيث علم الله منهم ذلك، وأثبتته في اللوح المحفوظ، والمعنى: حق

عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان، وأن إيمانهم غير كائن.³⁴²

الثاني: الأمر عدم إيمانهم، والمعنى: أنهم لا يصدقون بوحداية الله ولا بنبوة نبيه - صلى الله عليه

وسلم.³⁴³

الثالث: الجملة تعليل لوجوب قوله " حقت كلمة ربك " حيث " حقت " بمعنى وجبت، وهي الوعد

بالعذاب ، أي: استحقوا وجوب العذاب عليهم؛ لأنهم لا يؤمنون.³⁴⁴

وهذه المعاني الثلاثة مختلفة في المعنى الاصطلاحي وإن كانت الكلمات الموصلة إلى المعاني

سواء وحيدة في الشكل والأعراب الظاهري. وعلى المعنى الأول أن الله تعالى يقول بأن الفاسقين ليس

لهم ملجأ من الكفر وليست لهم فرصة للوصول إلى واحة الإيمان لما أنه تعالى قد عزم وأيقن كفرتهم

في بادئ الأمر ، حينما يعلن المعنى الثاني مجرد خبر بأنهم قوم لا يؤمنون، ولكن الله سبحانه وتعالى

يوضحنا عبر المعنى الثالث بأن عدم إيمان الفاسقين هو السبب الرئيسي لوجوب كلمة الله عليهم.

وهذه المعاني الثلاثة توافق لأحوال الفاسقين الكافرين وهي أيضا مناسبة لجميع التعاليم

الاسلامية. وتعدد المعاني في مثل هذه الآيات يشير إلى ضرورة القيام بالحدز التام من الفاسقين

ومن الطرق المسببة لعدم الإيمان فضلا عن أن يسلب الأضواء إلى المعاني الغريبة للآيات القرآنية

والملاحم النحوية العربية .

يختلف معنى الفعل باختلاف الإعراب

" إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " ³⁴⁵

³⁴² الكشاف 2\329 ، التفسير الكبير 17\92

³⁴³ جامع البيان للطبري 4\207 ، اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي 10\322

³⁴⁴ فتح القدير للشوكاني 2\444 ، أنوار التنزيل للبيضاوي 1\435

³⁴⁵ القرآن الكريم سورة يونس 44

و قول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية " شيئا " يحتمل وجهين من الإعراب : الوجه الأول إنه في محل نصب مفعول به ثان لقوله 'يظلم'. والوجه الثاني إنه منصوب على المصدر المؤكد، أي: مفعول مطلق.

المعنى التفسيري حسب الإعراب الأول – على أن كلمة 'شيئا' مفعول ثان لفعل يظلم الذي يتضمن معنى ينقص، و" النقص " فعل يكون لازماً وتارة يتعدى مفعولين، " لا ينقص الناس شيئاً من أعمالهم، ولا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب "

والمعنى التفسيري حسب الإعراب الثاني - على أنها منصوبة على المصدر- " لا يظلم الناس شيئاً كائناً من الظلم لا قليلاً ولا كثيراً " يعني " أن الله لا يظلم الناس بتعذيبهم يوم القيامة شيئاً من الظلم، والمضارع في قوله 'يظلم' يفيد الاستقبال لأنه منفي"³⁴⁶

بين الجملة الاستئنافية والحالية

" وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ "

ولفظ 'قد خسر' في الآية يحتمل وجهين من الإعراب لما أنه يجوز فيه لأن يعرب جملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب وأن يعرب مقول القول في موضع نصب ، وذلك على إضمار القول.

فالمعنى الأول على هذا - الجملة استئنافية - للشهادة على خسراتهم، وفيها معنى التعجب، كأنه قيل: ما أخسرهم إذ باعوا آخرتهم بالدنيا، وهو من كلام الله، حيث أخبر - تعالى- بأن المكذبين بلقائه خاسرون لا محالة، ولذلك أتى بحرف التحقيق.³⁴⁷ وهذه شهادة من الله عليهم بالخسران، والمعنى:

³⁴⁶ روح المعاني 6\126

³⁴⁷ الكشاف 2\333

أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسر، لأنه أعطى الكثير الشريف الباقي، وأخذ القليل الخسيس
الفاني كما بين ذلك الإمام فخر الدين الرازي أيضا.³⁴⁸

والمعنى الثاني - على أن 'قد خسر' في محل نصب بإضمار قول مقدر وقع حالاً- ، إما من ضمير
'يتعارفون' أو من ضمير 'يحشرهم' - ويوم يحشرهم قائلين قد خسر الذين كذبوا بقاء الله، على
أنه حال من مفعول 'يحشرهم'، وقد يقدر: يتعارفون بينهم قائلين قد خسر الذين كذبوا بقاء الله،
على أنه حال من فاعل 'يتعارفون'³⁴⁹

وفي هذه الآية الشريفة حينما يبين الله سبحانه وتعالى أحوال الذين ظلموا أنفسهم في حشر يوم
القيامة يقول بأن أولئك القوم يحشرهم الله سبحانه وتعالى في حال أنهم قد خسروا بقاء الله ومع
ذلك يوضح الله تعالى أن ذلك القوم قد خسروا من لقاءه . وعلاوة على ذلك يقول الذين خسروا
من لقاء الله - حينما يحشرون يوم القيامة - بأنهم خسروا من لقاءه نادمين . (والله أعلم)

خمسة حالات من الإعراب في الجملة الواحدة

" أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"³⁵⁰

وفي الآية الثانية من الآيات الثلاثة أعلاه نرى أن جملة "الذين آمنوا" تحتل أن تكون خبر مبتدأ
محذوف تقديره "هم" أو تكون مبتدأ وخبره "لهم البشرى" في الآية الثالثة. وفي هذين الاحتمالين
يكون المعنى كما أن الله سبحانه وتعالى يقول هذا القول عن الذين آمنوا من الناس "المؤمنين" لما
أن هذه الجملة - الآية الثانية من الثلاثة المذكورة - جملة استئنافية .

³⁴⁸ التفسير الكبير 17\110

³⁴⁹ الباب في علوم الكتاب 10\343 ، روح المعاني 6\128

³⁵⁰ القرآن الكريم سورة يونس 62-64

وتحتمل هذه الجملة لأن تكون في موضع رفع على أنه خبر ثان لـ 'إن' في قوله تعالى 'أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ' ولأن تكون في موضع نصب نعتا لقوله تعالى 'أولياء' أو أن تكون في موضع نصب بإضمار أعني أو أمدح. وفي هذه الاحتمالات الثلاثة يكون المعنى كما أن الله تعالى يقول مخبرا عن أوليائه العظماء المخصوصين ، واصفا ومادحا لهم خلافا عما يصف الذين آمنوا من الناس فقط .

حالة كون الفاعل مفعولا بلا تغير المعنى الاصطلاحي

" وَائْتِ عَلِيمٌ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون " ³⁵¹

وفي كلمة 'شركاءكم' في هذه الآية قد وردت قرائتان صحيحتان عن القراء حيث قرأها القارئ يعقوب برفع الهمزة حينما قرأ الباقيون من القراء بنصبها. ويكون الوجه النحوي لمن قرأها بالرفع " رفعت لأنها معطوفة على ضمير في قوله تعالى في الآية 'فأجمعوا' " ³⁵² فتقديره " فأجمعوا أنتم وشركاؤكم أمركم " أو رفعت مبتدأ وخبره محذوف دلت عليه الجملة التي قبلها ، وتقديره " وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم " .

ويكون الوجه النحوي لمن قرأها بالنصب ، نصبت لأسباب ثلاثة:-

- (1) لأنها معطوفة على قوله "أمركم" وذلك بحذف مضاف، والمعنى: فأجمعوا أمركم وأمر شركاءكم؛ فهو نصب للعطف على المفعول 'أمركم' .

³⁵¹ القرآن الكريم سورة يونس 71

³⁵² جاز العطف على الضمير المتصل بغير فصل بالتأكيد لطول الكلام حيث فصل بين المعطوف والمضمر بقوله "أمركم" فكانه قام مقام التأكيد

(2) لأنها مفعول معه من الفاعل، وهو الضمير في قوله 'فأجمعوا' وليس من المفعول الذي هو قوله 'أمركم'، والواو هنا بمعنى "مع"، فالمعنى: "فأجمعوا أمركم مع شركائكم"³⁵³ الذين تستنصرون بهم "

(3) لأنها مفعول به بإضمام فعل لائق، والتقدير: وادعوا شركاءكم، فأضمر فعل "وادعوا"؛ كقوله الله تعالى:- "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ" ³⁵⁴ بتقدير: واعتقدوا الإيمان، وذلك بناء على أنه لا يقال أجمعت شركائي، وإنما يقال أجمعت أمري بمعنى عزمت، والمعنى: أحضروا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم، وتوالونهم، من دون الله رب العالمين .

قول موسى عليه السلام في ثلاثة معان

" وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ " ³⁵⁵

" فلا يؤمنوا " في الآية تعتبر معربة بثلاثة أحوال نحوية باعتبار مكاناتها الإعرابية كما أنها تثير معان ثلاثة مختلفة تناسب السياق . فيكون قوله تعالى 'فلا يؤمنوا' إما في موضع نصب معطوفا على قوله " ليضلوا " وإما في موضع نصب جواب الدعاء في قوله 'اطمس' و'اشدد'، أو تكون في موضع جزم على أن قوله 'لا' للدعاء .

والمعنى على الوجه النحوي الأول " ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، أي ليضلوا عن سبيلك فيستمر ضلالهم حتى يروا العذاب الأليم ". وعلى هذا لا يكون فيه من معنى الدعاء شيء و يكون قوله " ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم " اعتراضاً.³⁵⁶

³⁵³ ونسبهم إلى الشركاء وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تميز على جهة التوبيخ لمن عبدها (الجامع لأحكام القرآن - القرطبي 4\660)

³⁵⁴ القرآن الكريم سورة الحشر 9

³⁵⁵ القرآن الكريم سورة يونس 88

³⁵⁶ التفسير الكبير 17\158

والمراد على الوجه النحوي الثاني " واشدد على قلوبهم وقسّتها حتى لا يؤمنوا، فإنها تستحق ذلك؛ أي: فإنهم لا يؤمنون إلا إذا رأوا العذاب الأليم". وعلى هذا يكون 'فلا يؤمنوا' جواب للدعاء الذي هو 'اشدد' ، والمقصود من جواب فعل الدعاء، هو غاية الجواب الذي بعد 'حتى' ، وهو العذاب الأليم أو الغرق .³⁵⁷

والذي يعنى على الوجه النحوي الثالث " اللهم فلا يؤمنوا، وقال ذلك غضبا عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله، فلمعرفته بربه بأنه سيعاقبهم على ما فعلوا دعا عليهم. وعلى هذا يكون 'فلا يؤمنوا' هنا دعاء بلفظ النهي، وموضعه الجزم .³⁵⁸

قول النبي سيدنا كريم الله موسى عليه السلام الذي ألقاه إلى الله جل وعلا يعلن بأن العداوة الشديدة والهجوم العنيفة من قومه كانت هي السبب الرئيسي الذي أدى النبي موسى عليه السلام للقيام بمثل هذا القول الخطير ضدهم. وقد قام بنو اسرائيل بالظلم والإكراه على موسى عليه السلام حتى شكا ذلك إلى الله تعالى في صورة دعاء وإخبار كما نرى ذلك عبر الآيات القرآنية الوافرة. ولكن الذي نرى في تركيب هذه الآية أنه يمكن إرادة المعاني الثلاثة من قول موسى عليه السلام هذا . على الرغم أن الله سبحانه وتعالى استعمل التركيب الوحيد لإشعار مشاعر الرسول عليه السلام اقتدرنا للوصول إلى جميع ما ينوي عليه السلام بهذا القول. وهذا أيضا من المعجزات النحوية العربية ، أن يقدر إرادة المعان الوافرة بالتركيب الواحد .

'أن' المخففة أو المصدرية أو التفسيرية

³⁵⁷ إعراب القرآن 2\266 ، التحرير والتنوير 11\271

³⁵⁸ جامع البيان 4\237 ، أنوار التنزيل 1\445 ، تيسير الكريم الرحمن – السعدي 1\390

" الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

وَبَشِيرٌ " 359

والأصل في قوله تعالى " ألا تعبدوا " هو " أن + لا تعبدوا " ويحتمل هذا القول أربعة أوجه من الإعراب.

الأول: " أن " هي المخففة من الثقيلة، ولها اسم وخبر، والثاني: " أن " مصدرية ناصبة، والفعل بعدها منصوب بها، وعلى هذه التقادير فهي إما في موضع نصب، أو رفع. الثالث: " أن " تفسيرية، بمعنى "أي" فلا يكون لها موضع. الرابع: " أن " في موضع جر بحرف الجر المقدر قبلها تقديرها " بأن لا تعبدوا "

إلى المعاني التفسيرية المختلفة لهذه الإعرابات:-

المعنى الأول:

' أن ' مخففة من الثقيلة، و'لا تعبدوا' جملة نهي في محل رفع خبراً لـ'أن' المخففة واسمها على ما تقرر ضمير الأمر والشأن محذوف، والتقدير: الشأن أنه لا تعبدوا. وتحتمل 'أن' تكون المصدرية الناصبة، ووصلت هنا بالنهي، ويجوز أن تكون 'لا' نافية، والفعل بعدها منصوب بـ'أن' نفسها المصدرية .

وعلى هذين التقديرين معنى 'أن'، فجملة 'أن لا تعبدوا' تحتمل وجهين؛ الأول: في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: تفصيله ألا تعبدوا، فالمعنى: الر، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من

لذن حكيم خبير وتفصيله أن لا تعبدوا إلا الله .³⁶⁰

³⁵⁹ القرآن الكريم سورة هود 1،2،

³⁶⁰ التفسير الكبير 17\187 ، المحرر الوجيز 3\149

الثاني: في موضع نصب مفعول له، وحذفت عنه اللام جرياً على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع 'أن' المصدرية، فهي في موضع العلة للفعلين 'فصلت' و'أحكمت'، والتقدير: "كتاب أحكمت آياته ثم فصلت؛ لئلا تعبدوا إلا الله".³⁶¹

والمعنى الثاني على أن 'أن' هنا حرف تفسير، لأن في تفصيل الآيات معنى القول؛ والتقدير: فصل آياته وقال: أي "أوحى إليكم في هذا الكتاب أن لا تعبدوا إلا الله" فهذه الجملة تفسيرية لما أحكم من الآيات؛ لأن النهي عن عبادة غير الله، وإيجاب عبادة الله، هو أصل الدين.³⁶²

نرى هناك في هذه الآية الشريفة ثلاثة معانٍ متفرقة؛ لما أن فيها إخبار من الله تعالى أو نهي منه أو تفصيل وإعلال كالبيان لما مضى في الآية الأولى. وبالإعتبار الأول يقول الله تعالى أنه قد أوحى إليكم في هذا الكتاب أن لا تعبدوا إلا الله، وبالإعتبار الثاني ينهى الله جل وعلا الأقوام بقوله "لا تعبدوا إلا الله"، وبالإعتبار الثالث يبين الله سبحانه وتعالى إحكام الآيات وتفصيلها بقوله "أحكمت ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله".³⁶³

"ما" الموصولة والمصدرية والنافية

"أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ".³⁶⁴

يحتمل قول الله سبحانه وتعالى 'ما' في كلمة "مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ" في هذه الآية، ثلاثة احتمالات من الإعراب حيث يؤثر كل منها في المعنى الاصطلاحي أيضاً لكن في صورة يصلح أن ينتسب بقول الله تعالى بكل المعنى. فتكون 'ما' موصولة بمعنى الذي في موضع نصب بحذف حرف الجر، أو تكون

³⁶¹ روح المعاني 6\206

³⁶² البحر المحيط – أبو حيان 5\201، التحرير والتنوير 11\315

³⁶³ الجامع لأحكام القرآن 5\11

³⁶⁴ القرآن الكريم سورة هود 20

مصدرية في موضع نصب وهي قائمة مقام الظرف والعامل فيها فعل 'يضاعف' ، او تكون نافية لا موضع لها من الإعراب .

والمعنى التفسيري على الاعتبار الأول " يضاعف لهم العذاب بالذي كانوا فيه في الدنيا من سماعهم للحق وإعراضهم عنه، فلما حذف الحرف الجار، كانت 'ما' في موضع نصب، مثل جزيته ما فعل، أي بما فعل .

والمعنى التفسيري على الاعتبار الثاني على أن 'ما' قائمة مقام الظرف، وتسمى المديّة، " يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع والأبصار في الدنيا والآخرة " وتكون 'ما' منصوبة بـ 'يضاعف' . والمعنى التفسيري على الاعتبار الثالث على أن 'ما' هنا نافية لا موضع لها؛ إذ الكلام قد تم قبلها، والوقف على العذاب كاف، وجملة " يضاعف لهم العذاب " اعتراض، " لا يستطيعون أن يسمعوا من النبي - صلى الله عليه وسلم- ليغضهم له، فهم ما كانوا يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعاً ينتفعون به، ولا أن يبصروا إبصاراً يهتدون به " .

" والجملة استئنافية، وهي جواب سؤال مقدر عن علة مضاعفة العذاب، كأنه قيل: ما لهم استوجبوا تلك المضاعفة؟ ، فقيل: لأنهم كرهوا الحق أشد الكراهة، واستثقلوا سماعه أعظم الاستثقال، وتعاموا عن آيات الملك المتعال "365

وهذه المعاني الثلاثة متباينة بينها في المراد الاصطلاحي ، لأن الله تعالى يقول سبب مضاعفة العذاب ' ما أنهم استمعوا الحق في الدنيا ولكن لم يعتنوا بها حتى اعترضوا عنه' فذلك على الوجه الإعرابي الأول. ولكن الذي نرى في الوجه الإعرابي الثاني ' بيان الله سبحانه وتعالى مدة عذابهم لما قاموا من الإنكار وعدم الاعتناء " .وبل الذي فصلنا في الوجه الإعرابي الأخير " لا يقول الله جل وعلا شيئاً عن

العذاب لهؤلاء الذين لا يؤمنون ولكنه يبين بأنهم لا يقتدرون لسماع النبي صلى الله عليه وسلم ولا الانتفاع بأقواله ولا الاستفادة منه في الدنيا نفسها حتى لا يهتدون .

وليس في هذه التفاسير المختلفة حسب الجهات النحوية المتنوعة شيء لا يناسب لذات الله تعالى أو ما لا يوافق بالمعاني القرآنية العامة. ولعل في تضمين المعاني المتوافرة بالتركيب الوحيد الشامل للجوانب النحوية العديدة ما يسלט الضوء إلى المعجزات القرآنية، حيث يدعو الله الباري تعالى القارئ و حاملي القرآن إلى نواح معنوية قرآنية عديدة في عبر الجملة الواحدة...! فسبحان الله الذي بيده ملكوت كل شيء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . (والله أعلم)

اختلاف تعلق الجار والمجرور يؤثر المعنى

" وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " ³⁶⁶

وفي هذه الآية يحتمل أن يكون متعلق الجار والمجرور في ' بسم الله ' إما قوله ' اركبوا ' أو قوله ' مجراها ومرسأها ' . فعلى الأول يقول الله تعالى مخبرا قصة نوح عليه السلام أنه قال لمن آمن معه " عليكم أن تركبوا في السفينه قائلين اسم الله تعالى " ، وعلى الثاني يكون المعنى كما أنه تعالى يقول ويبين لنا بيانا لقصة سفينة نوح عليه السلام حيث يقول " إنه كان تحرك السفينة ووقوفها - إجرائها وإرسائها - باسم الله سبحانه وتعالى متحققان به "

ونرى هذا الاختلاف في بيان إعراب كلمة ' مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ' أيضا في هذه الآية نفسها حيث يحتمل فيها ثلاثة صور من الإعرابات.

الأول: 'مجرأها' في موضع رفع على الابتداء، و'مرسأها' عطف عليه، والخبر هو متعلق قوله

'بِسْمِ اللَّهِ' ؛ والثاني: 'مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا' في موضع رفع فاعل لفعل 'استقر' المقدر. ؛
والثالث: 'مَجْرَاهَا' في موضع نصب على الظرف.

والمعنى التفسيري على الوجه الأول والثاني:

" إِجْرَاؤُهَا وَإِرْسَاؤُهَا مَتَحَقِّقَانِ بِسْمِ اللَّهِ "، والجمله "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا" مستقلة منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبراً وطلباً، على أن نوحا - عليه السلام - أمرهم بالركوب في السفينة، ثم أخبرهم بأن إجراءها وإرساءها بسم الله - تعالى - متحققان، لا يشك فيهما، ويجوز أن تكون الجملة "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا" في موضع الحال من الضمير في 'فيها'؛ لأن في الجملة عائد يعود على 'الهاء' وهو الهاء في 'مَجْرَاهَا'؛ لأنهما جميعاً للسفينة، والمعنى: " اركبوا في الفلك حال كونها بسم الله مجراها ومرساها ".

وباعتبار أنهما في موضع رفع فاعل فعل يكون المعنى التقديري " اركبوا فيها استقر باسم الله إجراءها وإرساؤها، ؛ اركبوا فيها ملتبسا باسم الله إجراءها وإرساؤها، أي: ببركة اسم الله "367

والمعنى التفسيري على الوجه الثالث:

" مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا " في موضع نصب، إما على أنهما ظرفاً زمان أو مكان؛ أو ظرفان على جهة الحذف، كما يقال: جئتكم مقدم الحاج، أي: وقت قدوم الحاج، فيكون " مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا " مصدران ميميان حذف منهما المضاف، فلما حذف المضاف سد المضاف إليه مسده وانتصبا، وقوله " بسم الله " متعلق بحال من الواو في قوله " اركبوا "، والمعنى: " اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله وقت إجراءها وإرسائها، أو مكاتهما، سموا بسم الله وقت الجرى والرسو، أي: اركبوا

الآن متبركين أو قائلين باسم الله في وقت الجري والرسو؛ على أن المجرى والمرسى للوقت، أو المكان، أو المصدر، وانتصبا بما في متعلق 'بسم الله' من معنى الفعل، أو إرادة القول.³⁶⁸

على وجه النصب على الظرفية:- يكون مجموع قوله: "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" كلاماً واحداً، والمعنى "ينبغي أن يكون الركوب مقروناً بالذكر في كل وقت"

وعلى وجه الرفع بالفاعلية والرفع بالابتداء والخبر تتضمن الآية أمرين:- "أن نوحاً-عليه السلام- أمرهم بالركوب، ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها ليس إلا بسم الله وأمره" يبين ذلك الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره³⁶⁹

ضمير العودة باختلاف المرجع

" قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ " ³⁷⁰

يحتمل أن يكون مرجع الضمير في " إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ " إما إلى ابن نوح عليه السلام فيكون المعنى هنا " إنه ذو عمل " ، وأصله إنه ذو عمل فاسد، فحذفت ذو للمبالغة بجعله عين عمله؛ لمداوئته عليه، ولا يقدر المضاف لأنه حينئذ تفوت المبالغة المقصودة منه .

وإما يكون مرجع الضمير إلى ضمير النداء والسؤال المفهوم من قوله 'ونادى' أي " نداؤك وسؤالك أن أنجيه من الغرق عمل غير صالح، لأن طلب نجات الكفار بعد ما حكم عليهم بالهلاك بعيد "

³⁶⁸ أنوار التنزيل 1\457 ، إعراب القرآن- ابن سيده 5\412

³⁶⁹ التفسير الكبير 17\238

³⁷⁰ القرآن الكريم سورة هود 46

وإما تكون عودة الضمير في الضمير في (إنه) على 'تركه الركوب مع المؤمنين' ، والمعنى: إن تركه الركوب مع المؤمنين، وكونه مع الكافرين عمل غير صالح .

ويقول الإمام الزمخشري في كتابه الكشاف " إن الله قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم، فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح، وأن بعضهم ليسوا بناجين، وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنى فعوتب على أنه اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه " ³⁷¹

وقد ورد في هذه الآية قراءة ³⁷² بجعل 'عمل' فعلا حيث قرأ " إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ " بكسر الميم في 'عمل'. وإن كانت المعاني الاصطلاحية المبينة هنا لهذا التركيب صحيحة فيما تتعلق بالواقعة التاريخية، تتفرق المدارات الإعرابية النحوية باعتبارات متنوعة كما تؤثر في تأدية المعنى وتبديله من شئ إلى آخر.

كلمة غير استثناء وصفة

" قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۗ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ " ³⁷³

أين مظهر التخسير والخسران في هذه الآية؟ هل التخسير للنبي صالح عليه السلام أو لقومه؟ وهذا ما يبحث تحت المعاني النحوية حول كلمة "غَيْر" في هذه الآية :-

قوله 'غير' استثناء في المعنى، فالفاعل هم المشار إليهم بواو الجماعة، والمفعول صالح - عليه السلام- المشار إليه بياء المتكلم، وهي في موضع نصب مفعول ثانٍ لـ 'يزيدونني' ، والتقدير: فما تزيدونني إلا تخسيراً بإبطال أعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى، والمعنى: فيه دلالة على أنه أراد إن

³⁷¹ الكشاف 2\377

³⁷² قرأها الإمام الكسائي ويعقوب لما قرأ الباقر بفتح الميم

³⁷³ القرآن الكريم سورة هود 63

أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذي دعوتموني إليه؛ لم أزد إلا خسراناً في الدين فأصير من الهالكين الخاسرين.³⁷⁴

و يجوز أيضا أن يكون قوله 'غير' صفة لمصدر محذوف، والتقدير: فما تزيدوني شيئا غير تخسير، والمعنى: فما تعطوني فيما أطلبكم به من الإيمان والإنابة شيئا غير تخسير لأنفسكم .

والتخسير في هذه الآية لهم، كأنه قيل: ما تزيدوني باحتجاجكم بدين آبائكم شيئا غير بصيرة لي بخسارتكم.³⁷⁵

وقد توضح هنا ظاهرا أثر الاختلاف في الإعراب في هذا التركيب، فعلى وجه المفعولية يكون المعنى: إن خالفت ربي بإجابتك إلى ما تريدون ازددت بأجلكم خسارة في الدين، وعلى الوجه الثاني يبدو المعنى كأنه فما تزيدوني بكفركم وإصراركم إلا شيئا واحداً ذلك أني أزداد يقيناً وبصيرة بخسارتكم . (والله اعلم)

استعمال الجملة الاسمية والفعلية لغرض خاص:-

" وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ "³⁷⁶

في هذه الآية، قول الله تعالى "سلام" قول وجهان من الإعراب، الأول: خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: أمري سلام. الثاني: مبتدأ مرفوع وخبره محذوف، والتقدير: سلام كائن عليكم أو منكم.

والمعنى " أنهم قالوا سلاما فقال إبراهيم - عليه السلام- هو سلام إن شاء الله "

³⁷⁴ روح المعاني 6\90 ، التفسير الكبير 18\9

³⁷⁵ الجامع لأحكام القرآن 5\56

³⁷⁶ القرآن الكريم سورة هود 69

فالتنكير في هذا الموضع يدل على التمام والكمال، فكأنه قيل: سلام كامل تام عليكم، أو هو بتقدير: سلام منكم، من المسألة التي هي خلاف المحاربة، وذلك أن إبراهيم - عليه السلام - أوجس منهم خيفة بداية الأمر .

وهناك شيء جديد يكتمن ضمن هذا الاستعمال النحوي في استعمال الجمل الاسمية والفعلية في هذه الآية هو "ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية"³⁷⁷.

وهناك ثلاثة أوجه من الإعرابات في هذه الآية نفسها حيث تؤثر كل منها المعنى ، وذلك في قول الله تعالى "أن جاء"

وهو يكون إما في موضع رفع فاعل 'لبث'، وإما في موضع رفع خبر 'ما' الموصولة وإما في موضع نصب بحذف حرف الجر.

فالمعنى الأول على هذا ما أبطأ ولا تأخر مجيئه بعجل سمين بل عجل به ، على أن قوله 'أن جاء' مصدر مؤول في موضع رفع ب'لبث' ، حيث 'ما' نافية، و'لبث' معناه تأخر وأبطأ .

والمعنى الثاني الذي لبثه إبراهيم قدر مجيئه بعجل؛ وليست مدته طويلة على أن 'ما' في قوله 'فما لبث' موصولة بمعنى الذي، وهي مبتدأ، والمصدر المؤول 'أن جاء' خبره على حذف مضاف .

المعنى الثالث " ما أبطأ إبراهيم عن مجيئه بعجل " ، فما تأخر في أن يجيء به، أو فما لبث عن أن جاء به، كما تقول: لا يلبث أن يأتيك، أي: عن إتيانك على أن 'أ ن جاء' في موضع نصب على إسقاط الخافض، فلما حذف حرف الجر بقي المصدر من 'أن' والفعل في محل النصب بنزع الخافض .

هل يدخل النبي يعقوب (ع) في البشارة:-

وفي القرآن الكريم بيان قدوم الملكة إلى إبراهيم عليه السلام للتبشير بولد، وهل كان التبشير عن ولده النبي إسحق عليه السلام فقط أو يصل التبشير إلى ولده يعقوب عليه السلام أيضا ؟

" وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ " ³⁷⁸

وقد ورد في قراءة " يعقوب " في هذه الآية وجهان من الإعراب رفعا و نصبا. وكل من هذين الإعرابين يحمل وجهتين مختلفتين لذلك الإعراب. وفي وجهة نحوية واحدة لكل من ذين الإعرابين يدخل قول الله سبحانه وتعالى في معنى البشارة ومقصودها كما لا يدخل فيه حسب الوجهة النحوية الأخرى .
الوجهة التي يكون بها اسم النبي إسحق (ع) داخلا في البشارة:-

من وجه نصب 'يعقوب' هنا فهو في موضع خفض على العطف، على قوله 'إسحاق' ولكنه لم ينصرف للتعريف، والعجمة، والمعنى: وبشرناها بإسحاق ويعقوب من ورائه، فهو محمول على موضع 'إسحاق'، وفتحته للجر، فإنه غير مصروف، ف'إسحاق' وإن كان مخفوضا، فإنه بمعنى المنصوب بعمل 'بشرنا' .

و من وجه رفع قوله 'ويعقوب' على الابتداء، والخبر متعلق قوله 'من وراء' حيث جعل متعلق الظرف خبرا مقدماً، كما يقال: من ورائك زيد، والتقدير: ومن وراء إسحاق يعقوب كائن، أو

موجود، أو مولود من بعده، و'يعقوب' على هذا دخل في البشرى، فالجملة من الابتداء والخبر حال داخلية في البشارة، أي فبشرناها بإسحاق متصلاً به يعقوب .

الوجهة التي لا يكون بها اسم النبي إسحق (ع) داخلا في البشارة:-

ومن وجه نصب قول الله تعالى أيضا 'يعقوب' منصوب بفعل محذوف دل عليه الكلام، فيرد بالواو على قوله 'وبشرناها'، حيث جعلت البشارة بمعنى الهبة، والتقدير: وهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب، والمعنى: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق وهبنا له يعقوب، فلا يكون داخلا في البشارة .

ومن رفع قوله تعالى 'يعقوب' فاعل مرفوع بإضمار فعل، والمعنى: ويحدث لها من وراء إسحاق يعقوب، وعلى هذا لا يدخل 'يعقوب' في البشارة؛ لأنه مرفوع على القطع أي الاستئناف أو هو مرفوع باستقرار من متعلق الجار والمجرور فكأن المعنى استقر لها أو ثبت لها من وراء إسحق يعقوب .

تعيين الخالق والمخلوق في الآية

" قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ "379

ما الذي يراد بقوله تعالى " ركن شديد " في هذه الآية ؟ هل هو أحد من مخلوق الله سبحانه وتعالى أم هو الخالق بنفسه..؟! وواحد من الاعتبار النحوي يشير إلى الخالق لما يشير الآخر إلى المخلوق. هيا ننتبه إلى تفصيل هذه الوجهة النحوية..

كلمة " أو آوي " في هذه الآية تحتل ثلاثة أوجه من الإعراب:

(1) إنها في موضع رفع خبر 'أن' المقدر على المعنى، تقديره: " أو أني أوي "

(2) إنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

(3) إنها في موضع نصب معطوف على قوله "قوة" في الآية.

فالمعنى على الوجه الأول " لو أن قوة كائنة لي متلبسة بكم أو أني ءاوي، و'بكم' متعلق بمحذوف حال من 'قوة'، ف'أن' الأولى وما بعدها جملة اسمية، والثانية المقدرة عطف عليها، وحذف جواب 'لو' لدلالة الكلام عليه، والمراد " لو قويت عليكم بنفسي، أو أويت إلى قوي ناصر عزيز استند إليه، وأتمنع به، فيحمني منكم لفعلت " ³⁸⁰

والمعنى على الثاني بأن "أو" هنا بمعنى بل، ويكون -عليه السلام- قد أضرب عن الجملة السابقة، والتقدير: بل أوي في حالي معكم إلى ركن شديد، وكفى به عن جناب الله - تعالى-، فيكون هذا الكلام مستأنفاً، منفصلاً عما قبله ولا تعلق له به. ³⁸¹

وهذا الرأي هو الذي ذكره الإمام الرازي في تفسيره حيث يقول " أنه لما شاهد سفاهة القوم وإقدامهم على سوء الأدب، تمنى حصول قوة معه قادرة على الدفع، ثم استدرك على نفسه؛ فقال: بل الأولى أن أوي إلى ركن شديد، وهو الاعتصام بعناية الله تعالى " ³⁸².

والمعنى على الثالث " لو أن لي بكم قوة أو إيواء، يعني التجاء إلى ركن شديد، وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد " ³⁸³

تتغير ما أمر الله تعالى لنوح عليه السلام:-

³⁸⁰ الدر المصون - السمين الحلبي 6\363 ، الكشاف 2\392

³⁸¹ البحر المحيط 5\247

³⁸² التفسير الكبير 18\35

³⁸³ الجامع لأحكام القرآن 5\73 ، أنوار التنزيل للبيضاوي 1\464

" قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا

أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ "384

قول الله جل وعلا في هذه الآية " امرأتك " ، يجوز فيه الوجهان من الإعراب حيث يؤثر ذلك في المعنى أثرا بالغا؛ الوجه الأول هو أن يرفع على البدلية باعتبار أن الاستثناء متصل ، والوجه الثاني أن ينصب على الاستثناء من قوله تعالى " فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ "

وقراءة الرفع على البدل من قوله تعالى " أحد " ، والاستثناء هنا متصل من الالتفات، والتقدير: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها ستلتفت وتهلك، والنهي في اللفظ لـ"أحد" وهو في المعنى للوط -عليه السلام- أي لا تمكن أحدا منهم من الالتفات، ' أنه نهاهم عن الالتفات فامتثلوا، ولم تمتثل امرأته للنهي فالتفتت فهلكت لذلك '

و قراءة النصب على أنه استثناء من قوله " فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ " ، معناه " أسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها، وأمر بتخليفها مع قومها؛ لأنها كانت مخلصه لقومها فتخبرهم عن زوجها، فيلزم على هذا التقدير ألا يكون سرى بها، وقد أجيب عنه بأنه لم يسر هو بها، ولكن لما سرى هو وبناته تبعتهم فالتفتت، والمعنى: فإن خرجت معكم وتبعتم غير أن تكون أنت سرية بها فإنه أهلك عن الالتفات ولا تنهها هي؛ فإنها ستهلك ويصيبها ما يصيب قومها .385

أثر الاستثناء المتصل والمنفصل:-

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ" .386

384 القرآن الكريم سورة هود 83

385 بحر العلوم للسمرقندي 137\2 ، إعراب القراءات السبع وعليها

386 القرآن الكريم سورة هود 107

وفي كلمة "إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ" احتمال للوجهين من الإعراب لما أنه في موضع رفع بالابتداء على أن الاستثناء منقطع أو في موضع نصب على أن الاستثناء متصل .

فالمعنى على الاستثناء المنقطع ، - فيقدر 'إِلَّا' 'بَلْكَنْ' المخففة من الثقيلة، فكأنه قيل " خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض لكن ما شاء ربك زيادة على ذلك، يعني " لكن ما أعد لهم من عذاب غير عذاب النار كالزمهير ونحوه " . و المعنى على الاستثناء المتصل يجرى هذا الاستثناء المذكور في أهل الشقاء من قول الله تعالى في الآية السابقة " فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَبِالنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ "387

هذا يرجع إلى قوم من المؤمنين، يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها، فيكون استثناء من غير الجنس؛ لأن الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الأشقياء، والمعنى: " فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك أن يخرجهم منها من قدر ما مكثوا في النار قبل دخولهم الجنة، وعلى هذا يكون قوله: " فأما الذين شقوا " عاماً في الكفرة والعصاة، ويكون الاستثناء متصلاً من الضمير المستتر في الحال من قوله 'خالدين' .388

ولقد ثبت بالأحاديث المتواترة تواتراً يفيد العلم الضروري؛ بأنه يخرج من النار أهل التوحيد، فكان ذلك مخصصاً لكل عموم، ويكون الزمان المستثنى هو الزمان الذي فات أهل النار العصاة من المؤمنين، الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة، فليسوا خالدين في النار؛ إذ قد أخرجوا منها وصاروا في الجنة؛ فإنهم يخرجون منها كما نطقت به الأخبار، وذلك كاف في صحة الاستثناء؛ لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض .389

387 القرآن الكريم سورة هود 106

388 جامع البيان 4\313

389 روح المعاني-6\142 ، الفتح القدير - 2\5225 ، البحر المحيط 5\263

إعراب لفظ 'كل' :-

" وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ " ³⁹⁰

ولفظ "كُلًّا" في هذه الآية يصلح أن يفهم فيه ثلاثة وجوه من الإعراب ، إما يكون مفعولاً به لقوله "نقص" أو مفعولاً مطلقاً على المصدر أو يكون منصوباً على الحال من قوله تعالى في الآية ' مَا نُثَبِّتُ ' .

بيان معانيه المختلفة ووجوه إعرابها:-

البيان على الوجه الأول: قوله 'كُلًّا' هو منصوب مفعول به مقدم بـ'نقص' ، وتقديمه على فعله للاهتمام ، ولما فيه من الإبهام؛ ليأتي بيانه بعده؛ فيكون أرسخ في ذهن السامع ، والتنوين عوض من المحذوف وهو المضاف إليه ، و'من أنباء' متعلق بمحذوف صفة لنبا ، والتقدير: وكل نبأ نقص عليك كائن من أنباء الرسل ، والمعنى: وكل الذي تحتاج إليه يا محمد من أنباء الرسل وما جرى لهم مع قومهم نقصه عليك ونخبرك به.

البيان على الوجه الثاني: 'كُلًّا' منصوب على المصدر ، مفعول مطلق ، والتقدير: كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك ما ثبت به فؤادك ، أو كل أسلوب من أساليب الاقتصاص نقص عليك ما ثبت به فؤادك ، والمعنى: ونقص عليك الشيء الذي ثبت به فؤادك كل قص. ³⁹¹

يقول العالم أبو السليم في كتابه إرشاد العقل السليم " الأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لـ'نقص' أي: كل اقتصاص ، وقوله -تعالى- ' مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ' مفعول 'نقص' ، وفائدته التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه -عليه السلام- وطمأنينة قلبه ، وثبات

³⁹⁰ القرآن الكريم سورة هود 120

³⁹¹ أنوار التنزيل 1\473 ، الكشاف 2\413

نفسه على أداء الرسالة، واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال، وما لقي الرسل لهم من مكابدة المشاة "392.

البيان على الوجه الثالث: 'كُلًّا' هنا منصوب على الحال من قوله 'ما نثبت' و'كلا' هي بمعنى "جميعاً" وهي نكرة، وقدم الحال على عامله كما يقال: كلا ضربت القوم، والتقدير: ونقص عليك من أبناء الرسل كلاً، الأشياء التي نثبت بها فؤادك جميعاً، أي: المثبتة فؤادك جميعاً. 393.

أقوال عن المعنى اللفظي والمعنوي لحرف 'ل':-

" قَالَ يَا بُيِّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ "394. والفعل " يَكِيدُوا " فعل يتعدى بنفسه أو بحرف الجر، وعلى هذا، " اللام " في قوله 'لك' فيها وجهان. الأول: هي للعلة، بمعنى من أجلك، أي: فيفعلوا لأجلك ولإهلاكك كيداً مثبتاً راسخاً لا تقدر على الخلاص منه، أو كيدا يخفى عن فهمك وإدراكك. - الثاني: هي متعلقة بصفة مقدرة قدمت فصارت حالاً، والتقدير: فيكيدوا كيداً جباراً لك .

والمعنى الثاني:

" كيدا " مصدر مؤكد، وعلى هذا ففي 'اللام' ثلاثة أوجه، منها الاثنان الماضيان، والثالث: أن تكون زائدة لأن هذا الفعل يتعدى بنفسه، والتقدير: فيحتالوا لك حيلة بالكيد، وإنما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى باللام، ولذلك أكد بالمصدر. 395.

392 إرشاد العقل السليم 76\3

393 إعراب القرآن - النحاس 2\308

394 القرآن الكريم سورة يوسف 5

395 تفسير البيضاوي 476\1، إعراب القرآن للنحاس 2\314

قال الزمخشري: " هلا قيل: فيكيدوك كما قيل فكيدوني، قلت: ضمن معنى فعل يتعدى باللام؛ ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن، فيكون أكد وأبلغ في التخويف، وذلك نحو فيحتالوا لك، ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر " ³⁹⁶.

يختلف الفعل باختلاف الحركات:-

" أَرْسَلُهُ مَعْنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ³⁹⁷

وقد قرئ لفظ " يَرْتَعُ " في هذه الآية بكسر العين "الحرف الأخير" وبسكونها ³⁹⁸

وقبل الخوض إلى المعنيين المختلفين لفعل 'رتع' نذكر المعنى الأصلي له

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب " الرُّعُ: الأكل والشرب رَعْدًا في الرِّيف، ويقول الإمام الألويسي في كتابه روح المعاني " يرتع أي يتسع في أكل الفواكه ونحوها، وأصل معنى الرتع أن تأكل وتشرب ما تشاء في خصب وسعة، ويقال: 'رتع' أي أقام في خصب وتنعم، ويسمى الخصب رتعة بسكون التاء وفتحها، والرتع حقيقة في أكل البهائم، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير " ³⁹⁹.

" وعندما يكون قوله 'يرتع' بكسر العين، يكون من 'رعى' على حذف المفعول، أي: يرعى ماشيتنا أو يرعى المال، فكسر العين جزم بحذف حرف العلة، حيث سقطت الياء للجزم، ومن كسره أخذه من الرعي، وأصله إثبات الياء فيه، فحذفها دلالة على الجزم؛ لأنه جواب للطلب في قول إخوة يوسف عليه السلام 'أرسله' فبقيت العين على الكسر الذي كانت عليه، والمعنى: كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أرسله معنا غداً يرتع الإبل ويلعب فمرة يرتع ومرة يلعب كفعل الصبيان " .

³⁹⁶ الكشاف 2\419

³⁹⁷ القرآن الكريم سورة يوسف 12

³⁹⁸ قرأ ابن كثير وناقق وأبو جعفر بكسر العين كما قرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف بسكونها

³⁹⁹ روح المعاني 6\193

" وعندما يكون قوله 'يرتع' بتسكين العين فيكون تسكينها على الجواب؛ لأنه جواب الأمر في 'أرسله' ، يعني إن ترسله يرتع ويلعب، فمن سَكَّن جَزَمَه بحذف الحركة وجعله مأخوذاً من 'رتع' إذا اتسع في الخصب مرحاً ولهوا في أكل وشرب أي : يقال للإنسان رتع يرتع رتعا فهو راتع، والمعنى: رتع فلان في ماله إذا لمها فيه ونعيم، وأنفقه في شهواته؛ لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف - عليه السلام - معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك، عمّا ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك.⁴⁰⁰

والذي نرى هنا في هذه الآية أن قد اختلف الفعل بنفسه حتى تغير معناه بمجرد اختلاف الحركة في الحرف الواحدة من الفعل .

احتمال الموضوعين للمستثنى منه:-

" وَمَا أَبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ " ⁴⁰¹

وقد وقع الاستثناء في كلمة " مَا رَجِمَ رَبِّي " من هذه الآية غير أنه قد اختلف النحاة والمفسرون في تعيين صورة الاستثناء، أهو استثناء متصل أم هو استثناء منقطع؟ وهذا الاختلاف في إدراك وتعيين المستثنى منه الحقيقي لهذا التركيب . وعندما يتغير المستثنى منه في هذه الجملة فطبعاً يتأثر ذلك في المعنى فيكون لها معنى آخر، وحينما نفحص عن المعاني المتنوعة التي تورثها هذه الآية الكريمة حسب الاعتبارات المتفرقة في الجوانب النحوية نفهم أن تلك المعاني كلها لا يخالف شيئاً من الرسائل الدينية التي تخرجها الآية وهذه السورة أيضاً .

وهذا الذي يبينها الباحث في النقاش الآتية:

⁴⁰⁰ المحرر الوجيز - ابن عطية 3\223 ، إعراب القراءات السبع وعللها - ابن خالويه 1\303، جامع البيان - الطبري 4\334

⁴⁰¹ القرآن الكريم سورة يوسف 53

ويكون الاستثناء - في كلمة "ما" في 'إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي' من هذه الآية - منقطعاً باعتبار أن 'ما' في موضع رفع بالابتداء كما يكون هو متصلًا باعتبار أنها في موضع نصب بالاستثناء حيث اختلف في المستثنى منه.

وفي نظر أنه استثناء منقطع عما قبله تكون 'ما' مصدرية، و يكون التقدير "ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة، وتكف النفس عن أن تكون أماراً بالسوء . وذلك كما في قوله تعالى في سورة يس "وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا"⁴⁰². و يكون المعنى هنا: "ولكن من رحمة ربي فعصمه من متابعة النفس الأماراً بالسوء"⁴⁰³

و حينما تكون جملة "إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي" كلها في موضع نصب على الاستثناء ففي المستثنى منه أوجه: الوجه الأول:- يقول الإمام السعدي في تيسير الكريم الرحمن " أنه مستثنى من الضمير المستكن في قوله (أَمَارَةٌ)، والتقدير: إن النفس لأماراً بالسوء إلا نفساً رحمها ربي؛ لأنه أراد الجنس بقوله 'إن النفس'، والمعنى 'إلا النفس التي رحمها ربي فلا تأمر بالسوء حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى"⁴⁰⁴

الوجه الثاني:- يقول الإمام المفسر الألوسي في تفسير روح البيان " "ما" هنا ظرفية في معنى الزمان وموضعها نصب؛ فيكون الاستثناء من الزمن العام المقدر، والتقدير المعنوي " إن النفس لأماراً بالسوء مدة بقائها إلا وقت رحمة الله العبد، وذهابه بها عن اشتها المعاصي، والمعنى التفسيري ' إِنَّ النفس لَأَمَارَةٌ بالسوء في كلِّ وقتٍ وأوانٍ إلا وقت رحمة ربي إياها بالعصمة، وذلك بناءً على أن أمر النفس به يبعث على ارتكابه في كل الأوقات إلا وقت رحمة الله عبده، ورحمته بأن يقيض له ما

⁴⁰² القرآن الكريم سورة يس : 23

⁴⁰³ الدر المنصور ، السمين الحلبي 6\514

⁴⁰⁴ تيسير الكريم الرحمن ، السعدي 1\423

يصرفه عن فعل السوء، أو يقيض حائلاً بينه وبين فعل السوء، كما جعل إباء يوسف عليه السلام من إجابتها إلى ما دعته إليه حائلاً بينها وبين التورط في هذا الإثم، وذلك لطف من الله بهما⁴⁰⁵

الوجه الثالث:- يقول الإمام الرازي الطبري والبيضاور وغيرهم بأن " ما " بمعنى 'مَنْ' للعاقل، والاستثناء هنا من مفعول 'أمره' المحذوف، والتقدير 'إن النفس لأمره صاحبه بالسوء إلا الذي رحمه الله فلا يجيبها إلى ما تريده أو فلا تأمره بالسوء'، والمعنى: 'إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه؛ فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء'⁴⁰⁶

من المعاني المختلفة للاستثناء:-

" قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ - إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ "⁴⁰⁷

وبالتبع النحوي الدقيق في هذه الآية نقف على أن الاستثناء الموجود في جملة " إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ " يحمل معنيين مختلفين. المعنى الظاهري الذي يتبادر إلى الذهن هو 'يقول النبي يعقوب عليه السلام لأولاده " عليكم أن تأتوا إليّ ولدي وجوباً إلا أن تهلكوا جميعاً فيكون عذراً لكم عندي " ، فالاستثناء هنا يحتمل أن يكون منقطعاً ، والتقدير " لكن إذا أحيط بكم خرجتم من عتبي وغضبي عليكم إن لم تأتونني به لوضوح عذرکم " . والعرب تقول 'أحيط بفلان' إن هلك أو قارب هلاكه .

هذا، وباعتبار كون الاستثناء هنا متصل يكون المستثنى منه إما استثنائي من المفعول له -لعللة الإحاطة- أو من الحال "إلا أن تأتونني محاطاً بكم" ، أو من عموم الأزمان . وبالتقديرين الأولين لا يكون للمستثنى منه في المعنى تغيراً مذكوراً لما كان في وجه الاستثناء المنقطع. ولكن المعنى الذي

⁴⁰⁵ روح المعاني 2\7

⁴⁰⁶ التفسير الكبير 18\160 ، جامع البيان 4\634 ، أنوار التنزيل 1\487 غ

⁴⁰⁷ القرآن الكريم سورة يوسف 66

نحصل عليه في التقدير الأخير - المستثنى من عموم الأزمان - مختلف. وإنما يكون مستثنى من عموم الأزمان إن جعلت 'أن' والفعل واقعة موقع المصدر الذي هو ظرف زمان؛ والمعنى "لَتَأْتُنِّي بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَّا فِي وَقْتِ الْإِحَاطَةِ بِكُمْ" ، كما يقال 'أتيتك صياح الديك' أي 'أتيتك وقت صياح الديك' "408

حين يكون اللفظ مبتدأ وخبراً

" قَالُوا جَزَّؤُهُمْ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ - فَهُوَ جَزَّؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ "409

كلمة " جَزَّؤُهُمُ " الأولى في هذه الآية تكون مبتدأ وخبراً ، وفي كون هذه الكلمة مبتدأ يكون خبره محذوفاً في صورة واحدة كما يكون الخبر قوله تعالى " من وجد " في صورة أخرى. وفي ذينك الوقتين يكون المعنى الاصطلاحي المؤثر في قصة يوسف عليه السلام مختلفاً .

البيان:-

قوله " جزاؤه " مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: جزاؤه كائن عندنا كجزائه عندكم، والهاء في قوله 'جزاؤه' تعود على السارق، فعلى هذا يكون قوله 'من وجد' مبتدأ و'فهو' مبتدأ ثان و'جزاؤه' خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول ، والمعنى: جزاء السارق عندنا كجزائه عندكم وهو الاستعباد فمن وجد في رحله فهذا هو جزاؤه ، وكان هذا في شريعة يعقوب -عليه السلام بأن من سرق يُستعبد لمدة عام .410

يحتمل أن يكون 'جزاؤه' مبتدأ ، والضمير للسارق أو للمسروق، وقوله 'مَنْ وَجِدَ' خبره، حيث "من" شرطية أو موصولة مبتدأ، ثان، والفاء جواب الشرط، و'مَنْ' وما في حيزها على وجهها

408 روح المعاني 14\7 ، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي 11\149

409 القرآن الكريم سورة يوسف 75

410 مشكل إعراب القرآن - مكي بن أبي طالب 1\436

خبر المبتدأ الأول، والتقدير: استعباد من وُجد في رحله، و 'فهو جزاؤه' مبتدأ وخبر مؤكد لمعنى الأول، والمعنى التفسيري على هذا " جزاء السرقة هو الإنسان الذي وجد في رحله السرقة، أو جزاء السرقة للصواع أخذ من وجد في رحله، أو جزاء سرقة الصُّوع الذي وُجد في رحله، أي: ذاته هي جزاء السرقة، يعني " أن ذاته تكون عوضاً عن هذه الجريمة؛ بأن يصير رقيقاً لصاحب الصواع ليتم معنى الجزاء بذات أخرى.⁴¹¹

وقد يكون قوله " جزاؤه" خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: المسئول عنه جزاؤه، حيث أفتوا بقولهم: 'مَنْ وُجِدَ في رحله فهو جزاؤه'، وفيه فائدة إظهار الإضمار، والمعنى: أنه حكاية نهاية قول السائل، وكأنه ابتداءً بالجواب بآخر كلمة قالها السائل، ويكون قوله " من وجد " بيانا وشروعا في الفتوى، وقيل: إن الجملة من الخبر والمبتدأ المحذوف على معنى الاستفهام الإنكاري؛ وذلك لظهور جوابه.⁴¹²

و قد أفاد الاختلاف في الإعراب والمعنى معرفة وجوها متنوعة للمعاني الوافرة للقرآن الكريم كما يعلن ذلك أن الآيات القرآنية تحمل رسالات شامخة في تراكيب آياتها و يلقي فكريات غير قليلة بألفاظ قليلة وأنه من المعجزات الإلهية للقرآن الكريم. ولا يعارض شيء من هذه الاختلافات المعنوية في أساس الواقعات التاريخية غير أنها تورث معنى جديدا يوافق لكل التعاليم الدينية الحميدة .

المبتدأ حين يتأخر:-

" خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشًّا وَهُمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ " ⁴¹³

⁴¹¹ فتح القدير للشوكاني 3\43، التفسير الكبير 18\184، الجامع لأحكام القرآن 5\211

⁴¹² روح المعاني 7\27، الكشاف 2\462

⁴¹³ القرآن الكريم سورة البقرة 8

و كلمة " غِشَاوَةٌ " في هذه الآية مبتدأ مؤخر لما أن معنى الآية يصرح بذلك. وذلك بأن الله سبحانه وتعالى استعمل كلمة " غِشَاوَةٌ " كأنها صفة لقوله 'البصر' فقط في غير هذا الموضع عندما تأتي مع صفة السمع والفهم. وهو كما يظهر في سورة الجاثية " وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً "414

ومن القراء من قرأ هذه الكلمة بنصبها حيث جعلوها منصوبة بفعل 'جعل' حيث قدروا " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة " ، ثم أسقط جعل إذ كان ما يدل عليه في أول الكلام. وهناك وجه آخر لمن ينصبها ، هو أنها نصبت بنزع الخافض حينما نقدر " ختم على قلبه غشاوة " فلما حذف الحرف وصل الفعل ، فالمعنى ختم عليه بغشاوة كما جعل على بصره غشاوة " .

العطف وواو الصرف:-

" وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "415

اختلفت آراء النحاة في إعراب " وتكتموا " في هذه الآية ، بعضهم يقولون بأنها مجزومة على أنها عطف على قوله تعالى " لا تلبسوا " فيكون المعنى " إن الله عز وجل نهى أهل الكتاب والكافرين عن أمرين؛ خلط الحق بالباطل ، وكتمان الحق. والبعض يقول إنها منصوبة ، ووجه النصب يحمل وجهات متنوعة .

414 القرآن الكريم سورة الجاثية 23

415 القرآن الكريم سورة البقرة 42

الوجه الأول: نصبها بإضمار 'أن' والواو بمعنى الجمع ، فالمعنى على هذا " أن الله تعالى نهاهم عن الجمع بين الفعلين -الخلط والكتمان- فيجوز لأحدهم أن يقوم بفعل واحد منهما ، والمعنى التقديري " لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه " وهذه هو رأي البصريين .

الوجه الثاني: إن المعنى في حال النصب ليس الجمع بين الفعلين ، وإنما هم إخبار عما يفعل الكافرون من كتمان الحق. والذي يقوله الإمام الطبري " ويكون قوله 'وتكتموا الحق' خبرا منه عنهم بكتمانهم الحق الذي يعلمونه، فيكون قوله "وتكتموا" حينئذ منصوبا لانصرافه عن معنى قوله 'ولا تلبسوا الحق بالباطل' إذ كان قوله 'ولا تلبسوا' نهيا و'قوله 'وتكتموا الحق' خبرا معطوفا عليه، وهو غير جائز أن يعاد عليه ما عمل في قوله 'تلبسوا' من الحرف الجازم، وذلك هو المعنى الذي يسمونه النحويون صرفا، وهذا مذهب الكوفييين .

والذي يظهر لنا أن الواو فيه لا تدل على الجمع وإن كانت عاطفة . قال الإمام الفراء " فإن قلت 'وما الصرف؟' قلت 'أن تأتي بالواو معطوفةً على كلام في أوله حادثة لا يستقيم إعادتها على ما عطف عليها فإن كان ذلك فهو الصرف"

الوجه الثالث: إن الفعل منصوب لأنه جواب النهي ، وإن كان هناك دعوى وجود الواو ، يعنى كيف يكون ذلك جوابا للنهي مع وجود الواو.

ومثل هذه الآية نرى آيات أخرى نحو:-

" وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "416، وفي آية " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "417

الوجوه المختلفة في البديل:-

" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "418

يحلل الإمام الطبري قوله سبحانه وتعالى " قتال فيه " في هذه الآية تحليلاً واسعاً حيث يبين بأن قوله تعالى "قتال فيه " " قتال " بدل عند سيبويه بدل اشتمال ؛ لأن السؤال اشتمل على الشهر وعلى القتال ، أي يسألك الكفار تعجباً من هتك حرمة الشهر ، فسؤالهم عن الشهر إنما كان لأجل القتال فيه . قال الزجاج : المعنى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام .

وهناك بعض من النحاة الذين يذكرون بأن 'عن' يرجع إلى 'قتال فيه' ، فيكون المعنى " يسألونك عن الشهر الحرام وعن قتال فيه " ، وهكذا قرأ ابن مسعود ، فيكون مخفوضاً بعن على التكرير ، قاله الكسائي . وقال الفراء : هو مخفوض على نية عن . وقال أبو عبيدة : هو مخفوض على الجوار . ولكن قال الإمام النحاس : لا يجوز أن يعرب الشيء على الجوار في كتاب الله ولا في شيء من الكلام ، وإنما الجوار غلط ، وإنما وقع في شيء شاذ ، وهو قولهم : هذا جحر ضب خرب ، والدليل على أنه

416 القرآن الكريم سورة البقرة 188

417 القرآن الكريم سورة الأنفال 27

418 القرآن الكريم سورة البقرة 217

غلط قول العرب في التثنية: هذان: جحرا ضب خربان، وإنما هذا بمنزلة الإقواء، ولا يجوز أن يحمل شيء من كتاب الله على هذا، ولا يكون إلا بأفصح اللغات وأصحها.

وقرأ الأعرج: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه" بالرفع. قال النحاس: وهو غامض في العربية، والمعنى فيه يسألونك عن الشهر الحرام أجاز قتال فيه؟ فقوله: "يسألونك" يدل على الاستفهام، كما قال امرؤ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

والمعنى: أترى برقاً، فحذف ألف الاستفهام؛ لأن الألف التي في "أصاح" تدل عليها وإن كانت حرف نداء، كما قال الشاعر:

تروح من الحي أم تبتكر، والمعنى: أتروح، فحذف الألف لأن "أم" تدل عليها.

معنى أئى في الآية:-

"نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُواهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" 419

وكلمة "أئى" في الآية تحمل معان عديدة في آراء النحويين. الرأي الأول أن تكون 'أئى' بمعنى 'كيف' فالمعنى "يأتيها كيف شاء ما لم يأتيها في دبرها أو في الحيض".

والرأي الثاني أن تكون أئى بمعنى "من حيث" أو "أئى وجه"، فالمعنى "من أي وجه شئتم".

والرأي الثالث أن تكون أئى بمعنى "متى شئتم"، ويقول الإمام الرازي هذا المعنى بقوله "أئى وقت شئتم من أوقات الجل"، يعنى إذا لم تكن أجنبية أو محرمة أو صائمة أو حائضا

والرأي الرابع أن تكون أُنَى بمعنى 'أين شئتم' ولكن هذا المعنى محدود بالصور الجائزة فقط.

والرأي الخامس أن تكون أُنَى بمعنى "العزل" وقد أورد الإمام الطبري في هذا المعنى حديثين، الأول عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه في قوله تعالى ' فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أُنَى شِئْتُمْ ' معناه " إن شئتم فاعزلوا وإن شئتم فلا تعزلوا". والثاني عن ابن عباس رضي الله عنه قال " إن شئت فاعزل وإن شئت فلا تعزل "

تقدير المحذوفات في القرآن الكريم

وكثيراً ما يوجد في القرآن أمثلة باهرة لتقدير المحذوفات من جوانب بعض الآيات، وذلك لفوائد عظيمة يبينها المقام ولعلت المحذوفات من الأسماء أو من الأفعال أو من الحروف أو من بعض الجمل نفسه.

وقد يقدر فعلاً محذوفاً في قول الله سبحانه وتعالى " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ "420. والمعنى الذي يقدر في هذا المقام "فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم". و أداة الشرط التي في هذه الآية دليل عليه، أما التفصيلية، التي تستدعي جواباً في حال أنه يقترن بالفاء يفصل أحوال الكفار ويشرحها، كما أن قوله تعالى «كفرتم» لاتصلح أن تكون جواباً لها، حيث أنه دليل كأنها قرينة سياقية تدل على تقدير المحذوف خدمة للمعنى . ومثل هذا التقدير الذي نراه في قول الله تعالى " جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ "421. وهنا يقدر المعنى " يقولون : سلام عليكم" وهذا لما أن "سلام عليكم" تحية من الملائكة و لا تصلح إلا أن تكون مقول قول لفعل حذف . والمثال الآخر لمثل هذه المحذوفات من

420 القرآن الكريم آل عمران 106

421 القرآن الكريم سورة الرعد 23

القرآن الكريم "قوله تعالى : " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "422. ويقدر هنا أيضا فعل مقول قول النبيين " يقولان: ربنا تقبل منا". وهذا لما أنه يظهر لنا قوله تعالى "ربنا" دعاء لا يمكن إلا أن يكون منطوقاً به من قبل إسماعيل وأبيه عليهما السلام.

حذف المفعولين

قوله تعالى " فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى "423 والمعنى المقدر "غشاهها إياه"، فحذف المفعولين جميعاً له على جهة التوسع، كما في قوله تعالى " وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ " " إذ جعل الله الدعاء إلى أمره دعاء له والمعنى على تقدير محذوف والمعنى: وأنا أدعوكم إلى أمر العزيز الغفار "

تقدير الجار والمجرور

نفهم بأنها قد قدرت النحاة الجار والمجرور في عدة مواضع في القرآن الكريم، إما أن يكون معا أو أحدهما فقط. ومن أمثلة ما حذف الجار أو المجرور قول الله سبحانه وتعالى " كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "424، ويمكن أن يقدر هنا حرف الباء، واللام في حال أنه أن يكون المعنى على تقدير أحدهما، ويكون التقدير وتعالى "كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا لأنهم لا يؤمنون\ بأنهم لا يؤمنون" فالمعنى على أن المقدر المحذوف هو لام التعليل "وأنهم استحقوا ما فعل بهم لعدم إيمانهم"، كما أن المعنى بأن المحذوف هو الباء "حقت كلمة ربك ... بأنهم لا يؤمنون، وكأنه أن المعنى أن كلمة ربك حقت وثبتت على الفاسقين في حال كونهم غير مؤمنين، ولهذا

422 القرآن الكريم سورة البقرى 127

423 سورة النجم 54

424 القرآن الكريم سورة يونس 33

قدر بأن حرف الباء هو المحذوف للتوصل إلى هذا المعنى المراد، استناداً إلى قرينة الصيغة في الآية، وهي كون همزة أن مفتوحة، وذلك يعطيها معنى نحوياً آخر له دور في المعنى العام في الآية .

و كذا نرى حرف الجر محذوفاً مع المفعول في آية " إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " ⁴²⁵. و فعل 'يخوف' يطلب مفعولاً محذوفاً له، ويقدر حرف الباء أيضاً محذوفاً معه معتمداً على معنى الاستعانة الذي يفيد حرف الباء، واستناداً إلى قرينة الصيغة وهي الفعل يخوف الذي يتعدى بنفسه ، و يكون المعنى المنشود على ذلك " الشيطان يخوفكم بأوليائه، أي مستعيناً بهم"، و نرى هذا الأمر نفسه في قول الله تعالى في سورة الكهف " قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا " ⁴²⁶. و إن المعنى المقدر "لينذركم بأساً شديداً، لأن البأس لا ينذر وإنما ينذر به " وهذا المعنى اكتسب من تقدير حرف الباء الذي يفيد الاستعانة .

وحذفت لام التعليل في آية قرآنية كريمة قبل 'أن' الناصبة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلُوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " ⁴²⁷ وفي جملة " ولا يجرمنكم شنان قوم لأن صدوكم" حذفت اللام على التعليل، وبالتالي يستلزم الأمر تقدير حرف اللام محذوفاً، لأن اللام هي التي تفيد هذا المعنى، فيكون المعنى " ولا يجرمنكم شنان قوم لأن صدوكم "

اختلاف في تقدير الحروف الجارة

⁴²⁵ القرآن الكريم سورة آل عمران 175

⁴²⁶ القرآن الكريم سورة آل الكهف 12

⁴²⁷ القرآن الكريم سورة الأحزاب 50

إذا ارتفعت آراء مختلفة بعد استقرار آراء المفسرين أو النحويين في حذف حرف جر في تركيب آية من آي القرآن الكريم، فحقاً أن يكون تغير في إثارة المعاني المتنوعة في تلك الآية، كما نشاهد ذلك في قوله تعالى **وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ مِنْ آيَةٍ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتُ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يُكَونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا "**

ويقول المفسرون أن الجارة التي حذف في هذه الآية هي حرف 'في' قبل 'أن'، فيكون المعنى " لا جناح عليه أن ينكحها في أن وهبت نفسها، أي لا جناح عليه في هبتها نفسها ". والمعنى الاصطلاحي الذي في هذه الآية أن الأمر يخص بامرأة واحدة أهدت نفسها للنبي ﷺ، وهو مما يباح لها العمل به ومما لا جناح على الرسول صلى الله عليه وسلم قبوله أيضاً. وحرف 'في' هي التي أدت ذلك المعنى الذي يجوز القيام بذلك الزواج المشار إليه في الآية، ولذلك استعملت في كحرف مقدر محذوف .

وإننا نجد بعض المفسرين يقولون بأن المحذوف المقدر هنا كحرف جر هو لام التعليل، فالمعنى على ذلك " لا جناح عليه، لأن وهبت نفسها وكأن كونها حلالاً لهبتها نفسها"، وكأنه بذلك المعنى أحسن بالنسبة إلى المعنى في قراءة الجمهور بكسر 'إن' التي تدل على أن المعنى في الآية يخص كل امرأة كانت، تهب نفسها للرسول "

وكذا المعنى في قوله تعالى " تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًّا " ⁴²⁸ " على تقدير لام التعليل محذوفة؛ لأن المعنى على أن: دعوتهم للرحمن ولدًا علة هد الجبال، والمعنى: وتخِر الجبال هذا لأن دعوا للرحمن ولدا .

" وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " ⁴²⁹. يفهم أن المعنى هنا على تقدير حرف الباء الجارة، ويكون المعنى " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات " ، لما أننا نعلم أن الفعل "بشر" يتعدى بالباء، وذلك قرينة على تقدير الحرف المحذوف " .

و حرف الجر 'تبين أثرها في تأدية المعنى في آية " أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى " حيث ذهب أكثر النحاة إلى أن المعنى هو: استشهدوا امرأتين لأن تذكر إحداهما الأخرى، ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرى " كما يرى ذلك الأئمة مثل سيبويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم " ، وهو تقدير اللام محذوفة. وتقدير هذا اللام للتعليل هو الذي يثير معنى جليا لبيان العلة في الاستشهاد. فاستشهاد المرأتين من أجل التذكير. وهذا ما بين الإمام الزجاج في كتابه ⁴³⁰.

تقدير الفعل المحذوف

وكثير ما يحذف الفعل من التركيب حتى يقدر معناه من السياق أو من القرائن اللفظية أو المعنوية، وأمثله غير قليلة في القرآن الكريم كما نرى في آية " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ

⁴²⁸ القرآن الكريم سورة مريم 93

⁴²⁹ القرآن الكريم سورة البقرة 25

⁴³⁰ معاني القرآن وإعرابه : الزجاج، 1/365

فِيهِمَا إِنَّكُمْ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ "431 كلمة "ويسألونك ماذا ينفقون" "قل العفو" والمعنى المقدر من الفعل المقدر هنا "قل: ينفقون العفو" حيث تقدم ذكر الفعل "ينفقون" فصار قرينة على تقدير ذلك الفعل في قوله تعالى "ويسألونك ماذا ينفقون".

وكذا نشاهد مثالا آخر في قول الله سبحانه و تعالى "إلا بحبل من الله" في آية " ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ "432، ولا يتم معنى هذه العبارة إلا بتقدير الفعل المحذوف والمعنى المقدر "إلا أن يعتصموا بحبل من الله"، وذلك لأن المعنى يوجب هذا التقدير، لما أن الاستثناء متصل، وأن الذي يتضح من قول الله تعالى بأن ليس لهم مخلص آخر من الذلة التي عالق بهم إلا أن يعتصموا بحبل من الله .

لما أن المبتدأ يحتاج إلى خبر والفعل يحتاج إلى فاعل و حروف العطف تحتاج إلى ما عطفت عليها، لا بد لمن يمارس التراكيب القرآنية إلا أن يلتجأ إلى تقديرات في حال أن لم يجد ملائم هذه المذكورات. فالفعل "يقال" يقدر في آية " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ "433 والمعنى: 'فيقال لهم أكفرتم' . وذلك لأن 'فأما' تحتاج إلى خبر أو جواب فيه معنى التوضيح و البيان لها لما أنها أداة تفصيلية شارحة . ومثل هذا التقدير نراه في قوله تعالى "والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم" من آية " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ "434. والمعنى المقدر " والذين

431 القرآن الكريم سورة البقرة 219

432 القرآن الكريم سورة آل عمران 112

433 القرآن الكريم سورة آل عمران 106

434 القرآن الكريم سورة الزمر 3

اتخذوا من دونه أولياء يقولون ما نعبدهم " باعتبار أن قوله تعالى 'الذين' مبتدأ يحتاج وجوبا إلى خبر، وقوله " ما نعبدهم " لا يصلح أن يكون كذلك. ولهذا كان لا بد من تقدير خبر فقوله " ما نعبدهم " تدل على تقدير كلمة " القول " محذوفاً لأنها تحمل توجيهاً وتبريراً لعبادتهم للأصنام من دون الله تعالى .

نرى قول الله جل وعلا حيث يقول " ولو شاء الله لجمعهم على الهدى " من آية " وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ " ⁴³⁵. والمعنى في حال تقدير الفعل المحذوف " ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم ". وقول الله عز وجل " ولو شاء لهداكم أجمعين ". والمعنى المقدر في نية الفعل المحذوف " ولو شاء أن يهديكم أجمعين لهداكم " لدلالة المذكور في أول الجملة على تقدير المفعول المحذوف، فكان قرينة على التقدير، كما أن قرينة الصيغة -وهي الفعل المتعدي- كانت قرينة على التقدير أيضاً .

وكذلك نرى كثيراً من الأمثلة الباهرة في القرآن الكريم مثل الآيات نحو :- " ولو نشاء لقلنا مثل هذا " في آية " وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " ⁴³⁶. والمعنى: " ولو نشاء أن نقول مثل هذا لقلنا " وكذا " فإن يشأ الله يختم على قلبك " من آية " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ". والمعنى: " فإن يشأ الله أن يختم على قلبك يختم ". وقوله تعالى: " ومن يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم "، والمعنى " من يشأ الله ضلّالته يضلله

⁴³⁵ القرآن الكريم، سورة الأنعام، 35

⁴³⁶ القرآن الكريم، سورة الشورى، 24

ومن يشأ أن يجعله على صراط مستقيم يجعله"، أو من يشأ هدايته يجعله على صراط مستقيم، وذلك بدلالة الفعل المتعدي، ودلالة المذكور على تقدير المحذوف .

تقدير الفعل في المدح والاختصاص

بم نصب كلمة "قرآن" في آية " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ " ⁴³⁷ والذي يرى النحويون أن النصب على المدح، فيكون المعنى بفعل مقدر كأنه حين ذكره أقبل على مدحه، فقال " ذكرنا قرآنًا عربيًّا بشيرًا ونذيرًا أو ذكرناه قرآنًا عربيًّا " . وقول الله جل وعلا قبل ذلك " تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ... " يعلن بأن المحذوف كون ذلك الفعل.

تقدير الفعل وفق ما يطلب المعنى

وقد يقدر الفعل حسب ما يرى في المقام مناسباً للمعنى في الآية، وهذا الذي نرى في قوله تعالى " فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ " ⁴³⁸. يمكن أن يقرأ هنا برفع كلمة " فعدة " ونصبها أيضا. فيقدر هنا محذوفاً على قراءة الرفع، كما يقدر فعلاً محذوفاً على النصب، وإن لم يقرأ به. فنقول " فعليه عدة " بإعطاء الرفع، كما يمكن أن ننصب تلك الكلمة بتقدير فعل " فليصم عدة "، إلا أنه لم يقرأ بالنصب ⁴³⁹.

وذلك لأن الكلمة تستلزم تقدير المحذوف وتجذب إليه، لأن التركيب تركيب شرطي قد اتصل بجوابه الفاء التي تطلب من أن يكون ما بعدها خبراً أو جواباً، وبما أن المرفوع بعدها لا يصح أن يكون جواباً وحده، ولذلك لزم أن يقدر له خبر وهو الجار والمجرور المقدر "فعليه"، لأن المعنى

⁴³⁷ القرآن الكريم، سورة فصلت 3،4

⁴³⁸ القرآن الكريم، سورة البقرة 184

⁴³⁹ معاني القرآن 1\169

الذي ينبعث من السياق على الإلزام. وفي حال نصب كلمة " العدة " أنها تطلب وجود ناصب يصرح معنى الإلزام الذي يقتضيه الجواب، فيكون الفعل " فليصم " يصلح لأن يكون هو الناصب المختار الذي يؤدي ذلك المعنى المطلوب. وعلاوة على ذلك أن ما قال الله سبحانه وتعالى عن موجبات الإفطار في الصيام وغيرها قد أشارت إلى تقدير هذا الفعل نفسه .

وكذا نرى في قوله تعالى " فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ " ⁴⁴⁰. فيكون المعنى على تقدير الفعل، لما أن الآية السابقة أيضا تشير إلى ذلك ، ونقول في حالة التقدير " صلوا رجالاً أو صلوا ركبان " وفي قوله تعالى " لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " من آية " الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " ⁴⁴¹

وهنا نرى خروج المعنى فيه على تقدير فعل رافع لكلمة الصلوات، والمعنى: وتركت صلوات، لما أن من المعلوم أن الصلوات لا تهدم فلا بد إلا أن تحمل إلا على فعل آخر وإنما يصلح هذا التقدير بناء على أن الصلوات جمع لكلمة الصلاة التي هي من أركان الإسلام الخمسة، وقد ذهب بعض من المفسرين إلى أن الصلوات هنا ليست جمع بل هي اسم لكتائب اليهود، أو بيوت للنصارى ، حيث يصلون فيها في أسفارهم، كما ذهب بعض منهم إلى أنها معابد الصابئين، وبهذا المعنى لا تكون الآية في تقدير ما أوضحنا وبل تكون على ظاهرها بدون تقدير فعل، حيث تكون معطوفة على ما قبلها .

المفعول به حينما يقدر

⁴⁴⁰ القرآن الكريم، سورة البقرة 239

⁴⁴¹ القرآن الكريم، سورة الحج 40

لما أن المفعولات من فضليات الكلام فكثيرا ما تحذف في الكلام العربي كما نشاهد أمثلتها الباهرة في الآيات القرآنية. ففي آية "منهم من كلم الله" من آية "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَوَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ" ⁴⁴²، يقدر مفعولاً به، كما أن المعنى يكون "منهم من كلمه الله". وذلك بفهم أن فعل "كلم" فعل متعد يحتاج إلى مفعول به، حيث أن كلمة "من" المذكورة قبلها تدل على أن نحتاج إلى تقدير المفعول به، وهو الهاء التي حذفت.

ومثل هذا ما نراه في قول الله سبحانه وتعالى "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" ⁴⁴³. والمعنى عند تقدير المحذوف المفعول به، لا تحسبن البخل هو خيراً لهم، والذي أوصلنا إلى تقدير هذا اللفظ التقدير، ذكر الحسبان، وذكر ما آتاهم الله في الآية، فكأنهما قرينتان على تقدير البخل، ولعل ذكر الفعل يبخلون هو القرينة التي تدل على لفظ "البخل" لأن يقدر، لما أنه مفعول أول للفعل، وذلك لأنه أكثر دلالة تدل على المحذوف من ذكر الحسبان، وذكر ما آتاهم الله من فضله".

وقوله تعالى "إني أسكنت من ذريتي بواد" في آية "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" ⁴⁴⁴ والمعنى أسكنت من ذريتي أناساً وفعل أسكنت فعل متعد يحتاج إلى مفعول، حيث أن هذه الحاجة تشير إلى أن المفعول به قد حذفت من هناك. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن من فيها للتبعيض، والمعنى أسكنت بعض ذريتي، يعني إسماعيل وأمه وعليه لا يحتاج الفعل

⁴⁴² القرآن لاكميم ، سورة البقرة 253

⁴⁴³ القرآن لاكميم ، سورة آل عمران 180

⁴⁴⁴ القرآن لاكميم ، سورة إبراهيم 37

إلى تقدير مفعول، كما جوز بعضهم أن تكون من زائدة والمعنى: أسكنت ذريتي ولا شك أن كون «من» للتبعيض أقرب للمعنى والواقع⁴⁴⁵.

ومن الآيات التي صارت في قبيل تأويلهم قوله تعالى: " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ " ⁴⁴⁶ حيث ذهب النحاة والمفسرون إلى أن المعنى الحقيقي في هذه الآية يكون على تقدير مفعول به محذوف، حيث يقال في تقديره " لو شاء الله أن يلجئهم إلى الإيمان ويجمعهم على الهدى ما أشركوا " كما نرى ما يناسبه في آية " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ " حيث يكون المعنى " لو شاء الله أن يحملهم على خلاف ما فعلوه "

تقدير الفاعل :

وقد يحذف الفاعل أيضا من الآيات القرآنية لأغراض لغوية أو معنوية كما نشاهد ذلك في قوله تعالى: " فزادهم إيمانا " من قوله تعالى في آية " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " ⁴⁴⁷. والمعنى المقدر هنا في تقدير الفاعل، فزادهم قولهم إيمانا، وذلك لما دل الكلام السابق في هذه الآية نفسها على الفاعل المحذوف . وهو الذي ما يقوله الله سبحانه وتعالى 'الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم' . لما أنه لا يجوز الحذف اعتباطاً نحتاج إلى فهم قرينة تدل على المحذوف حتى يؤدي التركيب حقيقة المعنى التي تهدف هذه الآية الكريمة .

ومثل هذا ما نرى في "وساءت مرتفقا " من آية سورة الكهف " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا

⁴⁴⁵ تفسير القرطبي 371\9

⁴⁴⁶ القرآن الكريم، سورة الأنعام، 107

⁴⁴⁷ القرآن الكريم، سورة آل عمران 173

بِمَاءٍ كَأَلْمُهِلٍ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِنُسِ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا⁴⁴⁸. والمعنى حينما نقدر الفاعل، " ساءت الدار مرتفقا لما أن الذي ذكر قبل ذلك كلام عن اليوم الآخر، وكلام عن الجهنم التي تسمى الدار الآخرة، ولذلك وصل التقدير إلى كلمة 'الدار' "

وقد حذف الفاعل في قوله تعالى: " كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " ونقول حينما يقدر 'كبر مقتكم مقتا'. ولعل المعنى على هذا "أن قول الإنسان ما لا يفعل هو المقت بعينه"، ولعل عبارة "أن تقولوا ما لا تفعلون" يكون خبرا لمبتدأ محذوف حينما نقدر سؤالا "ما المقت؟" فيجاب "هو أن تقولوا ما لا تفعلون" على أن الجملة تفسيرية "

تقدير المضاف :

وحينما نحلل الآيات القرآنية وتفاسيرها نرى كثيرا من المفسرين والنحويين الذين يمارسون الآيات القرآنية، يقدرون مضافات محذوفة عديدة لتأويل بعض الآيات التي تخالف أصولاً دينية حنيفية. ومن الأمثلة القرآنية التي يقدر فيها المضاف قوله تعالى " لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " وحينما يقدر المضاف نقول " لكن البر بر من آمن "

و قوله تعالى: "وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم" في آية " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا ۗ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " وهنا أيضا يقدر مضافاً محذوفاً والمعنى المقدر على ذلك

" وأشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم"، لأن من المعلوم أن العجل لا يشرب، كما في قول الله تعالى: " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا"⁴⁴⁹ والتقدير " واسأل أهل القرية "

ومن أمثله قوله تعالى: " شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم " من آية " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ رَزَقْتُمَا لَآ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ". والمعنى المقدر، " شهادة بينكم شهادة اثنين، ولكننا نرى أن كلمة اثنان هنا مرفوع، وذلك لما حذفنا كلمة الشهادة التي هي المضاف ارتفعت كلمة 'الاثنان' وقام مقامها قياساً على قيام كلمة 'القرية' محل المحذوف في قوله تعالى "واسأل القرية "

وتقدير المضاف المحذوف في قول الله جل وعلا في قوله تعالى " فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ " ⁴⁵⁰ والمعنى : كراهة أن تكونا ملكين، قياساً على قول من قال : إياك أن تفعل، والتقدير : كراهة أن تفعلوا ذلك لأن المضاف إليه وهو " أن تكونا" يتطلب وجود هذا المقدر، ويستلزمه لأن النهي عن الشجرة إنما كان كراهة كونهما ملكين ⁴⁵¹.

تقدير الجار والمجرور

نجد في القرآن الكريم عديدة من الآيات التي تقدر فيها الجار والمجرور كما نفهم ذلك من الآية مثلاً في قوله تعالى " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا

⁴⁴⁹ القرآن الكريم، سورة يوسف، 82

⁴⁵⁰ القرآن الكريم، سورة الأعراف، 20

⁴⁵¹ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي 259

عَلَى الظَّالِمِينَ " ⁴⁵² فالجار المجرور الذي يقدر هنا "منهم". أي " فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين منهم"، وإنما الذي يقدر هنا على مثل هذه الصورة لأنه وإن قال 'إن انتهوا' إلا أنه لا يعني أنهم ينتهون جميعاً، فهناك من ينتهي، فكأنه قال: إن انتهى بعضهم فلا عدوان إلا على الظالمين منهم ⁴⁵³، فالمعنى يستلزم تقدير المحذوف، لأن الذين ينتهون لا عدوان عليهم .

والجار المجرور الذي حذف في آية " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آتِبِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " ⁴⁵⁴ والمعنى المقدر هنا "إلا في نجوى من أمر بصدقة". يقول الإمام القرطبي في تفسيره سببا لتقدير الجار والمجرور قائلاً " لأنه يرى أن النحوي مصدر نجوت الشيء أنجوه، وعليه يكون الاستثناء منقطعاً، أي من غير جنس المستثنى منه، ولهذا قدر الجار والمجرور محذوفين وجعل من مضافة في محل جر، وكأنه يرى أن الوقف على قوله " نجواهم"، ثم يستأنف: إلا في نجوى من أمر بصدقة ⁴⁵⁵.

ولا بد للمفسرين أو النحويين إلا أن يقدروا جارا ومجرورا في آية " فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا " ⁴⁵⁶ فيكون المعنى بهذا التقدير " فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً عن الكفار أو عن الملائكة " إلا أن بعضاً من النحويين يفضل تقدير "عن الكفار" بدليل القرينة المذكورة في الآية وهي قوله تعالى: "ومن يظلم منكم" وذلك في دعوى من يدعي أن المخاطب بقوله " ومن يظلم" الملائكة .

⁴⁵² القرآن الكريم، سورة البقرة 193

⁴⁵³ معاني القرآن، 1/174

⁴⁵⁴ القرآن الكريم، سورة النساء 114

⁴⁵⁵ تفسير القرطبي 5\383، 382

⁴⁵⁶ القرآن الكريم، سورة الفرقان 19

يقول العالم بشيرة على الفرج العشيبي في كتابه أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي " والملاحظ عليه أنه يفضل أن يكون المقدر 'عن الكفار' استناداً إلى القرينة المذكورة في الآية، واستناداً إلى أن الحذف في القرآن الكريم ليس اعتباطاً، بل إن القرائن المذكورة والمعنوية في الآيات محل التقدير، هي الدليل على التقدير. وعليه فإن الواو في يستطيعون ضمير الآلهة المعبودة من دون الله، الله تعالى، أخبر فيها أن هؤلاء الآلهة لا يستطيعون صرفاً ولا نصراً عن الكفار الذين يعبدونهم من دون الله تعالى، حين نجد بعض المفسرين يرون أن الضمير للكفار، والمعنى: فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون صرفاً للعذاب، ولا نصراً من الله أو أن المعنى: فما يستطيعون لكم صرفاً عن الحق الذي هداكم الله إليه، ولا نصراً لأنفسهم مما ينزل لهم من العذاب بتكذيبهم إياكم "457

والجار والمجرور المحذوف يورث معنى الإلزام والإيجاب بعد حذفه أيضاً في حال أنه يقدر المحذوف مثاله " أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۚ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۗ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "458 وبعد التقدير نرى "فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعليه عدة من أيام أخر". لأن المعنى على الإلزام في قضاء الأيام التي أفطرها المريض، والذي أدى ذلك المعنى هو الجار والمجرور. ويقوي معنى الإلزام بعض من العناصر الجمالية أحدها كون المبتدأ والخبر مقدماً عليه، وثانها ربط جملة الجواب بجملة الشرط بالفاء وثالثها مجيء الجواب جملة اسمية تعني الثبوت والدوام على قضاء الأيام التي أفطرت .

457 أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي - 260

458 القرآن الكريم، سورة البقرة 184

وكذا المعنى على الإلزام في قوله تعالى " فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ " ⁴⁵⁹. والتقدير فعليه فدية من صيام ، وكذلك نجد معنى الإلزام والوجوب حيث يقدر " فعليكم " خيراً للمبتدأ المحذوف في قوله تعالى " وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " ⁴⁶⁰ والمعنى على التقدير " وإن طلقتموهن فعليكم نصف ما....."

تقدير الخبر

يقدر الخبر ناظراً إلى قاعدة أن كل مبتدأ يحتاج إلى خبر، والأمثلة التي يظهر فيها هذا الحذف والتقدير كثيرة في القرآن، حيث أن معنى المضمون أيضاً يطلب التقدير كما في قول الله سبحانه وتعالى " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ " ⁴⁶¹. يرى المفسرون أن المعنى هنا على إضمار خبر ذلك، والمعنى " ذلك معلوم لهم بأن الله نزل الكتاب " .

ويأتي المعنى والتقدير على هذا حينما نفهم بأن المشار إليه بذلك هو كلمة "العذاب" في قوله تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ " ⁴⁶². وهي تكون على هذه الوجهة ابتداء جملة جديدة خبرها محذوف تقديره معلوم لهم بتنزيل الله الكتاب بالحق، كما أن قوله تعالى " بأن الله نزل الكتاب بالحق " قرينة تدل على تقدير الخبر، وتكون الباء هنا على هذا التقدير ظرفية .

⁴⁵⁹ القرآن الكريم، سورة البقرة 196

⁴⁶⁰ القرآن الكريم، سورة البقرة 237

⁴⁶¹ القرآن الكريم، سورة البقرة 176

⁴⁶² القرآن الكريم، سورة البقرة 175

و كذلك الخبر نراه مقدرًا محذوفًا في هذه الآية " فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءِ
إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ " ، و عند تقديره نقول " فعليه اتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان .

و لم رفعت كلمة 'حور' في ضمن هذه الآيات في سورة الواقعة " يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ،
بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفُونَ ، وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ
مِّمَّا يَشْتَهُونَ ، وَحُورٌ عِينٌ " .⁴⁶³ من المعلوم أن الحور العين لا يطاف بهن طواف بالصورة التي
ذكرت في الأشياء التي بينت قبلها ، فلذا التجأنا إلى تقدير خبر مقدم قبل تلك الكلمة و يكون المعنى
المقدر على هذا "وعندهم حور عين"

تقدير جواب الشرط

في بعض من الأحيان يلتجأ النحويون إلى القول بأن جواب الشرط محذوف حسب ما
يقتضيه السياق كما نشاهد ذلك في آية " وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْجَاهِلِينَ " ⁴⁶⁴ والجواب المحذوف المقدر هنا " فافعل " . وهذا لما أن سياق الآية قرينة تدل على
المحذوف . وقد يحذف الجواب لغرض بلاغي لا يحصل ذلك إلا بالحذف كما نرى مثاله في آية " وَلَوْ
تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " ⁴⁶⁵ وحذف
الجواب في الآية يجعل أذهان القراء والسامعين تتطرق إلى أجوبة عديدة ، حيث ترفع من شدة شأن
هول العذاب والعقاب الذي يواجهه الكفار في يوم القيامة ، وهذه الحالة المذهلة لا يصل إلى

⁴⁶³ القرآن الكريم ، سورة الواقعة 17-22

⁴⁶⁴ القرآن الكريم ، سورة الأنعام 35

⁴⁶⁵ القرآن الكريم ، سورة الأنفال 50

المخاطبين إذا ذكر هنا الجواب حيث ينحصر الذهن في إدراك جواب واحد مذكور ولا يتصور في الذهن غيره.

وقد حذف الجواب في غير واحد من الأمكنة لما أن مثل هذا الموضع قد ورد في مكان آخر في القرآن ، مثاله ما ورد في سورة البقرة " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ" ⁴⁶⁶. وإنما فسر على ترك الجواب، لأنه ذكر في القرآن كثيراً فاستغني عنه في هذا الموضع لمعرفة معناه. وكان ذكره في القرآن كثيراً قرينة على تركه في هذا الموضع .

ويحذف الجواب لطول الكلام أيضا كما في قوله تعالى " وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمُوتَىٰ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ " ⁴⁶⁷. والمعنى : لو سيرت الجبال بقرآن غير هذا، لكان هذا القرآن ستسير به الجبال .

وبالتحليل الدقيقي في الآيات القرآنية بالنسبة إلى المعاني النحوية نفهم بأن المحذوفات المقدره في القرآن كانت من وجود قرائن دالة على المحذوفات حيث يتطلب المقام إلى حذفها. وإن لم يوجد دافع يطلب من الحذف كأمر ضروري في ذلك المقام لا يحذف ولا يقدر شيء.

تقدير المبتدأ :

⁴⁶⁶ القرآن الكريم، سورة البقرة 93

⁴⁶⁷ القرآن الكريم، سورة الرعد 31

إنه ليس من القليل ما يخرج النحاة الكلام في القرآن الكريم على حذف مبتدأ فيقدره حسبما يراه مناسباً للمعنى في الآية محل التقدير، وذلك لما يوجد بعض الأسماء المرفوعة التي يرون أنها خبر ولهذا لا بد من تقدير المبتدأ حتى يتم التركيب الذي يراه النحويون لتكملة الجملة الصحيحة. وذلك كما نرى في قول الله سبحانه وتعالى " الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ " ⁴⁶⁸ والمبتدأ الذي يقدر هنا هو الضمير المنفصل يعنى "هو"، والمعنى المقدر "هو الحق من ربك" و مثل ذلك يقدر مبتدأ محذوفا في قوله تعالى " وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ " ⁴⁶⁹ والتقدير "لا تقولوا هم أموات".

وفي آية " وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " ⁴⁷⁰ يقدر المبتدأ " ويقولون أمرنا طاعة ". ويقول الإمام الأحمش رأيه في حذف المبتدأ وتقديره في قوله تعالى " وقالت اليهود عزيز بن الله " برفع عزيز بدون تنوين، وإنه استنكر هذه القراءة لأن التنوين لا يترك إلا إذا كان الاسم يستغني عن ابن وهنا لا يستغني عنه، ولهذا خرج هذا القراءة على حذف مبتدأ، والتقدير : نبينا عزيز بن الله " ⁴⁷¹.

تقدير الخبر المحذوف

في الآية القرآنية " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا " قدر خبراً محذوفاً، والمعنى في الفرائض الزانية والزاني، أو الزانية والزاني في الفرائض، وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة أو السارق والسارقة فيما فرض عليكم، وذلك قياساً على قوله تعالى : " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ " ⁴⁷²

⁴⁶⁸ القرآن الكريم سورة آل عمران 70

⁴⁶⁹ القرآن الكريم سورة البقرة 154

⁴⁷⁰ القرآن الكريم سورة النساء 81

⁴⁷¹ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي 253

⁴⁷² سورة محمد 15

فقد قال تعالى بعد ذلك " فيها أنهارٌ من ماء فيها كذا وكذا..."، وإنما وضع المثل للحديث الذي بعده، فذكر أخباراً، وأحاديث والمعنى: ومن القصص مثل الجنة، أو مما يقص عليكم مثل الجنة .

اسم كان نكرة وخبرها معرفة

منع بعض من النحويين مجيء اسم كان نكرة وخبرها معرفة وذلك لأنه لا يبدأ بما يكون فيه اللبس وهو النكرة لما أننا إذا قلنا "كان إنسان حليماً"، أو "كان رجل منطلقاً"، كنت تلبس، لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدووا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون فيه هذا اللبس. وذكر أن هذا يجوز في الضرورات الشعرية، وفي ضعف الكلام، مثل قول الشاعر

: فَإِنَّكَ لَا تُبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ أَظْيِي كَانَ أُمَّكَ أُمَّ حِمَارٍ

وقد جاء القرآن الكريم مؤيداً لهذا الاستعمال في قراءة عاصم والأعمش وأبان بن تغلب لقوله تعالى " وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ " ⁴⁷³ بنصب صلاتهم ورفع بكاء وتصديّة وقراءة ابن عامر لقوله تعالى: " أَوْلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ " برفع آية وتأنيث الفعل يكن.

معنى الترجي في "لعل"

من الأساليب اللغوية التي عدها الإمام سيبويه جارية على عادات العرب في كلامها قوله تعالى " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَبَأَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ". فقد قال فيه " فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثر مما لم يعلما " ⁴⁷⁴ .

⁴⁷³ الأنفال 35

⁴⁷⁴ الكتاب 1\331

فسيبويه يستنكر أن يكون الترجي في قوله تعالى، لعله من الله تعالى، لأن في ذلك نفيًا للعلم عن الله تعالى، وإنما هو من موسى وأخيه هارون ولهذا قال اذهباً أنتما في رجائكما .

و إن " الذي يؤيد هذا أن الزمخشري اتبع سيبويه في هذا التفسير، ولكنه لم يشر إليه عند تفسيره لهذه الآية، فقال "والترجي لهما" ، أي : اذهباً على رجائكما وطمعكما، وباشراً الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه. فهو يجتهد بطوقه، ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه، مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة، وعليه يكون قوله تعالى : لعله يتذكر أن يخشى في محل نصب حال من الفاعل في قوله "قولاً واذهباً" والمعنى : اذهباً وقولاً له قولاً ليناً راجيين طامعين " .

وجه في إعراب النداء

وقد كان عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء يقرآن قوله تعالى : " يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ " بالنصب، ويختلفان في التأويل فكان عيسى بن عمر يرى أن النصب على النداء، كقولك يا زيد والحارث لما لم يمكنه: يا زيد يا الحارث. أما أبو عمرو بن العلاء فيرفض ذلك، ويرى أنه لو كان ذلك كذلك لكانت الطير مرفوعة، ولذا فهو يرى أن النصب على إضمار فعل، تقديره: وسخرنا الطير، بدليل قوله تعالى " وَلسُلَيْمَانَ الرِّيحَ " بالنصب، أي سخرنا لسليمان الريح وكأنه يرفض عطف الطير على موضع الجبال لما لم يمكن نداء ما فيه ال.

المسائل الفقهية تختلف حسب المعايير النحوية

إن الحكم الفقهي قد ارتبط ارتباطاً متيناً بالدلالة النحوية العربية، والدلالة النحوية قد تعد عند الفقهاء من الأدلة اللفظية الوطيدة للحكم الشرعي الإسلامي ، ولذا اعتنى بها الفقهاء والعلماء اعتناءً عظيماً، ورأواها بالأهمية الكبيرة، وقد فهموا وبينوا تلك العلاقة الجليلة التي بينها

وبين المسائل الفقهية المنبثقة منها. والصور النحوية المختلفة هي التي تعين الطرق الحقيقية للمسائل الفقهية الدينية النيرة و تحصي التيارات الفقهية المتنوعة في جانبها الصحيح. والخوض إلى تتبع بعض من المسائل الفقهية التي يؤثر فيها التداخل النحوي يساعد لفهم ضرورة الدلالة النحوية في هذا المجال.

والمفسرون يعتمدون على المعنى النحوي في إبداء آرائهم في الأحكام الفقهية حكماً شرعياً لا سيما حينما تخص العبادات والمعاملات، حيث يقررون حكماً بناءً على أذواقهم النحوية الرفيعة وإدراكهم لأهمية المعنى النحوي في اختلاف المعنى.

غسل الرجلين في الوضوء:-

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ " .⁴⁷⁵ " القراءة الصحيحة في كلمة أرجلكم من هذه الآية هي بفتح اللام لا بكسرها كأنها معطوفة على الاسم الذي قبلها ولكنها معطوفة على كلمة " أيديكم " في نفس الآية، وهذه القراءة تقتضي المعنى بأن الأرجل مغسولة لا ممسوحة، لما أنها معطوفة على الأيدي المغسولة، فالمعنى على هذا التأويل " إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم " . والقراءة الثانية التي أتت بخفض اللام في " أرجلكم " تقتضي مسح الأرجل لا غسلها عطفاً بها على " رؤوسكم " الممسوحة. وهذا مما لا يوافق المسائل الفقهية العامة التي أجمع عليها الفقهاء .

مسح الرأس في الوضوء:-

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ " ⁴⁷⁶ والباء في كلمة في رؤوسكم في هذه الآية تصرف المعنى إلى المسائل الفقهية المختلفة، وذلك باعتبارات متنوعة في معاني الباء المتفرقة. فعلى رأي من يقول بأنها للزيادة يكون المعنى على ظاهر النص القرآني، وهو استيعاب الرأس في المسح، وعلى نظر من يرى بأنها للتبويض يصير المعنى بأن من مسح من رأسه شيئاً فقد مسح برأسه بالصورة التامة المأمورة بها. وهذا الذي يراه الفقهاء العظام مثل الإمام الشافعي رحمه الله .

ويقول بعض من النحاة العباقرة مثل الإمام الزمخشري وغيرهم أن الباء هنا للإلصاق ⁴⁷⁷، وهو رأي الزمخشري، قال: " المراد إلصاق المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه، وهذا المعنى هو الذي ذكره سيبويه، ولم يذكر غيره، وهو أصل معاني الباء، قال سيبويه: " فالباء عنده في الأصل للإلصاق، وكل المعاني الأخرى مرتبطة بهذا المعنى، فهي للإلصاق حقيقة ومجازاً .

وتقول عدة من الفقهاء أن الباء هنا هي للاستعانة ، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن في الكلام حذفاً وقلباً، فالأصل امسحوا رؤوسكم بالماء، أي باستعانته، وأراء الفقهاء في هذا المجال كثيرة حيث يقول عنها الإمام أبو حيان " وعلى هذه المفهومات ظهر الاختلاف بين العلماء في مسح الرأس، فروي عن ابن عمر أنه مسح اليافوخ فقط، وعن سلمة بن الأكوع أنه كان يمسح مقدم رأسه، وعن إبراهيم والشعبي أي نواحي رأسك مسحت أجزاك، وعن الحسن إن لم تصب المرأة إلا شعرة واحدة أحزها، وأما فقهاء الأمصار فالمشهور من مذهب مالك وجوب التعميم، والمشهور من

⁴⁷⁶ المرجع السابق

⁴⁷⁷ الكشف-1-644

مذهب الشافعي وجوب أدنى ما يطلق عليه اسم المسح، ومشهور أبي حنيفة والشافعي أن الأفضل استيعاب الجميع⁴⁷⁸

واعترض على القول بالزيادة الأصوليون الذين يرون أن ليس هناك زيادة في كتاب الله وقال صاحب دقائق التفسير في رده لهذا الرأي: وإذا قيل: "امسح رأسك ورجلك" لم يقتض إيصال الماء إلى العضو، وهذا يبين أن الباء حرف جاء لمعنى، لا زائدة كما يظنه بعض الناس " ثم قال: " والباء في آية الطهارة إذا حذفت اختل المعنى⁴⁷⁹

هل العمرة من الواجبات؟

يقول الله تعالى " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ".....⁴⁸⁰

وقد ذهب المفسرون في تفسير هذه الآية الشريفة إلى مذاهب عديدة بسبب العلامة الإعرابية التي عينوها، هل كانت العمرة واجبة أم مستحبة؟، مدعين بعضهم على أن لفظ العمرة معطوفة على قول الله تعالى في الآية "الحج" فهي على هذا منصوب. والذي يقوله الإمام ابن عباس رضي الله عنه بأن العمرة ليست بواجبة لما أن الأمر في الآية لإتمامها، ولما أنها لم تعطف على قول الله تعالى "الحج" المعروفة كالركن الخامس من الإسلام ولكنها عطفت على إتمام الحج في اعتبار أن من أحرم للعمرة فعليه أن يتمها وجوباً فلا يجوز له أن يحل منه حتى يستكملها بطواف البيت وبالسعي في الصفا والمروة. ويقول الذين يقولون بأن العمرة غير واجبة " وإن كانت كلمة العمرة معطوفة على كلمة الحج لا تكون من الواجبات لما أن القرينة هنا تدل على ذلك، والقرينة هنا فعل الأمر "أتموا "

⁴⁷⁸ تفسير البحر المحيط 451\6

⁴⁷⁹ دقائق التفسير 25\2

⁴⁸⁰ سورة البقرة الآية 5

ولكن الذين يعدون أن العمرة معطوفة على كلمة الحج بأن العمرة واجبة، ومنهم الإمام علي رضي الله عنه وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير والعطاء رضوان الله تعالى عنهم، حيث إنهم عطفوها على كلمة الحج الذي يعد من آخر أركان الإسلام. ولهذا أصرروا على أن الإحرام بالعمرة كالحج في إتمامه بعد الإيصال إليه. ومن القراء من قرأ كلمة العمرة بالضم في الحرف الأخير على أنها متداً، وعلى هذا ذهب الإمام الشعبي رحمه الله إلى أن العمرة ليست بواجبة، روي عنه يقول "العمرة تطوع، وقرأ وأتموا الحج والعمرة لله"⁴⁸¹ وهو جعل لله خبراً بمعنى أن العمرة تطوع لله تعالى وكأنه يفصل الوقف على كلمة "الحج" والابتداء بـ "العمرة" بالرفع.

يختار الإمام الطبري رحمه الله القول بنصب العمرة مصداقاً لما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في هذا الموضوع "من وأتموا الحج والعمرة لله إلى البيت، بعد إيجابكم إياهما، لا أن ذلك أمر عز وجل بابتداء عملهما والدخول فيهما، وأداء عملهما بتمامه"⁴⁸². والذي يفهم أن مظهر الخلاف هنا هو اختلاف آراء الأئمة في تعيين إعراب كلمة واحدة من القرآن ضمة وفتحةً.

حكم غض البصر بالنسبة إلى الرجل

قوله تعالى: " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

⁴⁸¹ تفسير الطبري 10/4

⁴⁸² المرجع السابق 15\4

أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الصِّبْيِ الَّذِينَ لَمْ يَضْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "483.

فكلمة "من" في هذه الآية هي التي أدت إلى النقاش هنا ، وقد قال بعض العلماء بأن المقصود بـ "من" هنا الجنس، والمعنى أن الأمر الذي أشار الشارع هو جنس البصر، وبهذا المعنى لا يجوز لأحد أن ينظر إلى الأجنبية مطلقا لما أن المأمور بغض البصر هو غض البصر بالكلية. والبعض من العلماء يقولون بأن من هنا للتبعيض، بمعنى "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم عما يحرم" من حيث أنهم يكفون أبصارهم عما يحرم" - عن بعض ما تبصره العين - . وقد رأى بعضهم بأن معنى التبعيض النظرة الأولى لا حرج فيها و لا يحل فيما بعد ذلك مؤيدا بالحديث الذي روي من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه " : لا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ الأُولَى لَكَ، وَلَيْسَتْ لَكَ الثَّانِيَةُ "484

والرأي الآخر الذي أشير إليه هنا هو أن "من" في الآية هي لابتداء الغاية ومعناه أنها مكانية والمقصود به البصر، كما كان يدخل منه الشيطان. وكل هذه الآراء والاختلافات من العلماء انبعثت من تفسير و بيان معاني كلمة "من" المتعددة .

خطبة النساء في العدة

المفعول به والحال.

483 القرآن الكريم، سورة النور 30-31

484 أخرجه أبو داود في سننه رقم الحديث 2149

قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُونَ" وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرُومُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ".⁴⁸⁵

مما أجمع العلماء على أنه لا تجوز الإشارة بالكلام أو غيره في التزويج والتنبيه مع المعتدة. ولكن لما قدمت آراء نحوية غير قليلة في إعراب قوله تعالى في هذه الآية "سرا" أثرت في تعيين الأحكام الفقهية في هذه المسألة .

الأول: النصب على الحالية، أي مستسرين، والمفعول به في هذا الإعراب محذوف ، وقدر بـ " ولا تواعدوهن النكاح سرا" و الثاني: النصب على الظرفية ، والتقدير " في سر. الثالث: النصب على المفعولية، والتقدير "ولا تواعدوهن نكاحا". الرابع: النصب على المفعولية، وذلك بتقدير إسقاط الخافض، والتقدير: ولا تواعدوهن على سر. الخامس: النصب على أنه نعت لمصدر محذوف، تقديره: مواعدة سر السادس : النصب على الحالية من المصدر المعرف، والتقدير: المواعدة مستخفية .

فعلى الاعتبار الأول يرد النبي عن المواعدة في حال الكتمان والخفاء فمجيئ التحريم هنا في هذه الحال فقط. والنصب على المفعولية يرى أن سرا إنما هو بمعنى النكاح وكأنه يسمح في تلك المجاهرة في تلك المواعدة. والنصب على الظرفية هو يدل على مواعدة بما يستهجن ، فهو ما لا يليق بخلق المسلم. وفي حالة النعت والحالية من المصدر المعرف لا يكون هناك حرج في تعيين المسائل الفقهية على المعنى الظاهر .

الميراث\ الوراثة للنساء

قَوْلُهُ تَعَالَى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا "486

وكلمة النساء في هذه الآية تحتل لإعرابات ثلاثة، الأول: النصب على أنه مفعول به للفعل "ترثوا" والثاني: النصب على أنه مفعول به ولكن على تقدير حذف مضاف، والتقدير "أموال النساء" والثالث: النصب على أنه مفعول أول، أو مفعول ثان، لأن الفعل "ترثوا" يتعدى إلى مفعولين، وعلى هذا البيان يعرب النساء إما مفعولا أول وإما مفعولا ثان. والمعنى من الاعتبار الأول هو النهي من أن يرث الرجل نساء أبيه، والمراد من ذلك نكاح نساء الوالد. ويرتبط الحكم الفقهي بهذين المعنيين، فالحكم في المعنى الأول هو النهي عن أن يرث الرجل نساء أبيه، ويقصد بذلك نكاح نساء أبيه، وهذا هو رأي الجمهور من الفقهاء، وبالاعتبار الثاني يكون المراد وراثة الأموال كرها.

الغريب للشيعة في المسألة

أثر المعنى النحوي في إثبات غسل المرفقين ومسح القدمين في الوضوء:-

قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ "487 وقد فسر الشيعة هذه الآية بما يتفق مع مذهبهم حيث اختلفوا عن أهل السنة في الوضوء في شيئين

والذي فسر أهل الشيعة هذه الآية في مسألة غريبة وهي "غسل الأيدي ومسح الأرجل"

486 القرآن الكريم، سورة النساء 19

487 القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: 6.

فقد ذهب الشيعة إلى أن قوله تعالى " وأيديكم إلى المرافق " يدل على وجوب غسل المرافق، أي البدء بأطراف الأصابع والانتهاه بالمرافق في الوضوء. ولا يجوز العكس⁴⁸⁸. وهم يستندون في ذلك بأن بعض النحويين جعلوا "إلى" في هذه الآية بمعنى "مع" وهم يقولون بأن "إلى" قد ورد في القرآن بهذا المعنى في مواضع أخرى ، كقوله تعالى " مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ " ⁴⁸⁹ و قوله تعالى " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ " ⁴⁹⁰ والمعنى مع أموالكم. ولكنه من العلوم المتواترة أن ذلك الإدعاء ليس بصحيح و أن كلمة أرجلكم معطوفة بكلمة أيديكم و أن حرف "إلى" يفيد معنى الاستغراق أي اغسلوا الأيدي مشتملة المرافق.

تداخل المصدر المؤول في تعيين الحكم

قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ⁴⁹¹.

الوجه الأول في كلمة "أن تبروا" هو في محل نصب وهو مع أن المصدر مفعول لأجله ، وفي هذا الوجه يمكن أن تكون هناك عدة تقادير:-

و أحدها تقدير اللام والنفي، فالتقدير على ذلك " لئلا تبروا" فحذف بعد ذلك حرف النفي -لا- ، والتقدير الآخر أن يقدر اللام والنفي وحرف الجر، فالمعنى على ذلك "ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم في أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس" والتقدير الثاني: تقدير المضاف، والمعنى على ذلك "كراهة أن تبروا" ، أو يقدر المضاف بـ"إرادة أن تبروا" والمعنى "أنهاكم عنه إرادة

⁴⁸⁸ التشيع - عبد الله الغريفي، ص 401

⁴⁸⁹ القرآن الكريم ، سورة آل عمران 52

⁴⁹⁰ القرآن الكريم ، سورة النساء 2

⁴⁹¹ القرآن الكريم ، سورة البقرة 224

بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس". والتقدير الثالث: تقدير اللام والمضاف فيقال "لترك أن تبروا" أو "لدفن أن تبروا".

والوجه الثاني: النصب على إسقاط الخافض، فالمعنى "لا تعرضوا باليمين بالله في أن تبروا" فالمعنى "فهموا عن ابتداء اسم الله تعالى وجعله معرضاً لأقسامهم على البر والتقوى والإصلاح"

الوجه الثالث: الرفع على الابتداء والتقدير على ذلك "أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس أولى وأخرى"، أي: البر والإصلاح والتقوى أولى من تركها.

وإن كانت هذه الاختلافات النحوية توهم المقاربة في بعضها ببعض لا شك في أنها يؤثر على الأحكام الفقهية وما تتعلق بها. فوجه النصب على أنه مفعول لأجله يجعل "من أن تبروا" علة للنهي الموجود في أول الآية، وهو مضمون الحكم الفقهي، فارتباط "أن تبروا" بالنهي هو ارتباط العلة بالمعلول، والسبب بالمسبب، وكأن المعنى: لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم من أجل وجود البر. ووجه النصب على إسقاط الخافض يجعل ارتباط "أن تبروا" إما بالأيمان، والمعنى: لأقسامكم على أن تبروا، فهم في هذا قد أقسموا على البر، وإما بالعرضة. فالمعنى "لا تعرضوا باليمين بالله في أن تبروا". وأما وجه الرفع فظاهر أنه يفصل بين جملتين، ويجعل من قوله "أن تبروا" جملة قائمة بذاتها، ولا علاقة لها بما قبلها.⁴⁹²

تعامل الإستثناء في تبديل الحكم الفقهي

⁴⁹² أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم ص 176

" وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " .⁴⁹³

نرى في هذه الآية الأحكام الفقهية الثلاثة ، الأول: الحد، وهو في قول الله تعالى " فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً" والثاني: رد شهادة القاذف، وهو في قوله تعالى " وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا" والثالث: تفسيق من يقوم برمي المحصنات، وذلك كما نأخذ من قول الله عز وجل " وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ". ويأتي بعد هذه الأحكام الثلاثة الفقهية الهامة استثناء، حيث يقول الله سبحانه وتعالى ""إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا".

ولما أن ذلك الاستثناء قد أتى بعد الجمل الكثيرة المتعاقبة تولد الخلاف من بين علماء اللغة والمفسرين في تعيين محل الاستثناء " أهو الاستثناء من الجملة الأخيرة فقط أو من الجمل كلها؟". ومثل هذا الاستثناء قد ورد في قول الله تعالى في سورة هود "فَأَسْرِبْهُمَا بِإِسْمِكَ الْبَدِيعِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ تَتَنَفَّسُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ" ⁴⁹⁴. فاختلّفوا في "إلا امرأتك" هل هو استثناء من "فأسر" أم من "ولا يلتفت" ، ويختلف المعنى في الذي يدل عليه بالاعتبار الأول عن الذي يدل عليه في الاعتبار الثاني .

ويقول الإمام الباقر والنجييون الكوفيون بأن الاستثناء يرجع إلى الجملة الأخيرة " فيكون العامل فيه ' وأولئك هم الفاسقون لما أنه هو الأقرب إليه، وقد عرف من قواعد العربية أن العوامل إذا كانت شتى، وتعقبها معمول واحد حمل على الأقرب إليه، وذلك نحو قولهم 'ضربني وضربت زيدا' ينصب (زيد) ب (ضربت)، ولا يرفع ب (ضربني) لأنه أقرب إليه"⁴⁹⁵

⁴⁹³ القرآن الكريم، سورة النور الآية 4

⁴⁹⁴ القرآن الكريم، سورة الهود 82

⁴⁹⁵ إعراب القرآن المنسوب للزجاج المؤلف: علي بن الحسين بن علي، الأصفهاني الباقولي (ت نحو ٥٤٣هـ): دارالكتاب المصري - القاهرة القاهرة ١٤٢٠ هـ

والذي يختار الإمام ابن مالك، الاستثناء راجع إلى جميع ما تقدم، أنه إذا كان قبل الاستثناء معمولات متعددة، والعامل فيها واحد، نحو: "اهجر بني فلان وبني فلان إلا من صلح كان الاستثناء راجعا إلى الجميع، ويرى ذلك أيضا إذا كان العامل أكثر من واحد كما في الآية، فالحكم فيها كالحكم فيما اتحد فيها العامل، فالاستثناء عنده من جميع ما تقدم "

والرأي الثالث هو أن الاستثناء معلق بالجملة الثانية وهي قوله تعالى "ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا" وأما الرأي الرابع: الاستثناء معلق بالجملة الأخيرة، وهما قوله تعالى: "ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا" و "وأولئك هم الفاسقون". وهذه الآراء كلها محتملة لأن تكون مثل ما قالوا فيما يتعلق بالوجهات النحوية التي يلقيها الأئمة النحوية غير أن من شأنها أن توازن بالمبادئ الفقهية الحنيفة مع الأدلة الوافرة من الأحاديث النبوية الشريفة ومن أقوال العلماء الإجماعية . .

هل الوصية واجبة أم لا؟

" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ " 496

والذي يظهر هنا أن خلاف المفسرين في تفسير هذه الآية يعود إلى خلافهم في دلالة قوله سبحانه وتعالى "حقا" والنحاة الذين يقولون بأن كلمة "حقا" يفيد معنى الوجوب والإيجاب مع التأكيد يقولون بأن الوصية واجبة، وأما من ذهب إلى عدم الوجوب فلم يلتفت إلى هذه الدلالة، ونظر إلى ما تحتمله الألفاظ الأخرى في الآية من معنى .

وقد رأى العلماء بعضاً من الإعرابات الأخرى في قوله "حقاً"، منها " أن يكون نعتاً لمصدر محذوف"، وهو إما مصدر "كتب" أو مصدر "أوصى"، ويكون التقدير عند ذلك " كتب كتباً حقاً " أو " أوصى إيصاءً حقاً " ومنها هو " حال من المصدر المعرف المحذوف"، ومنها "أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة

تقديم ما حقه التأخير

هناك كثيرة من الأمثلة النحوية القرآنية لتقديم الخبر على المبتدأ في حالة جواز تأخيره على ما هو الأصل، وفي مثل هذه الأحوال يكون للتقديم تخصيص المسند بالمسند إليه كما في قوله تعالى " لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ " ⁴⁹⁷. فهنا قدم المسند "لكم" و "لي" على المسند إليه – "دينكم" و "دين" – ليفيدا تخصيص المسند بالمسند إليه وعلى هذا المعنى يثبت تمسك الرسول ﷺ بدينه، وهذه أيضاً من الأوامر الشرعية لكل من المسلمين .

و مثل ذلك نرى في قوله سبحانه و تعالى: " لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ " ⁴⁹⁸. أفاد تقديم المسند "فيها" تخصيصه بالمسند إليه "غول"، وبه ثبت أن هذه الخمور التي في الآخرة بخلاف خمور الدنيا التي تغتال العقول. وعلى الرغم أن الأمور تكون كذلك، لم يقدم الله تعالى الظرف "فيه" في قوله تعالى: " لَا رَيْبَ فِيهِ " ⁴⁹⁹، لأن تقديمه يمكن أن يؤدي إلى ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى لأن تخصيصه بخلو الريب في القرآن الكريم يمكن أن يجعل الذهن يطلع إلى أن في سائر الكتب السماوية من ريب .

⁴⁹⁷ القرآن الكريم سورة الكافرون 6

⁴⁹⁸ القرآن الكريم سورة الصافات 47

⁴⁹⁹ القرآن الكريم سورة البقرة 2

و للتخصيص معنى خاص يذهب إليه المتكلم في الأحيان الوافرة عند التقديم، كما أن للمعنى في تقديم المفعول في قوله تعالى " وَأَمَّا تُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ " 500 من التخصيص لامتناع تقدير الفعل بعد كلمة "أما"، وكذا الأمر في قوله تعالى: "إن كنتم إياه تعبدون" في آية " وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ " 501 .

أما في قوله تعالى: " لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " 502 ، فقد أخرج صلة الفعل "تكونوا" لأن المعنى على إثبات شهادتهم على الناس جميعاً بدون تخصيص، وقدمت صلة الفعل "يكون" لتفيد أنهم مختصون بكون الرسول شهيداً عليهم. وكذا في قوله تعالى " وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ " 503 .و إذا أخر قوله تعالى "من آل فرعون" على الفعل "يكتم" وجاء بعد الفعل "يكتم" ليوهم أنه من متعلقه، بحيث يكون المعنى أنه يكتم إيمانه ، منهم أي خوفاً منهم.

"والتأخير نقاش نحوي يعتمد على تفاعل المقدم والمؤخر في الكلام بعضه مع بعض، في رباط من المعنى النحوي، الذي يعطي لكل من المقدم والمؤخر ما يقتضيه من المعنى المراد التعبير عنه ، فإذا قدم الفعل مع همزة الاستفهام في مثل قولك: أفعلت؟ فإن المعنى يدل على الشك في الفعل، والسؤال يكون عن صحة وقوعه ، أما إذا قدم الاسم في مثل: أنت فعلت؟ فإن المعنى يدل على الشك في الفاعل والتردد فيه . كما في قوله تعالى: " " قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ "

500 القرآن الكريم سورة فصلت 17

501 القرآن الكريم سورة البقرة 172

502 القرآن الكريم سورة البقرة 143

503 القرآن الكريم سورة الغافر 28

⁵⁰⁴. فالمعنى مع تقديم الاسم يدل على أن الشك كان في الفاعل أهو إبراهيم عليه السلام أم لا .

لأنهم لا يشكون في الفعل الذي ثبت وقوعه أمامهم. وإنما الشك كان في الفاعل ⁵⁰⁵

ومثل هذا ما نرى في قوله تعالى " قل الله أذن لكم " في آية " قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ " والإذن راجع إلى قوله تعالى: " قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتكم منه حراماً وحلالاً " ⁵⁰⁶، والمعنى على إنكار أن يكون من الله تعالى إذن فيما قالوه، وتعلن الآية معنى أن الله تعالى لا يأذن. ويقدم المفعول أيضا كما في قوله تعالى: " قل أغير الله أتخذ ولياً " من آية " قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَليًا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " ⁵⁰⁷، وقوله عز وجل " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " ⁵⁰⁸ حيث قدم المفعول "غير" في كلتي الآيتين وصار المعنى على معارضة من يجراً على اتخاذ غير الله ولياً والدعاء لغير الله تعالى عبادة، وإن كان هنا قدم الفعل وقرأ أأخذ غير الله وليا لا يحصل المعنى بتلك الشدة والإبعاد من اتخاذ غير الله وليا ومعبودا .

"أما تقديم الفعل مع النفي في مثل قولك ما فعلت. فإن المعنى فيه على أنك نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول أما إذا قدم الاسم في مثل قولك: ما أنا فعلت. فإن المعنى على نفي أنك ما فعلت فعلاً ثبت أنه مفعول. وكذا فإن المعنى مع تقديم النكرة على الفعل يختلف عن المعنى مع تقديمه عليها، حيث إنه في قولك: أجهك رجل؟ يكون المعنى على أنك تريد أن تسأل عن مجيء أحد

⁵⁰⁴ القرآن الكريم سورة الأنبياء 62

⁵⁰⁵ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي 259

⁵⁰⁶ القرآن الكريم سورة يونس 59

⁵⁰⁷ القرآن الكريم سورة الأنعام 14

⁵⁰⁸ القرآن الكريم سورة الأنعام 40

الرجال إلى المسؤول أما المعنى في تقديم النكرة في مثل قولك: أرجل جاءك؟ فإنه على أنك تسأل عن جنس من جاء 'أرجل هو أم امرأة' 509

وقد تبدو العجائب المعنوية في مظاهر التقديم والتأخير في حال احتمال الكلام الظاهر ويوهم معنى آخر، كما يبين ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني، بحيث إنه يظهر في آية " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ " 510. "والمعنى: أنهم جعلوا الجن شركاء عبودهم مع الله تعالى، وزاد تقديم الشركاء معنى آخر أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك، لا من الجن ولا من غير الجن لأن التقدير مع التقديم: أن "شركاء" في موضع المفعول الأول لجعل، و"الله" في موضع المفعول الثاني، و يكون الجن على تقدير كلام ثان، فكأنه سئل: فمن جعلوا شركاء لله تعالى؟ ف قيل: الجن. ولما كان الشركاء مقدماً مفعولاً أول لجعل، والله مفعولاً ثانياً، فإن الإنكار وقع على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق، من غير اختصاص شيء دون آخر. ولذا فإن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن، لأن الصفة إذا ذكرت مجرة غير مجرة على شيء كان الذي يعلق بها من النفي عاماً في كل ما يجوز أن تكون له الصفة، وهذا المعنى ينعدم إذا أخرج الشركاء، وقيل: وجعلوا الجن شركاء لله. وكان الجن مفعولاً أول والشركاء مفعولاً ثانياً. إذ إنه لا يقع أي إنكار على اتخاذ شركاء لله تعالى لا من الجن ولا من غيرهم، ويكون لفظ الشركاء مخصوصاً غير مطلق من حيث كان محالاً أن يجري خبراً من الجن، ثم يكون عاماً فيهم وفي غيرهم. ولذا احتتمل أن يكون القصد بالإنكار إلى الجن خصوصاً أن يكونوا شركاء دون غيرهم " 511

تقديم الضمائر

509 أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي 83

510 القرآن الكريم سورة الأنعام 100

511 كتاب دلائل الإعجاز 221

وفي تقديم ضمير المخاطبين على الغائبين وتقديم ضمير الغائبين على المخاطبين فوائد
مذكورة بالنسبة إلى الآيات القرآنية، كما يبدو ذلك جليا في الآيتين القرآنيتين من سورة الأنعام من
قوله تعالى: " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ⁵¹² "، ومن سورة الإسراء في قوله
تعالى " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ⁵¹³ ". وفي
كلمة " نحن نرزقكم وإياهم " قدم ضمير المخاطب على الغائب في الآية الأولى كما قدم ضمير الغيبة
على الخطاب في الآية الثانية في حال أن المعنى الظاهر لا يعطي شيئا جديدا لهذا الافتراق في
التقديم، ولكن بالتتابع الدقيق والتحليل الحادق بين هاتين الآيتين نعرف على أن الحديث في الآية
الأولى للفقراء - والخطاب فيها للفقراء - بدليل قوله تعالى " من إملاق " ولهذا كان رزق هؤلاء الفقراء
أهم عندهم من رزق أولادهم، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم. أما الخطاب في الآية
الثانية هو للأغنياء، بدليل قوله " خشية إملاق "، لأن الخشية إنما تكون من الشيء الذي لم يقع إلى
الآن، ولهذا قدم الوعد برزق أولادهم الذي يهملهم دون رزقهم لأنه حاصل. ويكون التقديم مفيدا
للمعنى في حين أن التأخير مخل به "

وقد أشار النحويون إلى هذه الحقيقة في كتب تحليل الآيات القرآنية حسب المعايير النحوية.⁵¹⁴

التقديم والتأخير في الرتبة

قوله تعالى: " وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ
لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ⁵¹⁵ ". فسر المفسرون كلمة " حَتَّىٰ إِذَا
فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ " في هذه الآية على التقديم والتأخير، والمعنى حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم.

⁵¹² القرآن الكريم سورة الأنعام 151

⁵¹³ القرآن الكريم سورة الإسراء 31

⁵¹⁴ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي 294

⁵¹⁵ القرآن الكريم سورة آل عمران 152

والواو معناها السقوط لوقوعها في خبر "حتى إذا". والذي يحلل هنا أن رتبة الفعل "تنازعتم" التقدم على أنه فعل الشرط، ورتبة الفعل "فشلتم" التأخر وإن كان مقدماً على أنه جواب الشرط، لأنه يفهم بأن التنازع هو الذي سبب للفشل .

هل فعل كان من الزوائد؟

مما بين علماء النحو الأحوال المختلفة لـ "كان" بحيث مجيئه عاملة وزائدة كما قد أشيرت إليه في الكتب النحوية"، وقد استعمل فعل "كان" في القرآن الكريم لمعان متعددة، ناقصة وتامة، حسب الأوضاع المختلفة، كما أكد النحويون على أن كان تزداد بين شيئين متلازمين، أي بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وبعد حرف الجر، وبين الصفة والموصوف، وأكدوا على أنها لا تزداد في أول الكلام، لأن تقديم الشيء يدل على فرط العناية به، وزيادتها تدل على إلغائها، وقلة الاحتفال بها، وهذا مناف للتقديم، كما أن كان تزداد من أجل توكيد مضمون الكلام، ولذا فإن الكلام يستغني عنها ولا ينقص معناه إذا حذفت، ولذا فإن كان تتجرد من الحدث الذي يكون في الفعل، وتصبح غير عاملة في الجملة المزيدة فيها، فلا يكون لها اسم أو فاعل أو خبر، ووجودها مقتصر على توكيد مضمون الجملة والدلالة على الزمن الماضي⁵¹⁶

ومما حكم بزيادة كان في قوله تعالى " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ " ⁵¹⁷. ولكن هذا الرأي خلاف لبعض الأئمة النحوية مثل الإمام الأخفش والإمام سيبويه والإمام الزجاج⁵¹⁸. وكذلك رأوا أن كان زائد في آية " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ مِّنْهُمْ

⁵¹⁶ المتبع في شرح اللمع 1/269، النحو الوافي 1/579

⁵¹⁷ القرآن الكريم سورة هود 15

⁵¹⁸ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي 336

المؤمنون وأكثرهم الفاسقون⁵¹⁹. ويكون المعنى على هذا " أنتم خير أمة " قياساً على زيادتها في قوله تعالى " واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين " ⁵²⁰. والمعنى " اذكروا إذ أنتم قليل " وبدليل قول الله تعالى أيضا " واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون " ⁵²¹ من دون كان في هذه الآية. لما أن كون القلة لا يرتبط بأي زمن، وذلك لأن القرآن لا يخاطب بهذا القول المؤمنين الذين يعيشون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل يخاطب للمسلمين في كل زمان، ولذا لا حاجة إلى الإتيان بـ "كان" الزمنية بل يكفي استعمال الجملة الاسمية باعتبار في هذه الآية التي أوردت أخيراً، غير أن بعض العلماء يخالفون ذلك .

ورأي مؤلف كتاب أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي، بشيرة على فروج العشبي، رأي مخالف لما صرح هنا في تعيين أن "كان" في مثل هذه الآيات من الزوائد حيث يقول " وأنا أرفض أن تكون كان زائدة فيما سبق استناداً إلى عملها وهو نصب الخبر الذي لا يتم معناها في الكلام بدونها واستناداً إلى المعنى الذي أدته كان في الآيات، وهو كونها دالة على الاستمرار في الزمن وعدم التقيد بالزمن الماضي وحده . كما أن وجودها ضروري لتأدية ذلك المعنى. ففي قوله تعالى "ومن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف..."، لو لم تكن كان موجودة لكان المعنى: من يرد الحياة الدنيا ويكون الجواب مقتصرأ على حدوث ذلك الآن أو في المستقبل، أما في الماضي فلا وبوجود كان يكون الجواب "نوف إليهم" جواباً لمن يريد الحياة الدنيا في الماضي والحاضر والمستقبل . وكذا في قوله

⁵¹⁹ القرآن الكريم سورة آل عمران 110

⁵²⁰ القرآن الكريم سورة الأعراف 86

⁵²¹ القرآن الكريم سورة الأنفال 26

تعالى كنتم خير أمة، فإن وجود كان يدل على الاستمرار والمعنى " أن المسلمين خير أمة أخرجت للناس في الماضي والحاضر والمستقبل. ولهذا لا مبرر للقول بزيادة كان "522

"كان" حين يكون مع الزمان

قوله تعالى " وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا "523. و "كان" في هذه الآية لا يختص بالزمن الماضي وإن كان الظاهر يوهم أنه كذلك، و ذهب النحاة إلى أن معنى إلا ما قد سلف "لا تنكحوا كما كان من قبلكم ينكح ما نكح أبوه"، وعليه فإن الظاهر أن يرى أن الضمير في قوله "إنه كان فاحشة" يعود على "ما" في قوله تعالى "إلا ما قد سلف"، ولهذا قدر حرف الفاء محذوفاً حتى يربط المعنى في الجملتين والمعنى إلا ما قد سلف، فإنه كان فاحشة، والظاهر أيضاً أنه يرى أن كان هنا وإن كانت عاملة فهي متجردة عن الزمن، فلا تدل على الزمن الماضي، وإنما تدل على اتصاف هذا الفعل بصفة الفحش في كل الأزمنة .

الفصل والوصل

الفصل والوصل من الجوانب النحوية المهمة، ولها أحكام معينة وشروط خاصة عند المعاملة بهما في التراكيب العربية. واستعمل الفصل والوصل في القرآن في أمكنة توهم أن المكان غير ملائم للوصل حيث استعمل فيه الفصل وبالعكس.

في آية " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ "524 استعملت كلمة "يخادعون" وصلاً بلا

522 أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي 338

523 القرآن الكريم، سورة النساء 22

524 القرآن الكريم سورة البقرة 8

فصل بالواو ولم يقل الله تعالى "ويخادعون" لأن هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم آمنا من غير أن يكونوا مؤمنين، ولذا فإن قوله يخادعون تأكيد لكلام سابق هو في معناه، ولذلك ترك الفصل .

وقوله تعالى " وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " ⁵²⁵ وقوله "إنما نحن مستهزئون" تأكيد لقوله "إنا معكم، ولم يعطف قوله تعالى: الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون، على قوله إنما نحن مستهزئون مع أنه ليس بأجنبي منه، وهو نظير ما جاء معطوفاً من قوله تعالى "يخادعون الله وهو خادعهم" وقوله "ومكروا مكر الله، وذلك بداع من المعنى لأن قوله: إنما نحن مستهزئون" حكاية عنهم بأنهم قالوا وليس بخبر من تعالى، ، وقوله "الله يستهزئ بهم خبر من أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، ولهذا امتنع العطف لأنه لا يجوز أن يعطف الذي هو خبر من الله تعالى على ما هو حكاية عنهم، والأمر ليس كذلك في قوله تعالى: "يخادعون الله وهو خادعهم، ومكروا ومكرا الله" إذ صح العطف لأن الكلامين كليهما خبر من الله تعالى وليس بحكاية عنهم .

وكذلك ترك الفصل في قوله تعالى في سورة البقرة " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ " ⁵²⁶

ولقد جاء هنا قوله سبحانه وتعالى "إنهم هم المفسدون" مستأنفاً مفتتحاً بـ"ألا" لأنه هو ما يقول الله تعالى خبراً منه بأنهم كذلك، ولم يعطف ذلك القول على قوله تعالى "إنما نحن مصلحون" لأنه حكاية يحكيها الله تعالى عن اليهود، ولو عطف لدخل قوله ألا إنهم هم المفسدون داخلاً في الحكاية، ولصار خبراً من اليهود ووصفاً منهم لأنفسهم بحيث أنه يوهم بأنهم مفسدون ولصار المعنى "قالوا: إنما نحن مصلحون وقالوا إنهم هم المفسدون . وهذا لا يصح، وبهذا يكون للفصل

⁵²⁵ القرآن الكريم سورة البقرة 15، 14.

⁵²⁶ القرآن الكريم سورة البقرة 11

والوصل معنى نحوي جميل له أهمية كبيرة في الإفهام الذي من أجله صيغ الكلام، وتكون معرفته
أمراً في منتهى البلاغة "527

العطف والمعطوف

من المعلومات النحوية الأساسية أن القيام بالعطف و تركه يؤثر في معانى الجمل
والتراكيب أثرا بالغا مذكورا بحيث ترك العطف في مقام يطلب من العطف يخل المعنى إن قام
بالعطف في مقام يحتاج إلى تركه. ومن تلك المقامات قوله تعالى " وَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ
بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ "528 ولا يسمح الإمام
الزمخشري أن يكون الفعل "نطبع" معطوفاً على قوله "أصبناهم" لأنه يكون المعنى في ذلك الحين "
لو شاء الله لا تصفوا بالطبع، ولكن تلك الصفة ليست فيهم، وإنما هي من مشيئة الله تعالى، ذلك
لأن القوم كانوا مطبوعاً على قلوبهم، موصوفين بصفة من قبلهم من اقرار الذنوب والإصابة
بها. ولذلك ترى النحاة أن كلمة "نطبع" تحتل ثلاثة أوجه من الإعراب: أولها، أن يكون معطوفاً على
ما دل عليه معنى "أو لم يهد"، و يكون المعنى حينئذ "يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم" وثانيها
، أن يكون معطوفاً على "يرثون الأرض" وثالثها، أن يكون مستأنفاً، والمعنى حينئذ "ونحن نطبع على
قلوبهم". لأن الطبع قبيح والله لا يفعل القبيح ولا يريد .

وكلمة المقيمين في آية " لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا
عَظِيمًا "529 غير معطوف على الهاء والميم المخفوض بمن في منهم، لأنه لا يجوز العطف بالظاهر
على المضمرة المخفوض بدون إعادة حرف الجر إلا في الشعر، لذا استنكر البصريون العطف

527 دلائل الإعجاز 179

528 القرآن الكريم، سورة الأعراف 100

529 القرآن الكريم، سورة النساء 162

بالظاهر على المضمير المخفوض بدون إعادة حرف الجر. ولهذا يخرج الآية موافقاً سيبويه والخليل، على أن المعنى على المدح، وأن المقيمين منصوب بفعل محذوف ، والمعنى: أذكر المقيمين.

وكلمة "من" في آية " وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ "530 في موضع نصب عطفاً على قوله تعالى: "معايش"، والمعنى: وجعلنا لكم فيها معايش والعبيد والإماء على أن من لا يفرد بها البهائم، ولا ما سوى الناس. وعلى ذلك أدخل فيهم المماليك أي ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك، وعلى ذلك جاز المعنى بالنصب. وقد رفض قول من قال: إنها في موضع خفض عطفاً على الضمير المخفوض، والمعنى: جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين لأن العرب قلما تعطف على الضمير المخفوض بدون إعادة حرف الجر ، واستدل على ذلك بقول الشاعر:

هَلَا سَأَلْتُ بِذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَبِي نُعَيْمٍ ذِي اللُّوَادِ الْمُحْرِقِ

بعطف أبي نعيم على الضمير المخفوض في عنهم، والمعنى: هلا سألت بذى الجماجم عنهم وعن أبي نعيم

الآية حين يكون صفة أو جملة مستأنفة

" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ سَوْعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ "531 ، جاعلاً " التائبون وما بعده خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هم، والجملة من المبتدأ والخبر تفسيرية للمؤمنين في قوله تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين" كأنه قيل من المؤمنون؟ فقيل

530 القرآن الكريم، سورة الحجر 20

531 القرآن الكريم، سورة التوبة 111، 112

" هم التائبون العابدون" أي أن الجملة الاسمية خبرها متعدد لفظاً، ومعنى أن يخبر بأحد الأخبار دون الآخر، لأن المبتدأ محتاج لبيان أمره إلى الأخبار جميعها⁵³².

وقد ذهب أصحاب هذا الرأي أيضاً إلى أن "التائبون" خبر مبتدأ محذوف تقديره هم التائبون، والمعنى الذين بايعوا الله التائبون، فيكون صفة مقطوعة للمدح. واستدلوا على هذا بقراءة أبي عبد الله والأعمش لهذه الآية بالجر من التائبين إلى الحافظين نصباً على المدح، وذهبوا أيضاً إلى أن هذه الصفات المجرورة صفة للمؤمنين، كما جوزوا أن يكون التائبون بدلاً من الضمير في يقاتلون .

وقد ذكر العلماء أن هذه الآية تحوي أوصافاً للكلمة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليستبق إلى التحلي بها عباد الله ، كما أنهم يقولون، إن هذه الآية مستقلة بنفسها ولا علاقة لها بالآية التي قبلها "إن الله اشترى"، والتي لم يشترط فيها سوى الإيمان، فيندرج فيها كل مؤمن قاتل في سبيل الله، وإن لم تكن فيه هذه الصفات؛ وعليه جوزوا أن يكون "التائبون" مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر، كما جوزوا أن يكون خبره الأمر بالمعروف، وجوز الزجاج أن يكون التائبون مبتدأ وما بعده كذلك، والخبر محذوف وتقديره "من أهل الجنة أيضاً وإن لم يجاهد"، وعلى ذلك يكون معنى هذه الآية مستقلاً عن معنى التي قبلها، ويكون الوعد بالجنة لجميع المؤمنين، وإن لم يجاهدوا ، أما على التأويل الأول فإن الوعد بالجنة للمؤمنين المجاهدين الجامعين لهذه الصفات⁵³³.

⁵³² الخضري، حاشية الخضري 1\109

⁵³³ النسفي 2\147

إضافة الشيء إلى نفسه

من ذلك أن الكوفيين جوزوا إضافة الشيء إلى نفسه، إذا اختلف اللفظان ، مستشهدين بظاهر بعض الآيات وأقوال العرب. وقد جوز الفراء ذلك عند تفسيره لقوله تعالى " وَلَدَارُ الْآخِرَةُ " ⁵³⁴. حيث قال: "أضيفت الدار إلى الآخرة وهي الآخرة، وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كما في قوله تعالى " إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ " ⁵³⁵. والحق هو اليقين. ومثله " أتيتك بارحة الأولى، وعام الأول، وليلة الأولى، ويوم الخميس وجميع الأيام تضاف إلى أنفسها لاختلاف لفظها، وكذلك شهر الربيع، وقد يستعمل ذلك العرب في كلامهم كثيرا. وهناك غير قليلة من الأمثلة في القرآن لمثل هذه الإضافات ، نحو:-

" حب الحصيد " ⁵³⁶ ، و " حَبْلُ الْوَرِيدِ " ⁵³⁷ ، و " ذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ " ⁵³⁸ ، وهذين اللفظين من هذه الآيات يظهر بأن كلا منها يحمل المعنى الواحد.

اختلاف المعروف والمجهول

الآية " قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " ⁵³⁹ والذي قرأها مجاهد وابن جبير والأعمش وأبو حيوة وعمر بن عبید وأبو عمر في رواية عنه ولا يطعم بفتح الياء والمعنى " أنه تعالى منزه عن الأكل ولا يشبه المخلوقين، وقرأ يمان العماني وابن أبي عبلة ولا يُطْعَمُ بضم الياء وكسر العين مثل الأول، فالضمير في وهو يطعم عائد على الله ، وفي ولا يطعم عائد على الولي، وروى ابن المأمون عن يعقوب

⁵³⁴ القرآن الكريم، سورة يوسف 109

⁵³⁵ القرآن الكريم، سورة الواقعة 95

⁵³⁶ القرآن الكريم، سورة ق 9

⁵³⁷ القرآن الكريم، سورة القصص 44

⁵³⁸ القرآن الكريم، سورة ق 16

⁵³⁹ القرآن الكريم، سورة الأنعام 14

: وهو يطعم ولا يطعم على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله ، مع أن قراءة الجمهور " يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ " لأنها تخالف نفي التشبيه عن الله تعالى، إذ يرى المعتزلة أن الله تعالى لا يشبه البشر ولا يتصف بصفة من صفاتهم ، ولذا يرى الأخفش قراءة الفعل بالبناء للمعلوم، وإسناد الفعل لله لما في ذلك من موافقة ما يذهبون إليه من نفيهم التشبيه عنه سبحانه وتعالى، وذلك لأن القراءة بالبناء للمجهول إنما تقال لمن يطعم، فيخبر أنه لا يأكل شيئاً، وعليه فإن هذه القراءة لا تقر إلا لاجتماع الناس عليها كما يقول ذلك في كتاب معاني القرآن⁵⁴⁰

اختلاف علامات الإعراب

وقد فضل بعض من القراءات وفق الإعراب الخاصة كما في قوله تعالى: " وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " ⁵⁴¹ وفي كلمة " نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ " نرى بعضاً من النحويين يفضلون إعراب الرفع رافضاً للنصب فيهما، لأن المعنى على أنهم تمنوا الرد ولم يتمنوا كونهم مؤمنين ولا كونهم غير مكذبين، وسبب النصب لأنه جعله جواباً للتمني، وما بعد "الواو" كما بعد "الفاء"، وإن شئت، رفعت وجعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا ولا نكذب والله بآيات ربنا، ونكون والله من المؤمنين. هذا إذا كان ذا الوجه منقطعاً الأول، والرفع وجه الكلام وبه الكلام وبه نقرأ الآية. إذا نصب جعلها واو عطف، فكأنهم قد تمنوا ألا يكذبوا وأن يكونوا، وهذا -والله أعلم- لا يكون لأنهم لم يتمنوا الإيمان إنما تمنوا الرد وأخبروا أنهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين⁵⁴².

الاعتباران النحويان في الآية الواحدة

⁵⁴⁰ معاني القرآن 1\294

⁵⁴¹ القرآن الكريم، سورة الأنعام، 27

⁵⁴² معاني القرآن 1\297

نرى عند تفسير قوله تعالى " وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ⁵⁴³ " و معنى "قل أذن خير لكم" هو أذن خير لكم لا أذن شرٌّ . وقال بعضهم "أذن خير لكم"، والأول أحسنهما، لأننا لو قلنا "أذن خير لكم" لم يكن في حسن "هو أذن خير لكم" وهذا جائز على أن تجعل "لكم" من صفة الأذن ⁵⁴⁴

وكذلك نرى قوله تعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقال بعضهم "والأنصار" رفعا عطفا على قوله "والسابقون" والوجه هو الجر، لأن السابقين «الأولين كانوا من الفريقين جميعاً . و في البحر المحيط وقرأ عمر بن الخطاب والحسن وقتادة وعيسى الكوفي وسعيد بن أبي سعيد وطلحة ويعقوب والأنصار برفع الراء عطفاً على والسابقين، فيكون جميعهم مندرجين في هذا اللفظ وعلى قراءة الجمهور وهي الجر يكونون قسمين سابق أول وغير أول ⁵⁴⁵، وفي القرطبي: وروى عن ابن الخطاب أنه قرأ "والأنصار" رفعا عطفاً على السابقين قال، الأخفش: الخفض في الأنصار الوجه، لأن السابقين منهما، ⁵⁴⁶

التعبير بالاسم بدل الفعل

ومما يستعمل في النحو العربي القول بمثل زيد منطلق، فقد أثبت الانطلاق فعلاً لزيد من غير إرادة التجديد، أو كونه يحدث منه شيئاً فشيئاً، بل المعنى فيه كالمعنى في قولنا زيد طويل وعمرو قصير. وكذا المعنى في قوله تعالى " وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۗ

⁵⁴³ القرآن الكريم، سورة التوبة، 61

⁵⁴⁴ معاني القرآن 1\361

⁵⁴⁵ البحر المحيط 5\92

⁵⁴⁶ القرطبي 8\235

وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَتْ مِنْهُمْ رُغْبًا⁵⁴⁷، وكما نرى حصل بالتعبير بالاسم معنى لا يحدث إذا عبر بالفعل، فلا يخفى امتناع الفعل هنا لأن القول : كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض، وذلك لأن الفعل يقتضي مزاوله وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاوله فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً، فالغرض من التعبير بالاسم في هذه الآية تأدية هيئة الكلب على حاله الذي هو فيه.

اختلاف الجمل خبراً وإنشاء

" لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ⁵⁴⁸ الواضح من كلامه أنه لا يريد أن يكون قوله تعالى " فتمتعوا فسوف تعلمون"، مقول قول الله تعالى نفياً للجسمية والتشبيه عن الله، ولهذا قدر ما يصح به نفي التشبيه عنه تعالى، فجعل ذلك مقول قول للرسول ﷺ الذي جاء نذيراً للبشر، والمعنى: إنما أقبل عليهم فقال: تمتعوا، فسوف تعلمون، والذي يقبل هو الرسول. وفي قراءة، الفعل "تعلمون" بالياء ذهب إلى أن قوله تعالى: " فتمتعوا فسوف يعلمون" على الخبر بدون حاجة للتأويل والمعنى " فقد تمتعوا فسوف يعلمون. فقال "فمعناه - والله أعلم - فعلوا ذلك ليكفروا، وإنما أقبل عليهم، فقال بعضهم "تمتعوا فسوف تعلمون". وقال بعضهم " فتمتعوا فسوف يعلمون" كأنه " فقد تمتعوا فسوف يعلمون"⁵⁴⁹

المعنى النحوي والاعتقادات في القرآن الكريم

ولا يخفى على أحد ممن له أدنى إلمام عن الأمور الاعتقادية بين أهل السنة وبين أهل الشيعة أن رؤية الله تعالى كانت محل اختلاف بين الفرق الإسلامية، فقد جوزها أهل السنة،

⁵⁴⁷ القرآن الكريم سورة الكهف 18

⁵⁴⁸ القرآن الكريم سورة الروم 34

⁵⁴⁹ معاني القرآن 2\475

ورفضها المعتزلة والشيعة القائلون بالعدل، والعالم النحوي الكبير، الزجاج الذي يؤيد مذهب السنة يجوز الرؤية عند تفسيره للمعنى في قوله تعالى " وَمَا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۗ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۗ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " ⁵⁵⁰. فذكر بأن موسى عليه السلام لما خصه الله بكلامه دون سائر مخلوقاته، طلب رؤية الله تعالى ولهذا كان الفعل "أنظر" مجزوماً، لأنه جواب الأمر من الفعل "أرني"، وجاء رد الله تعالى عليه بأنه لن يراه، وليكون الجواب موافقاً لمذهب أهل السنة قدر جاراً ومجروراً محذوفين والمعنى قال: لن تراني في الدنيا، والدليل على هذا المعنى عند الزجاج عدم استقرار الجبل مكانه عند تجلي رب العزة له، كما أنه استدل على هذا المعنى بكون "لن" أداة نفي للمستقبل، ولم يذهب إلى أنها لنفي التأييد كما ذهب إلى ذلك الطبرسي الشيعي والزمخشري المعتزلي، ولهذا قال موسى: أنا أول المؤمنين وتوكيداً على جواز رؤية الله تعالى في الآخرة قدر الزجاج جاراً ومجروراً محذوفين متعلقين باسم الفاعل المؤمنين والمعنى: أنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا ⁵⁵¹

الإرادة الإلهية

ومذهب أهل السنة، أنهم يرون أن حدوث أي شيء متعلق بإرادة الله تعالى ومشيئته وعلمه. كما تظهر هذه الرسالة في قوله تعالى " قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۗ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۗ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۗ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ " ⁵⁵² " يذهب الزجاج إلى تقدير مفعول

⁵⁵⁰ القرآن الكريم سورة الأعراف 143

⁵⁵¹ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي ص 408

⁵⁵² القرآن الكريم سورة الأعراف 89

به محذوف للفعل "يشاء"، يوافق ما يذهب إليه، والمعنى في الآية "ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أنا نعود فيها"

و نرى في هذه الآية رد على المعتزلة الذين يرون أن الله لا يشاء إلا الخير للإنسان. والكفر شر، والله تعالى لا يرضى للإنسان الكفر ولا يشاؤه له. ولذا علقوا الفعل يشاء بما يؤكد هذا المعنى ويؤيده. وقد رفض الزجاج أن تكون مشيئة الله تتعلق بوجه من وجوه البر تعود إليه، لأنه تعالى لا يشاء الكفر والشرك، ولذا رفض أن يكون المعنى "إننا قد تبرأنا من جميع ملتكم، فما يكون لنا أن نعود فيها، إلا أن يشاء الله وجهاً من وجوه البر الذي تتقربون به إلى الله فيأمرنا به، وبه نكون قد عدنا". وقد أصر الزجاج على المعنى الأول الذي فسر الآية وفقهه، بدليل قوله تعالى "بعد إذ نجانا الله منها"، والنجاة من أعمال الكفر والمعاصي لا من أعمال البر⁵⁵³

وفي فذلكة الكلام، لقد كانت القاعدة النحوية ذات تأثير مباشر على توجيه المعنى في القرآن الكريم، و أن النحوي عندما يفسر الآية وفقاً لقاعدة ما فهو يفرض معنى، كما أنه عندما يرفض وجهاً للآية مخالفاً لقاعدة مرتضاة عنده، إنما يرفض معنى في كثير من الأحيان مما يمكن من القول أن القاعدة النحوية تحكم المفسر النحوي، وتؤثر في أحكامه على المعنى في القرآن الكريم .

وليس من الغريب أن يكون النحويون قد اتبعوا سيبويه والنحويين قبله وبعده في اشتراط موافقة خط المصحف، وعدم مخالفة القواعد النحوية لأننا رأيناها يشترط موافقة خط المصحف وموافقة القواعد النحوية التي وضعها النحويون وقاسوا القراءات القرآنية عليها. ولقد كانت المذاهب النحوية المسيطرة على المفسرين النحويين صاحبة الأثر الفعال في تفسيرهم للقرآن

⁵⁵³ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج 2\293

الكريم، حيث إنهم على ضوءها قبلوا الآيات القرآنية وفسروها بما يوافق القواعد المرتضاه عندهم، كما أنهم قاموا بتأويل الآيات القرآنية المخالفة لقواعدهم، بما يعود بها إلى موافقة القاعدة المخالفة. كما قاموا برفض القراءات القرآنية شاذة ومتواترة بحجة مخالفتها للقواعد النحوية التي وضعها النحاة بعد استقرار لغة العرب شعراً ونثراً .

ومع ذلك إن من الحقيقة الواضحة أن رفض النحاة في كل العصور للقراءات القرآنية، واتهام القراء بالخطأ والوهم والغلط، لا لشيء إلا لمخالفة هذه القراءات للقواعد النحوية التي وضعت بعيداً عن القرآن الكريم، وهذا يرجع إلى أنهم يعتقدون أن هذه القراءات راجعة إلى اختيار القراء وفقاً لأمزجتهم وآرائهم الخاصة وتبعاً للمذهب النحوي الذي ينتمي إليه القارئ . و مع ذلك، لا يعني أن يرى الباحث أن الفقهاء والمفسرين قد اعتمدوا على رأي النحاة في رأيهم الفقهي، فكان الرأي النحوي دعامة لهم تشد من رأيهم، ولا يعني أن الاختلاف الفقهي قد بني على الخلاف النحوي كذلك، وهو لأن الخلاف الفقهي موجود قبل أن يستوي النحو على سوقه، فقد وجد الخلاف الفقهي في القرن الأول الهجري، وكان النحو في بداية نشأته، فهذا لا يمكن قبوله إلا إذا كان الخلاف الفقهي قد نشأ مسألة معينة بعد نشأة النحو العربي، كما أن جميع هذا يفهم من أقوال العلماء المؤرخين واللغويين

الفصل الثاني : تأثير الحروف العاملة في تبديل المعاني

الواو عاطفة واستئنافية

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "554

في هذه الآية يحتمل وجهين من الإعراب في كلمة " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ "

فعلى اعتبار أن الواو استئنافية، و"الذين" مبتدأ ضمن معنى الشرط؛ - ولذلك دخلت الفاء في خبر- وقوله " فبشرهم " فعل أمر، والهاء مفعوله، والفاء واقعة في جواب اسم الموصول لشبهه بالشرط، يكون المعنى خاصة كما يجوز أن يكون" والذين" معطوفا على الضمير في قوله تعالى " يأكلون " فيكون المعنى عامة .

و الموصول عبارة إما عن الكثير من الأحرار والرهبان؛ فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والظن بهما بعد وصفهم بما سبق من أخذ الرشا، وإما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين، والظاهر العموم، فيقرن بين الكانزين من المسلمين، وبين المرتشين من الأحرار والرهبان؛ تغليظاً ودلالة على أنهم سواء في التبشير بالعذاب، وقال بعضهم هذا ابتداء في حق كل من جمع المال ومنع منه حق الله . وعلى المعنى العام يكون كلمة "الذين" منصوباً بفعل مقدر، يفسره قوله " فبشرهم "، والتقدير: بشر الذين يكنزون المال، ولم يخرجوا منه الحقوق الواجبة بالعذاب الأليم، سواء أكانوا من الأحرار والرهبان، أم كانوا من المسلمين .

أن التفسيرية والمصدرية في إثارة المعنى

" أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ" قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ " 555

ومحل البحث هنا في قوله تعالى " أن أنذر" تحتل هذه الكلمة وجهين من الإعراب: باعتبار نوعي أن – المصدرية والتفسيرية – وعندما تكون أن مصدرية تكون في موضع نصب مفعول به لأوحينا، كما أنه إذا تكون تفسيرية تظهر في حال ليس فيها محل للإعراب، و وصلت أن هنا بالأمر؛ لأن الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سيان، فساغ وقوع الأمر، ومعنى الآية بهذا الاعتبار الأول " أوحينا إلى رجل منهم بأن أنذر الناس " فهي في موضع نصب بنزع الخافض .

وبالاعتبار الثاني يكون معنى الآية :-

" أوحينا بأن خوفهم بعقاب الله تعالى إن أصروا على الكفر والمخالفة ". لما أنَّ أنْ هنا تفسيرية، و" أنذر" فعل أمر، وفاعله مستتر، والجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب، وهي مفسرة لفعل "أوحينا"؛ لأن الإيحاء فيه معني القول و وجهها أنه تعالى لما بين أنه أوحى إلى رسوله، بين بعده تفصيل ما أوحى إليه، وهو الإنذار. هذا الذي يقوله الإمام الرازي في التفسير الكبير 556

الاختلاف المؤثرين فتح الهمزة في أن وكسرهما:-

" إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ " 557

555 القرآن الكريم سورة يونس 2

556 التفسير الكبير 8\17

557 القرآن الكريم سورة يونس 4

في هذه الآية، في قول الله سبحانه وتعالى " إنه يبدأ "ورد وجهان من القراءة .

القراءة الأولى هي التي قرأها أبو جعفر بفتح همزة أن في " أنه يبدأ " والقراءة الثانية هي قراءة الجمهور بكسر الهمزة.

يقول الذين يجعل الكسرة في الهمزة إنها مستأنفة كما أن الذين يرون في جعل الفتحة عليها أنها في موضع رفع فاعل من الفعل الذي نصب حقاً أو أنها في موضع نصب بلام التعليل المحذوفة. ويكون

المعنى في الأول في فتح أن " حق أنه يبدأ الخلق "، أي: حق حقا بدء الخلق ثم إعادته.⁵⁵⁸

فالجمله واقعة موقع الدليل على وقوع البعث وإمكانه بأنه قد ابتداء خلق الناس، وابتداء خلقهم يدل على إمكان إعادة خلقهم بعد العدم.

المعنى الثاني على وجه فتح أن:-

حق وعده بالبعث لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فلا تعجزه الإعادة بعد الخلق الأول، يعني إليه مرجعكم جميعاً؛ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، أي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم، فمن كانت قدرته كذلك، فهو غني عن إخالف الوعد⁵⁵⁹.

والمعنى على وجه كسر إن⁵⁶⁰ وهو أن الغرض، ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته، هو جزاء المكلفين على أعمالهم حسنة أو سيئة، فكأنه جواب سؤال نشأ عند منكري البعث حين قال الله - تعالى- في أول الآية: (إليه مرجعكم جميعاً)، فأجابهم: بأن القادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته، والذي يرى ابتداءه بالخلق، ثم ينكر إعادته للخلق، فهو فاقد العقل، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد .

⁵⁵⁸ قوله (حقاً) مصدر، وناصبه مضمير تقديره: حق ذلك حقاً، وأما قوله (أنه يبدأ) بالفتح، فالمصدر المنسبك من (أن) وما بعدها فهي في موضع رفع فاعل، والعامل فيها ما نصب (حقاً)

⁵⁵⁹ (أنه) في موضع نصب على تقدير لام التعليل المحذوفة

⁵⁶⁰ استئناف معناه التعليل؛ لوجوب الرجوع إليه

الفاء الاستئنافية والعاطفية:-

" وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لُقِضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " ⁵⁶¹

وفي كلمة "فندر" في الآية وجهان من الإعراب. الوجه الأول هي جملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب. و الوجه الثاني:هي معطوفة على فعل محذوف تقديره: "ولكن نمهلهم فندر".

المعنى التفسيري الأول كما نرى في كتاب التحرير والتنوير:-

" جملة 'فندر الذين لا يرجون لقاءنا' مفرعة على جملة "لو" وجوابها، وهو انتفاء أن يعجل الله للناس الشر بانتفاء لازمه، وهو بلوغ أجلهم إليهم، والتقدير: فإذا انتفى التعجيل فنحن نذر الذين لا يرجون لقاءنا يعمهون، أي نتركهم في مدة تأخير العذاب عنهم متلبسين بطغيانهم، والمعنى: فنحن ندع الذين لا يخافون عقابنا، ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم " ⁵⁶²

ويقول المفسر النحوي ابن عطية في كتابه كمعناه الثاني :-

"(الفاء للعطف على مقدر يدل عليه الكلام؛ لأن قوله: " ولو يعجل الله " يتضمن نفي التعجيل، فكأنه قيل: لا يعجل لهم الشر، ولا يقضي إليهم أجلهم، ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر، ، والتقدير: ولا يفعل ذلك ولكن يذر الذين لا يرجون لقاءنا، فاقتضب القول وتوصل إلى هذا المعنى بقوله " فندر الذين لا يرجون لقاءنا " ⁵⁶³. والمعنى: أنه – تعالى- جاء بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد، وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية، كأنه قيل لكن

⁵⁶¹ القرآن الكريم سورة يونس 11

⁵⁶² التحرير والتنوير لابن عاشور 11\108

⁵⁶³ المحرر الوجيز لابن عطية 3\108

لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة، فنتركهم إمهالا واستدرجاً في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء، وإنكار البعث والجزاء، وما يتفرع على ذلك من أعمالهم السيئة، ومقالاتهم الشنيعة .

قراءة حرف اللام بالألف ودونها:-

" قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " ⁵⁶⁴

و جمهور من القراء قرأ في كلمة "لا أدراكم" في هذه الآية بإثبات الألف بعد اللام على أنها الحرف النافية التي دخل على الفعل الماضي، ولكن المفسر الكبير ابن كثير رحمه الله تعالى يرجح قراءة حذف الألف فيها لما أنها لام التأكيد التي دخلت على الفعل الماضي .

معنى القراءة الأولى: قوله " ولا أدراكم به " هو فعل ماض، من دريت ، ونوع "لا" هي النافية وهي مؤكدة للنفي، وموضحة أن الفعل منفي؛ لكونه معطوفاً على منفي وهو قوله " ما تلوته عليكم".

نرى في كتاب التبيان في علوم القرآن للإمام العبكري معناه " ولو شاء الله ما قرأته عليكم، ولا أعلمكم به على لساني " ⁵⁶⁵ كما يقول الإمام ابن السيده في كتاب اعراب القرآن نفس هذا القول ⁵⁶⁶.

و يقول الإمام رازي رحمه الله والإمام ابن زنجلة أن المعنى " ولو شاء الله ما أرسلني إليكم فتلوت عليكم القرآن، ولا أعلمكم به، وهذا حكم منه -عليه الصلاة والسلام - بأن هذا القرآن وحي من عند الله تعالى، لا من اختلاقه ولا من افتعاله " ⁵⁶⁷

⁵⁶⁴ القرآن الكريم سورة يونس 10

⁵⁶⁵ التبيان في علوم القرآن للإمام العبكري 2\668

⁵⁶⁶ كتاب اعراب القرآن ابن السيده 5\344

⁵⁶⁷ تفسير الكبير للإمام الرازي 17\61 . حجة القراءات للإمام ابن زنجلة 1\328

معنى القراءة الثانية :- " لو شاء الله ما تلوته عليكم، ولأعلمكم به على لسان غيري، من غير أن أتلوه عليكم، أي: من غير وساطتي، فإما بوساطة ملك أو رسول غيري من البشر، ولكنه خصني بهذه الفضيلة، فهو يمن على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلاً دون الناس، أي: لو لم أرسل به لأرسل به غيري " 568

و يظهر الاختلاف عند الجمع بين القراءتين على أن المعنى في القراءة الأولى - " ولا أدراكم " لا فيها مؤكدة للنفي " ولو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به على لساني أنا، وفي القراءة الأخرى " لأدراكم " بلام الجواب، " لو شاء الله ما تلوته عليكم أنا، ولأعلمكم به على لسان غيري، ولكنه خصني بهذه الكرامة "

وإن كانت اللامان أداتين مختلفين أو عاملين متنوعين تدخلان في معموليهما وتؤثران في المعاني كالعادة ، فمدار النقاش هنا أن وردت قراءتين في نفس هذه الكلمة حيث أن كلتي القراءتين صحيحتين

أن المصدرية والمضمرة

" وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ " 569

والمعنى في قوله تعالى " أن يفترى " في هذه الآية يتمكن أن يفهم على وجهين وذلك باعتبارين مختلفين في فهم الإعراب فالمعنى الأول " وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله، ما صح ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجزة مفترى، كما يقول ذلك الإمام الخازن رحمه الله " يعني وما كان ينبغي لهذا القرآن

568 أنوار التنزيل للبيضاوي 431\1 ، البحر المحيط لأبي حيان 137\5

569 القرآن الكريم سورة يونس 10

أن يختلق ويفتعل؛ لأن معنى الافتراء الاختلاق، والمعنى: ليس القرآن شيئاً ممكناً أن يفترى به على الله؛ لأن المفترى هو الذي يأتي به البشر⁵⁷⁰

وهذا المعنى باعتبار أن كلمة "أن يفترى" في محل نصب خبر كان، وذلك بتقدير المصدر أي 'افتراء'.

والمعنى الثاني " وما كان هذا القرآن لأن يفترى " كما يقول الله تعالى في آية " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً " ⁵⁷¹ أي لم يكن ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك وكذلك لا ينبغي لهذا القرآن أن يفترى ، " فما كان هذا القرآن ممكناً ليفترى ". وهذا المعنى الثاني باعتبار كلمة "أن يفترى" في محل جر بلام الجحود المحذوفة، و" أن " هي المضمرة بعد لام الجحود، حيث إن في الكلام لاما مقدرة لتأكيد النفي، فلما حذفت اللام أظهرت (أن)، وعلى هذا الوجه يكون خبر كان محذوفاً و"أن" وما في حيزها متعلق بذلك الخبر فالتقدير 'وما كان هذا القرآن ممكناً ليفترى' .

فعلى التوجيه النحوي الأول يقول الله تعالى أنه لا يصلح عمل الافتراء بالنسبة للقرآن، أي ليس من شأن القرآن ذلك، في حال أن المعنى الثاني على التوجيه النحوي الثاني لا يمكن أحد أن يفترى شيئاً في هذا القرآن وأن القرآن ليس شيئاً ممكناً لذلك.

من معاني حرف من

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۗ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " ⁵⁷²

⁵⁷⁰ لياب التأويل 190\3

⁵⁷¹ سورة التوبة 122

⁵⁷² القرآن الكريم سورة النساء 171

" مِنْ " في كلمة روح منه في الآية ليست للتبعيض كما زعمها النصارى ليقولوا خلق النبي عيسى عليه الصلاة والسلام من ذات الله سبحانه وتعالى!! (معاذ الله منها). وفي الحقيقة أن "من" هذه جاءت لابتداء الغاية. أي عيسى ذو روح مبتدأة من الله، وهو أثر نفحة جبريل في صدر مريم؛ حيث حملت بتلك النفخة بعيسى، وإنما أضيف إلى الله؛ تشريفاً وتكريماً، وللتأكيد على أنها لابتداء الغاية، وليس للتبعيض نسوق هذه الحكاية الطريفة: يحكى أن طبيباً نصرانياً للرشيد، ناظر الإمام الواقدي ذات يوم فقال له: "إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية: "إنما المسيح بن مريم رسول الله . . . وروح منه؟، فقال الواقدي: قال تعالى: وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فيجب إذا كان عيسى جزءاً من الله أن يكون ما في السموات والأرض جزءاً منه، فانقطع النصراني وأسلم، وفرح الرشيد بذلك فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة عظيمة⁵⁷³. جميعاً منه معناه جميعاً من خلقه وروح منه معناه كما نقول هذه نعمة من الله .

ومثال آخر على ابتداء الغاية " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " ⁵⁷⁴ أي مبتدأ من المسجد الحرام.

معنى لكن المشددة والمخففة

" إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " ⁵⁷⁵

في نفس هذه الآية شاهد كلمة " لكن "، قد قرأها بعض من القراء⁵⁷⁶ بتخفيف النون وكسرهما وصلًا لالتقاء الساكنين حيث رفع كلمة " الناس " على أنه متبداً. وعلى هذا جيئ بكلمة لكن

⁵⁷³ النحو في ظلال القرآن الكريم 42

⁵⁷⁴ القرآن الكريم سورة الإسراء 1

⁵⁷⁵ القرآن الكريم سورة يونس 44

⁵⁷⁶ وهم القارئ الإمام حمزة ، والكسائي وأبو محمد خلف بن هشام

هنا لمجرد الاستدراك فعند الجمهور هنا لا تعمل عمل 'إن' فالمعنى " ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، باجترامهم ما يورث أنفسهم غضب الله "

و الذي قرأ الباقون من القراء كلمة لكنّ هو بتشديد النون ونصب كلمة الناس لما أنها اسمها، وذلك لأن العرب إذا قالت لكن بالواو أثروا التشديد ونصبوا بها وتكون لكنّ على هذا من أخوات إن وتعمل عملها. فيكون المعنى أن الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة شيئاً من الظلم ولكنهم أنفسهم يظلمون ظلماً مستمراً .

ما الاستفهامية والنافية

" أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۗ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ " ⁵⁷⁷

وحرف 'ما' في هذه الآية يتمكن أن يعرب فيها كأنها في موضع نصب بفعل " يتبع " باعتبار أنها هي 'ما' الاستفهامية ، وأن تعتبر كأنها في حال لا محل لها من الإعراب باعتبار أنها حرف نفي وجحد فيكون هناك اختلاف في تعيين مفعول " يتبع " و " يدعون " .

المعنى على الأول:-

يقول الله تعالى " أي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في سلطانه وملكه، والله المنفرد بملك كل شيء " ، يعني هو تقبيح فعلهم، يعني أنهم ليسوا على شيء؛ لأنهم يعبدونها على أنها شركاء لله تشفع لهم، وليس الأمر على ما يظنون، وذلك ظن منهم لا حقيقة له. و حرف " ما " هنا

استفهامية بمعنى الإنكار والتوبيخ، وهي اسم في موضع نصب مفعول به لقوله 'يتبع'، و'شركاء' مفعول 'يدعون'.

المعنى على الثاني:-

ما يتبعون يقينا وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء، يعني أنهم ما اتبعوا شريكاً الله - تعالى-، إنما اتبعوا شيئاً ظنوه شريكاً لله تعالى.

و حرف "ما" هنا نافية، بقرينة تأكيدها بـ'إن' النافية، ويجوز أن يكون "شركاء" مفعول "يدعون" و"مفعول" يتبع "محذوف دل عليه قوله "إن يتبعون إلا الظن"،

وقيل: إن "شركاء" مفعول "يتبع"، و"مفعول" يدعون "محذوف لفهم المعنى، والمعنى على هذا "وما يتبع الذين يدعون من دون الله آلهة شركاء ف'آلهة' مفعول 'يدعون' و'شركاء' مفعول 'يتبع"، والمعنى:- وما يتبعون حقيقة الشركاء؛ وإن كانوا يسمونها شركاء؛ لأن شركة الله في الربوبية محال، وما يتبعون إلا ظنهم أنها شركاء، وإن سموها شركاء لجهلهم .

وقد ناقش كبار المفسرين هذا الموضوع في الكتب التفاسيرية⁵⁷⁸ بتوجهات متينة حيث يجعل تغير الاعتبارات النحوية اختلافاً كبيراً في تأدية المعاني المتنوعة كما ظهر في بياننا هذا حتر صيرت الجملة الإنشائية خبراً والخبرية إنشاءً.

وكذلك نرى ما يشبه هذا في آية أخرى من نفس السورة

" قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي أَسْمَوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ "579

⁵⁷⁸ أنوار التنزيل للبيضاوي 1\441، التفسير الكبير 17\137، روح المعاني 6\153

⁵⁷⁹ القرآن الكريم سورة يونس 101

"ما" في هذه الآية أيضا تحتمل لأن تكون استفهامية في موضع نصب مفعول به للفعل 'تغني'، وهي واقعة موقع المصدر- و أن تكون نافية بمعنى ليس، فقوله 'تغني' في موضع رفع اسم ليس .

والمعنى التفسيري لهاتين الوجهتين النحويتين حيث أن فيه الاستفهام الإنكاري على جهة التقرير الذي في ضمنه نفي وقوع الإغناء ، هو " أي إغناء تغني الآيات عن هؤلاء القوم الذين لا يؤمنون ؟ " ، وفيما أن تكون 'ما' نافية - لما أن الجملة من كلام الله تعالى- ، وتكون الجملة اعتراضية والمفعول محذوف - " وليست تغني الآيات أو تنفع المشركين شيئا، أي فليست تغني الآيات عن قوم لا يؤمنون، فهذه الآيات والنذر لا تفيد الفائدة في حق من حكم الله عليه بأنه لا يؤمن "

" يقول الإمام الطبري في تفسيره " يقول جل ثناؤه: وما تغني الحجج والعبير والرسل المنذرة من عقاب الله، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار، فهم لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدقون به " 580.

يختلف المعنى في " ما " النافية والاستفهامية:-

وَمَا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ⁵⁸¹

ويحتمل أن يقدر في كلمة 'ما' في هذه الآية أن تكون نافية أو أداة استفهامية . لا محل لها من الإعراب حين تكون نافية حيث أنها مبنية على السكون كما تكون في موضع نصب مفعولا به مقدما حين تكون استفهامية.

و يكون فعل " نبغي " بمعنى نطلب في حال كون 'ما' نافية فالمفعول محذوف، والتقدير: ما نطلب الظلم، والمعنى: ما بقي لنا ما نطلب بل تكفيننا بضاعتنا هذه التي ردت إلينا، أو يكون قوله " نبغي "

580 جامع البيان 4\245

581 القرآن الكريم سورة يوسف 65

لأزماً بمعنى البغي فالتقدير " ما افترنا ولا كذبنا على هذا الملك، وما نتزيد فيما وصّفنا لك من إكرامه وإحسانه "

وفي حال كون " ما " استفهامية في موضع نصب مفعولاً به مقدماً لفعل " نبغي " ، وهي واجبة التقديم؛ لأن لها صدر الكلام، والمعنى التقديري ' أي شيء نبغي؟ '، يعني " أنهم قالوا لأبيهم لما رأوا أنه رُدَّ إليهم بضاعتهم ولعله كان حاضراً عند الفتح ' الله أعلم أي شيء نبغي بتعريفنا إياك أن الملك قد برنا؟ '، أو ' ماذا نبغي وراء ما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا؟ '، حيث وثق لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق، وذلك تطيباً منهم لنفسه بما صنع بهم في ردّ بضاعتهم إليهم "

ما الموصولة والنافية:-

" وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " 582

قوله تعالى " ما " في وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ من الآية ، قد وردت في بيان إعرابه آراء شتى من النحويين والمفسرين. جاءت كثيرة من الروايات من أهل التأويل تذكر بأن ' ما ' هي اسم موصول حيث روى الإمام الطبري خمس روايات في هذا كما يقول حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

قَوْلُهُ ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ قال: " التفریق بین المرء وزوجه " فالمعنى الذي أشار إليه نص ابن عباس هو معنى الموصول، فالتقدير: الذي أنزل على الملكين التفریق بين المرء وزوجه، وهذا ما جاء في النصوص الأخرى، حيث لم يرد لفظ 'الذي' وإنما الموجود هو معناه .

أورد الإمام الطبري روايتين أيضا في تفسير هذه الآية، تبينان أن 'ما' هناك هي للنفي، فالرواية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنه نفسه حيث قال " حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ " وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ " فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَمْ يُنْزَلِ اللَّهُ السِّحْرَ". والرواية الثانية عن الربيع بن أنس رضي الله عنه حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَكَّامٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: " وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ " قَالَ: مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا السِّحْرَ " .

ولانرى عند النحاة رأيا غير هذين الرأيين لما أنهما هما اللذان يتبادران إلى أذهان القراء والسامعين ، ولا يخطر ببالنا أن تكون شرطية أو استفهامية أو غيرهما، لأن مايتقتضي الآية غير ذلك، والذي تقتضيه الآية هي التي بينها .

ولم يأخذ بالرأي الثاني - ما النافية - إلا قليل من النحاة خلافا من أن الكثير منهم فضلوا الرأي بأنها ما الموصولة، مثل الإمام الزجاج، والزمخشري، وابن عطية، والبغوي، والعكبري، ومكي، وابن هشام، وغيرهم. ولكن اختلفوا في الموقع الاعرابي للاسم الموصول، فمنهم من ذهب إلى أن محله النصب عطفًا على قوله تعالى في الآية 'السحر'، ويكون التقدير على هذا الاعتبار " يعلمون الناس السحر والذي أنزل على الملكين " . ومنهم من ذهب إلى أن محلها النصب باعتبار على أنها عطف على 'ما تتلوا' في قوله تعالى ويكون التقدير في ذلك الاعتبار " واتبعوا ما تتلوا الشياطين وما أنزل على الملكين " . ومنهم من رأى أن محلها الجر على أنها عطف على " ملك سليمان " في الآية، فالتقدير حينئذ " ما تتلوا الشياطين افتراء على ملك سليمان، وعلى ما أنزل على الملكين " وهو اختيار أبي مسلم الخراساني .

وقد ذكر كثير من النحاة عن الرأي الثاني في كتهم، ولم يأخذوا به، وأخذ به القرطبي، ولكن بوجهة أخرى حيث قال: حرف "ما" نفي، والواو للعطف على قوله 'وما كفر سليمان' وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك ".
 ما التعجبية والاستفهامية:-

" أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ " 583

وكلمة 'ما' في هذه الآية، أهي للاستفهام أم للتعجب؟ أهي موصولة أم نافية؟ هناك اختلاف كبير بين النحاة والمفسرين في هذا. يقول الذين يزعمون بأنها استفهامية إن معناها 'ما يُصْبِرُهُمْ عَلَى النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل' يقال للمرء " ما أَصْبَرَكَ؟ " أي ما الذي فعلك بهذا؟ فيكون المعنى الاصطلاحي " ما هذا الذي صَبَّرَهُمْ عَلَى النار حتى جَرَّأَهُمْ فَعَمَلُوا بِهَذَا " .

والذي يقوله المدَّعون بأنها تعجبية فمعناه " ما أَعْمَلَهُمْ بِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ! "

من النحاة الذين يقولون بأنها استفهامية مثل النحوي المشهور أبو عبيدة معمر بن المثنى، والكسائي، والفراء، والمبرد، ونسب إلى ابن عباس، وابن زيد، وعطاء، والسدي، وأبو بكر بن عياش من أهل التفسير بالمأثور. والنحاة البارزون الذين يذكرون بأنها تعجبية هم الإمام سيبويه، والزمخشري، وابن عطية، والعكبري، ونسب إلى قتادة، والحسن، وابن جبير، والربيع، ومجاهد من أهل التفسير بالمأثور .

ويصلح هذا المقام أن تقدر 'ما' في معنى الذي، فمعناها " ما الذي صبرهم على النار، ودعاهم إليها " وليس بتعجب. ويصلح أن تقدر أيضا كأنها هي نافية، ونقدر أن نفهم ذلك مما ورد عن الحسن البصري، قال ابن جرير الطبري: " حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: حدثنا هشيم، عن بشر، عن الحسن في قوله 'فما أصبرهم على النار' قال: والله ما لهم عليها من صبر،

ولكن ما أجراهم على النار" فيمكن أن يفهم من هذا القول أمران: يفهم النفي من الجزء الأول من كلامه، ويفهم التعجب وتفسير الصبر من الجزء الثاني. ويجوز أن تقدر أيضا بأنها هي موصوفة بما بعدها والخبر محذوف "الذي أصبرهم على النار أو شيء أصبرهم على النار أمر عجيب فظيع".

دخل واو المعية وواو العطف

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.⁵⁸⁴

يشير الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه لا يجوز أكل أموال الناس، مع أنه لا يجوز تقديم الأموال إلى الحكام، سواء كان على سبيل الرشوة أو على سبيل مصانعة الحكام، وذلك لأخذ حق من حقوق الناس، وهذا نوع من الأمر، والحق أن أكل أموال الناس بالباطل حرام شرعا، ولا يحتاج هذا التحريم إلى ربطه بأمر تقديم الرشوة إلى الحكام، فهو حرام سواء ارتبط بذلك أو لم يرتبط، وكذلك حكم تقديم الأموال رشوة إلى الحكام، فهو حرام شرعا، سواء ارتبط بأكل أموال الناس أو لم يرتبط.⁵⁸⁵

ومصادقا لهذا المعنى الشرعي يقول العلماء معنى هذه الآية "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا بها الحكام" وقد أخذ بهذا المعنى جمع من العلماء "وقد جاءت قراءة أبي مقوية لهذا الرأي، فهي بتكرير حرف النهي - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا بها إلى الحكام -. والذين يقولون بأن الواو هناك واو المعية يدعون بأن تقديم الأموال إلى الحكام مرتبط بأكل أموال الناس بالباطل فقط

⁵⁸⁴ القرآن الكريم، سورة البقرة 188

⁵⁸⁵ أثر الخلاف النحوي في توجيه آيات القرآن الكريم على الحكم الفقهي-د. شريف النجار ٤٦٣

الحروف الزائدة وفوائدها

زيادة ما

لما أن كل جار يقتضي مجرورا في النحو العربي حكم بزيادة ما في قوله تعالى " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ " ⁵⁸⁶ فتكون كلمة " رحمة " مجرورة بالباء، كما استشهد النحويون على زيادة " ما " في الآية بزيادتها في قوله تعالى " فَبِمَا نَقُضِهِم مِّثْقَلُهُمْ " ⁵⁸⁷ والمعنى فيها هنا " فبنقضهم "، وفي قوله تعالى " عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ " ⁵⁸⁸. والمعنى عن قليل ، وعليه يكون نقضهم وقليل مجرورين بالحرف.

وقد رأى العلماء النحويون ثلاثة أوجه نحوية في نصب كلمة بعوضة في قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا " ⁵⁸⁹ أحدها: أن تكون " ما " زائدة وتكون " بعوضة " مفعولاً أولاً مؤخرأ ليضرب واستشهد على كونها زائدة في هذه الآية بزيادتها في قوله تعالى : عما قليل ليصبحن نادمين، وحكم بزيادتها في قوله تعالى " مما خطيئاتهم " ⁵⁹⁰. والمعنى " من خطيئاتهم ما أغرقوا ". وقرر أن العرب تجعل ما صلة فيما ينوي به مذهب الجزاء، ⁵⁹¹ كزيادتها في قوله تعالى " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَٰهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا " ⁵⁹². وثانيه ما أطلقه العلماء على النعت كما هو في قوله تعالى رايأ آخر على ما تقدم " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ". فقد أجاز أن تعرب " ما " نكرة، وبعوضة نعتاً لـ " ما ". وكذلك يتمكن أن تجعل " ما " اسماً، وبعوضة صلة، فتعربها بتعريب " ما "، وذلك جائز في " من " و " ما " لأنهما يكونان معرفة في حال، ونكرة في حال .

⁵⁸⁶ القرآن الكريم سورة آل عمران 152\159

⁵⁸⁷ القرآن الكريم سورة النساء 155 ، و سورة المائدة 13

⁵⁸⁸ القرآن الكريم سورة المؤمنون 40

⁵⁸⁹ القرآن الكريم سورة البقرة 26

⁵⁹⁰ القرآن الكريم سورة نوح 25

⁵⁹¹ كتاب معاني القرآن 3\189

⁵⁹² القرآن الكريم سورة الإسراء 110

زيادة لا

وقد حكم النحويون عن اللام بأنها زيادة في بعض الآيات القرآنية مثل ما وردت في آية " وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ " ⁵⁹³، وفي آية " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ " ⁵⁹⁴، وذلك لما أنه هو معلوم بأن الفعل " يستوي " لا يكتفي بفاعل واحد، بحيث إنه لا يتم المعنى إلا إذا اشترك في فعله فاعلان، ولهذا حكم بزيادتها في هذه الآية أيضا في حال أنها قيست على قول القائل " لا يستوي عمرو ولا زيد " والمعنى يكون " لا يستوي عمرو وزيد "، وعلى قول الله تعالى " لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ " ⁵⁹⁵ والمعنى في هذه الآية " لأن يعلم "، " لأن المعنى على التعليل، أي لأن يعلم أهل الكتاب ما ذكر بعد ذلك وهو قوله ألا يقدر على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ووجود لا ينفي ذلك، ولهذا حكم بزيادتها استناداً إلى المعنى وخدمة له ⁵⁹⁶

واللام في آية " لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ " ⁵⁹⁷ أيضا حكمت بأنها من الحروف الزوائد غير أن ابن هشام قد روى استنكار النحاة لكونها زائدة في هذه الآية " لا أقسم بيوم القيامة " لأنها في بداية الكلام وزيادة الشيء تفيد اطراحه، وكونها في أول الكلام يفيد الاعتناء بها ⁵⁹⁸. إضافة إلى ذلك حكم علي كثير من الآيات بزيادة اللام للتقوية كقوله تعالى: " لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ " ⁵⁹⁹ والمعنى " الذين هم ربه يرهبون "، قياساً على قوله تعالى " إن كنتم للرؤيا تعبرون " ⁶⁰⁰، وقوله تعالى " يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا " ⁶⁰¹، اللام زائدة وأوصلت الفعل إلى مفعوله وكذا قوله تعالى " قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ

⁵⁹³ القرآن الكريم سورة الفاطر 21

⁵⁹⁴ القرآن الكريم سورة فصلت 34

⁵⁹⁵ القرآن الكريم سورة الحديد 29

⁵⁹⁶ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي 235

⁵⁹⁷ القرآن الكريم سورة القيامة 1

⁵⁹⁸ المغنى 1\249

⁵⁹⁹ القرآن الكريم سورة الأعراف 154

⁶⁰⁰ القرآن الكريم سورة يوسف 43

⁶⁰¹ القرآن الكريم سورة النور 17

لِيَحْزُنُكَ" ⁶⁰² اللام زائدة، ولذلك كسرت همزة إن ، وذلك لقبح دخول اللام في خبر إن، وهنا "أن" مفتوحة لأنها معمول "نعلم" ولكن كسرت الهمزة حتى يسوغ دخول اللام في خبرها.

زيادة الكاف

والذي رأى النحاة والمفسرون أن الكاف في آية " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ "، وفي آية " أُو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا " هي من الحروف الزوائد في التركيب، لأن المعنى هنا يعطف كلمة "الذي مر" على كلمة "الذي حاج"، فيكون القول مع التقدير " ألم تر إلى الذي حاج أو الذي مر على قرية " ⁶⁰³. وذلك قياساً على زيادتها في قوله تعالى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " ⁶⁰⁴ والمعنى " ليس مثله شيء"، لأنه ليس لله مثل، وذلك نفياً للتشبيه عن الله تعالى الذي أنكره المعتزلة والأخفش بصفته واحداً منهم، وقياساً على زيادتها في قول الشاعر

" فَصَيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ " والمعنى: صيروا مثل عصف بإضافة العصف إلى مثل.

وقول خطام المجاشعي: " وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنَ " حيث إحدى الكافين زائدة

أما قوله تعالى " قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ " ⁶⁰⁵، فقد فسر المعنى فيه على زيادة لا. والمعنى " ما منعك أن تسجد" وذلك لأنه يرى أن السؤال عن السجود، "فكأنه يريد ما الذي حال بينك وبين السجود وليس يريد ما الذي حال بينك وبين عدم السجود؟"

زيادة الفاء

⁶⁰² القرآن الكريم سورة الأنعام 33

⁶⁰³ القرآن الكريم سورة البقرة 258

⁶⁰⁴ القرآن الكريم سورة الشورى 11

⁶⁰⁵ القرآن الكريم سورة الأعراف 12

وفي القرآن الكريم كثيرة من الأمثلة لأن تفسر بأن الفاء زائدة كما نرى في آية " أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ " ⁶⁰⁶، وفي قوله " وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ " ⁶⁰⁷. في الآية الأولى الفاء في كلمة "فإن له" زائدة وأن الجملة التي بعدها بدل عما قبل اللام وفي الآية الثانية أيضا تكون الفاء زائدة لما أنه يصلح المعنى الحقيقي من دون اللفاء .

زيادة الواو

وقد ذكر النحاة زيادة الواو في آية " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ " ⁶⁰⁸، والمعنى: على جعل "قال" خبر "إذا" ، وقياساً على قول الشاعر:-

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا حِينُهُ وَإِذَا مَضَىٰ شَيْءٌ كَأَنَّ لَمْ يَفْعَلِ والمعنى: فإذا ذلك ليس إلا حينه والواو

زائدة. ⁶⁰⁹

زيادة الباء

كثيرا ما حكمت الباء في الآيات العديدة من القرآن مثل ما نشاهد بيان النحويين في آية " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُم مِّنَ قَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّطَ الْمُوتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ⁶¹⁰. وذلك قياساً على زيادتها في فاعل الفعل كفى في قوله تعالى " كَفَىٰ بِاللَّهِ " ⁶¹¹ ،

⁶⁰⁶ القرآن الكريم سورة التوبة 63

⁶⁰⁷ القرآن الكريم سورة الأنعام 54

⁶⁰⁸ القرآن الكريم سورة الزمر 73

⁶⁰⁹ أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي 233

⁶¹⁰ القرآن الكريم سورة الأحقاف 33

⁶¹¹ القرآن الكريم سورة الرعد 43

وكذلك على ما قيس على قول الله تعالى في سورة المؤمنون " تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ " ⁶¹² . كما أننا نشاهد الأمثلة لزيادة الباء في مفعولات بعض الأفعال مع أن تلك الأفعال يتعدى إلى المفعول بغير الاعتماد على الحروف الجارة، مثاله ما ورد في سورة البقرة " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " ⁶¹³ وفي سورة يوسف " قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ " ⁶¹⁴ ، " والمعنى وما نحن تأويل الأحلام بعالمين، استناداً إلى أن تأويل مفعول عالمين، مقدم والباء أوصلت الفعل إلى مفعوله " ⁶¹⁵ ، وفي سورة مريم " وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا " ⁶¹⁶

تضمين الحروف معنى الحروف الأخرى

وقد ثبت أن من القرآن واللغة العربية كلمات عديدة ترد للمعاني الأخرى كما أنه يضمن خشى معنى علم ، لأن الخوف من صفات الإنسان " وَأَمَّا الْعَلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا " ⁶¹⁷ . والمعنى: فعلم ربك أن يرهقهما. وإبعاداً لشبهة الشك عن الله تعالى يضمن أو معنى بل في قوله " وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ " ⁶¹⁸ يقول الإمام الفراء " من زعم أن "أو" في هذه الآية على غير معنى بل، فقد افترى على الله، لأن الله تبارك وتعالى لا يشك " ⁶¹⁹ . وقد رد ابن قتيبة ذلك ذاهباً إلى أنها بمعنى الواو، والمعنى وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون " ⁶²⁰ . وذلك كما ضمن إلا معنى " سوى " حتى ينفي عن الله تعالى عدم الوفاء بالوعد عند تفسير قوله تعالى " أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ

⁶¹² القرآن الكريم سورة المؤمنون 20

⁶¹³ القرآن الكريم سورة البقرة 195

⁶¹⁴ القرآن الكريم سورة يوسف 44

⁶¹⁵ معاني القرآن 1\398

⁶¹⁶ القرآن الكريم سورة مريم 25

⁶¹⁷ القرآن الكريم، سورة الكهف 80

⁶¹⁸ القرآن الكريم، سورة الصافات 1477 غغض

⁶¹⁹ معاني القرآن 1\250

⁶²⁰ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، 414

مَجْدُودٍ⁶²¹ ذلك لأن المعتزلة يذهبون إلى خلود فاعل الكبيرة في النار إذا مات على كبريته دون توبة، يقول القائل، ما هذا الاستثناء، وقد وعد الله أهل النار الخلود وأهل الجنة الخلود، والقول الآخر أن العرب إذا استثنت شيئاً كبيراً مع مثله أو مع ما هو أكبر منه كان معنى إلا ومعنى الواو سواء .

إن الشرطية في المعنى

ومن الإجماع الذي أجمع عليه النحاة أن إذا وإن الشرطيتين يضافان إلى الجمل الفعلية، وإن حدث أن جاء اسم بعدهما فهو فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده . وجوز الكوفيون أن يكون فاعلاً مقدماً للفعل المذكور. أما الأخفش فقد ذكر أنه جوز إضافتهما إلى الجمل الاسمية. وعليه يكون الاسم بعدهما مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبراً عنه⁶²²

وعند تفسير قوله تعالى " وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا⁶²³ " وفي قوله تعالى " وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ⁶²⁴ " والذي يرى النحويون أن الأقيس أن يكون المرفوع على فعل مضمر لأن حروف المجازاة لا يأتي بعدها جمل اسمية. إلا أنه جوز ذلك في "إن" لتمكنها وحسنها إذا وليتها الأسماء. وليس بعدها فعل مجزوم في اللفظ ، كما أنما هو ظاهر هنا.

وذلك معلوم أن الجمل الفعلية فيها معنى التجدد والحدوث بعكس الجمل الاسمية التي تتسم بالدوام والثبوت، وعليه فإن المعنى في قوله تعالى " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو

⁶²¹ القرآن الكريم، سورة هود 107

⁶²² شذور الذهب ص 35، وحاشية الصبان /2/ 257

⁶²³ القرآن الكريم سورة النساء 128

⁶²⁴ القرآن الكريم سورة التوبة 6

إِعراضاً " وقوله تعالى " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره " على التجدد والحدوث، وهذا لا يصح إلا بتقدير فعل بعد الأداة، والذي يقدر، " وإن خافت امرأ خافت"، " وإن استجارك أحد من المشركين استجارك"، استناداً إلى القرينة المذكورة في الآيتين التي سهلت تقدير الفعلين فيهما. وذلك الأمر ليس مرة واحدة حتى يعبر عنه بجملة اسمية خبرية، وإنما هو دائم الحدوث، ولهذا فإن جواب الشرط في هذين الفعلين من الله تعالى عند تجدد أو حدوث الداعي إليه وهو فعل الشرط، وعليه فإن المرأة متى خافت من بعلمها نشوزاً أو إعراضاً عليها أن تجنح إلى الصلح استناداً إلى الأمر الذي ذكره الله تعالى جواباً لفعل الشرط وهو " فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحاً " .

الفصل الثالث : ملامح النحو العربي في السور المفصلة من القرآن

العطف بالواو يفيد الترتيب

" وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ "

على أن العطف بالواو يفيد الترتيب فإن المقدم أكبر من الذي بعده، فالكفر أكبر من الفسوق والفسوق أكبر من العصيان ولما كان العصيان ذكر ثالثاً فلا بد من أن يكون المراد به الصغائر . وقوله تعالى " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۗ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى " ⁶²⁵ استناداً إلى أن المستثنى لا بد أن يكون غير المستثنى منه وإلا لم يكن للاستثناء فائدة وعليه فلا

بد أن يكون المراد باللمم الصغائر .⁶²⁶

⁶²⁵ القرآن الكريم سورة النجم 32

⁶²⁶ شروح الأصول الخمسة 633

حكم بزيادة "ما"

" فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ " ⁶²⁷ . لأنه لو لم يكن ما في كلمة " ما أنكم " في الآية لغواً لما ارتفع "مثل" فيها، كما أن ما لغواً أيضاً إذا كان لفظ "مثل" منصوباً لأننا نقول "مثل أنك هاهنا" ⁶²⁸ . وبهذا يكون عدم تأثر المعنى النحوي بما في الآيات التي حكم بزيادة ما فيها سبباً في حكمه بزيادتها .

القسم من الله حسب دعوى المعتزلة

والذي ذهب إليه المعتزلة إلى أن المقسم به في قوله تعالى: " وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا " ⁶²⁹ وفي قوله " وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ " ⁶³⁰ وفي قوله تعالى " وَالضُّحَى " ⁶³¹ كما في قوله عز وجل " وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ " ⁶³² على تقدير لفظ الرب محذوفاً والمعنى: ورب الذاريات ورب الطور إلى غير ذلك... ولكن هذا التقدير النحوي ليس عند أهل السنة والجماعة لما أن من الأمور التي تليق بذات الله تعالى القسم بالأشياء المخلوقات حسب إرادته.

اللعنة في حق الله عند المعتزلة

وقد ذهب الزمخشري - المعتزلي - في تفسير آية " قَاتَلَهُمُ اللَّهُ " إلى تقدير محذوف والمعنى: أحياء بأن يقال لهم هذا، " أو قاتلهم تعجباً من شناعة قولهم ،وعليه يكون قوله تعالى " قاتلهم الله " تفسير لنائب الفاعل هذا" في تقديره. وذلك لأن المعتزلة لا تجوزون اللعنة في حق الله تعالى.

إرادة الله الخير والشر

⁶²⁷ القرآن الكريم سورة الذاريات 23

⁶²⁸ الكتاب 3\140

⁶²⁹ القرآن الكريم سورة الذاريات 1

⁶³⁰ القرآن الكريم سورة الطور 1

⁶³¹ القرآن الكريم سورة الضحى 1

⁶³² القرآن الكريم سورة التين 1

والنحويون الذين يريدون أن ينسب الهدى والإضلال لله تعالى نفيًا للجبر وإثباتًا لحرية الإرادة يفسرون الهدى والإضلال في كل الآيات الواردة فيها بما يتفق عقيدة الاعتزال، فيضمن هديناهم معنى دللناهم، ويقدر جاراً ومجروراً متعلقين بالفعل دللناهم في قوله تعالى " وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ " 633 . معاناهم " دللناهم على مذهب الخير ومذهب الشر " كقوله تعالى " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " 634 الخير والشر ... قال أبو زكريا : وكذلك قوله : " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " 635 .

ادعاء 'الواو الثمانية' عند الفاطمية

و قد استدل الفاطميون بزيادة "واو"، سماها النحويون واو الثمانية، على ولاية الإمام الفاطمي الخليفة الثامن على الدولة الفاطمية الشيعية ...!!!، وذلك في مجموعة من الآيات القرآنية.

دعوتهم الغريب هي أن الواو في "وفتحت أبوابها" من آية " وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ " 636 زائدة، والعلة في ذلك كون أبواب النار سبعة وأبواب الجنة ثمانية!! 637 وقد جاء في عدة مواضع من القرآن زيادة الواو في ثامن العدد وثامن النعوت، فمنها هذا الموضع ، ومنها قوله تعالى: " سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ " 638 ومما جاءت الواو ثامنة في نعت الذكور قوله تعالى " التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ

633 فصلت 17

634 البلد 10

635 الإنسان 3

636 القرآن الكريم سورة الزمر 73

637 كتاب أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي ص 578

638 القرآن الكريم سورة الكهف 22

عَنِ الْمُنْكَرِ⁶³⁹ وهو نعت الثامن. ومنها ما جاء في نعت المؤنث قوله تعالى " مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا"⁶⁴⁰ ، وهو نعت الثامن، فأثبت فيه الواو .

وفي مثل هذه الآيات نرى المعتزلة يستعملون المبادئ النحوية لإثبات عقائدهم.

صحة حذف الحرف في اللفظ وثبوتها في المعنى

" يدع الإنسان " في آية " وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا"⁶⁴¹ حذفت الواو من "يدعو" في اللفظ، ولم تحذف في المعنى لأنها في موضع رفع فكان حذفها باستقبالها اللام الساكنة، ومثلها " سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ"⁶⁴² ، وكذلك " وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا"⁶⁴³، حذفت الياء من "يؤتي" وقوله تعالى " يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ"⁶⁴⁴، حذفت الياء من "ينادي". وقوله عز وجل " فَمَا تُغْنِ التُّرُكُ"⁶⁴⁵، حذفت الياء من "تغني". وهذا الحذف من الجوائز في اللفظ.

اختلاف القول بالتقدير

قوله تعالى " وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ"⁶⁴⁶. وقد يقول بعض المفسرين مثل الزمخشري على أن المعنى فيه على تقدير محذوف ، يعني والمعنى "غير ممنون عليك" و لكن ذهب القرطبي إلى تفسير قوله "ممنون" تفسيراً لغوياً بدون تقدير محذوف والمعنى "غير مقطوع ولا منقوص . كقولهم مننت الحبل إذا قطعتة . وحبل منين إذا كان غير متين "، وكقول الشاعر :-

غُبْسًا كَوَاسِبَ لَا يُمَنَّ طَعَامُهَا

⁶³⁹ القرآن الكريم سورة التوبة 112

⁶⁴⁰ القرآن الكريم سورة التحريم 5

⁶⁴¹ القرآن الكريم سورة الإسراء 11

⁶⁴² القرآن الكريم سورة العلق 18

⁶⁴³ القرآن الكريم سورة النساء 146

⁶⁴⁴ القرآن الكريم سورة ق 41

⁶⁴⁵ القرآن الكريم سورة القمر 5

⁶⁴⁶ القرآن الكريم سورة القلم 3

القول بزيادة ضمير الفصل

قد حكم الإمام الأخفش بزيادة ضمير الفصل في كل فعل لا يستغني عن خبر ، كما في قوله تعالى " اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ " ⁶⁴⁷ ف"هو" زائد لأنه لا يصح أن يكون صفة لهذا فإذا قلنا " رأيت هذا هو" ، ليس كلاماً. كما أن ضمير الفصل لا يكون صفة للظاهر، وإنما يكون صفة للمضمرة، ولذا ففي قوله تعالى " وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ " ⁶⁴⁸ وقوله تعالى " وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا " ⁶⁴⁹. " ضميرا للفصل ليسا زائدين، وإنما هما صفتان. ففي الآية الأولى الضمير "هم" صفة للضمير في كانوا، وفي الآية الثانية الضمير "هو" صفة للضمير في تجدوه"

اعتباران في الآية

قوله تعالى " قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ " ⁶⁵⁰ أول المعنى فيه على وجهين : الوجه الأول: على جعل "قتل" جواباً للقسم على حذف لام التوكيد، والمعنى: والسماة ذات البروج لقتل أصحاب الأخدود والوجه الثاني: على التقديم والتأخير على أن قتل أصحاب الأخدود جملة ابتدائية تقريرية خبرية، والقسم في قوله والسماة ذات البروج توكيد لها والمعنى قتل أصحاب الأخدود، والسماة ذات البروج"

المعنى على التقديم والتأخير

⁶⁴⁷ القرآن الكريم سورة الأنفال 32

⁶⁴⁸ القرآن الكريم سورة الزخرف 76

⁶⁴⁹ القرآن الكريم سورة المزمل 20

⁶⁵⁰ البروج 4

قوله تعال " إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ " ⁶⁵¹ جعل المعنى فيها على التقديم والتأخير، وجعل "إذا" ظرفاً للقاء جزاء الكدح – القادم في نفس السورة- في قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ " ⁶⁵²، والمعنى: يأبها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقية إذا السماء انشقت .

النكرة حين تكون مبتدأة

في الآية القرآنية " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " ⁶⁵³ تأييد لمبدأ خلود الكفار في النار إذ أنه يقول: فإن نقول " كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله : ويل يومئذ للمكذبين؟ نفهم هو في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحو سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب، ولكنه لم يقرأ به،. وذلك لأن الجملة الفعلية تتسم بالتجدد والحدوث، أما الجملة الاسمية فإنها تتسم بالدوام والثبوت . والذي يؤيد أن سيبويه يريد تنزيه الله عن فعل القبيح أنه لم يؤول قوله " طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ " بمثل ما أول به هاتين الآيتين، وإنما عد طوبي اسماً مبتدأ مرفوعاً مبنياً عليه ما بعده، ودل على رفعه الرفع في قوله حسن مآب " ⁶⁵⁴ الذي عطف عليه .

حذف الفعل

وقد حذف الفعل في أقواله تعالى مثل: " إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ " وقوله " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ " ⁶⁵⁵ وقوله " إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ " ⁶⁵⁶، وقوله " قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ " ⁶⁵⁷ والمعنى: إذا انشقت السماء، وإذا كورت الشمس، وإن هلك امرؤ، إلخ...

⁶⁵¹ سورة الإنشقاق 1

⁶⁵² المرجع السابق 6

⁶⁵³ المرسلات 19

⁶⁵⁴ الكتاب 1\331

⁶⁵⁵ سورة التكوير 1

⁶⁵⁶ سورة النساء 176

⁶⁵⁷ سورة الإسراء 100

تقدير المضاف

يقدر الإمام الفراء في أحد معاني تفسير آية " ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً " نفيًا للرؤية عن الله تعالى، مضافاً محذوفاً، والتقدير "وهو ثواب ربك" أو "إلى ما أعد الله لك من الثواب " " وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ " تقديره " وإن لنا لثواب الآخرة .

إضمام الفعل

وقرأ قوله تعالى " الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ " بنصب القارعة، على إضمام فعل تقديره اذكر القارعة أو على التحذير بإضمام فعل تقديره: احذروا القارعة أو على تقدير فعل اذكر محذوف " 658

لزوم جواب الشرط حتى بعد آخر الآية

ففي قوله تعالى " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ " 659 نجد أن المعنى لا يحسن السكوت عليه قبل قوله فسيح: رغم تفاعل اثني عشرة كلمة في النظم بعضها مع بعض، وذلك لأن المعنى النحوي في أسلوب الشرط لا يكتمل ولا يعطي يحسن السكوت عليه قبل مجيء الجواب الذي نظم الشرط من أجله .

معنى اللام

التعليل: نحو قوله تعالى: " وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ " أي معناه وإنه من أجل حب المال لبخيل.

معنى إلى في قوله تعالى " بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا " 660 أي إليها

إضافة الشيء إلى نفسه

658 أثر المعنى النحوي 168

659 سورة الفتح 1-3

660 الزلزال 4

وإن " فكرة إضافة الشيء إلى نفسه التي جَوَّزها الكوفيون، فقالوا في قوله تعالى: " إن هذا لهو حق اليقين " إن التقدير فيه " حق الأمر اليقين"، كما في قوله تعالى " وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ " ⁶⁶¹ أي "دين الملة القيمة". فاليقين صفة للأمر المحذوف، وكذا القيمة صفة للملة المحذوفة .

أقوال عن بعض الحروف:-

وقد رأى النحويون دخول الفاء في أول الجملة إذا كانت معطوفة على الإنشاء، وأظهروا لذلك أمثلة من الآيتين الأوليين من سورة الماعون والكوثر وآية "كلا لما يقض ما أمره، فلينظر الإنسان إلى طعامه" من سورة عبس. وكذلك عرّفت النحاة إعراب ابن خالويه بجعل حرف الباء زائدة في الآية الثلاثة من سورة العصر، وحرف اللام في أول آية سورة الهمزة. وكذلك، يرى بعضهم حرف الباء زائدة في الآية الرابعة من سورتي القدر و الفيل.

وكذلك حكمت "ال" بأنها زائدة في آية "النجم الثاقب" (لأنها ثريا معروفة) وفي كلمة "البيت" من سورة قريش لأنه المراد بها الكعبة، و"ال" في كلمة "اليسع" من سورة 'ص' أيضا من الزوائد إذا قيل عنها بأنها الفعل المضارع المصيرة اسما. وهكذا اللام في آية "فقال لهم رسول الله" من سورة الشمس، ومن سورة الاخلاص - الآية الأخيرة- من الزوائد على رأيهم، كما زيدت الباء في خبر ما في آية "لست عليهم بمسيطر" من سورة الغاشية وفي آية "وما هم عنها بغائبين" من سورة الانفطار، وفي آية "ولئیس بضارهم" من سورة المجادلة. والباء التي زيدت في آية "عينا يشرب بها المقربون" من سورة المطففين، هي الباء التي زيدت في المفعول.

وهكذا ناقش النحويون مجيئ الجواب بعد توالي الجمل الشرطية كما في سورة النازعات (الآيات

(38-36) ومجيئ الجمل الفعلية صفات في سورة الجمعة (الآية 2-

نرى في آية وَمِنْ أَلْيَلٍ فَآسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا من سورة الإنسان (26) ، وفي الآية الأخيرة من سورة الشرح تقدم المعمول جارا ومجرورا على العامل، كما تقدم في آية "ثم إلينا ترجعون" من سورة العنكبوت. وحرف "من" في سورة لقمان بآية "واغضض من صوتك" وفي سورة الدخان بآية "يلبسون من سندس" من الزوائد. وحرف "ما" في آية كلمة "قليلا ما" من سورتي السجدة والحاقة، قيل عنهما أنهما من الزوائد.

وتكون الفاء عطفت على الخبر في بعض الأحيان كما نجدها في الآية الثالثة من سورة الملك، كما تكون زائدة في خبر الموصول بحيث نرهما في آية " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (التغابن 16)، وفي "إِلَّا مَنْ آزَنَصَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ" من سورة الجن (27). وحرف لا زائدة في آية لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا مِنْ سِوَةِ النَّبِيِّ.

تفسير الصوفية النحوي

وللصوفية معنى في تفسير بعض الآيات القرآنية بحيث أنهم يقولون في تفسير آية " " الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ..، أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ " ⁶⁶² بما يؤكد الطريقة الصوفية التي اشترطوا على سالكيها ألا يشغل نفسه بشيء إلا الله تعالى. ولهذا علقوا الأفعال في الآيات بما يدعم المعاني التي يصبون إليها، والمعنى الذي خلقتني فهو يهديني إليه لا غيره، وهو الذي يعطمني الرضا ويسقيني المحبة، وإذا مرضت بمشاهدة نفسي فهو يشفيني بمشاهدته، والذي يميّتي عن نفسي، ويحييني به، فأقوم به لا بنفسي، والذي أطمع أن لا يخجلني يوم ألقاه بنظري إلى طاعتي وأعمالي، ثم أفتقر إليه بكليتي "

قدرت الصوفية مضافاً محذوفاً في قوله تعالى: " مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ " وهذا التقدير إثباتاً لأنه على السالك أن لا يشغل نفسه بشيء ولا يركز اهتمامه إلا على هدفه من السلوك في الطريق الصوفي، وهو الفناء في الله تعالى، وذلك على اعتبار أن "ما" في الآية مصدرية، والمعنى: "من شر الاحتجاب بالخلق وتأثيرهم فيه، فإن من اتصل بعالم القدس في حضرة الأسماء، واتصف بصفاته تعالى أثر في كل مخلوق ولم يتأثر من أحد، لأنهم في عالم الآثار ومقام الأفعال، وقد ارتقى هو عن مقام الأفعال إلى مبادئها من الصفات، ومن شر غاسق إذا وقب أي من شر الاحتجاب بالبدن المظلم إذا دخل ظلامه كل شيء، واستولى وأثر بتغيرات أحواله "663

وكذلك ذهبوا إلى أن قوله تعالى " مَلِكِ النَّاسِ " عطف بيان على " رَبِّ النَّاسِ " في قوله تعالى: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " 664، وهذا إثباتاً لمقام الفناء لأن الملك هو الذي يملك رقابهم وأمورهم باعتبار حال فناءهم فيه في قوله " لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " 665 " فالملك بالحقيقة هو الواحد القهار، الذي قهر كل شيء بوجوده، ثم عطف عليه "

القيام بالتحليل النحوي من الآيات القرآنية لا يقدر أحد للقيام بإتمامه، وهذه كانت من المحاولة اليسيرة للاطلاع إلى بعض من العجائب النحوية القرآنية، نحن - الإنسان - لا نقدر بتقدير الكلام الإلهي بالطاقة البشرية حتى لا نستطيع استحسان الكلام الإلهي على حقيقته. ولا يفهم الباحث أن هذه قد وصلت إلى الوجه الحسن، باستيعاب جميع ما تطلبه من الصلاحيات والصواب، وبلا حول على مجرد الإدراك إلى بعض من مزايا النظريات النحوية من الآيات القرآنية.

والله ولي التوفيق، وهو المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

663 تفسير القرآن الكريم لابن العربي 2\871

664 الناس 2

665 الغافر 16

خاتمة البحث

يتضح من هذه الدراسة أن الأحكام النحوية ناتجة عن فهم النص المعربي، وأن اختلاف الأحكام النحوية ناتج عن اختلاف في فهم النحويين لنص من النصوص فإن كان الخلاف في إعراب آية من آيات الأحكام فإن فهمنا للآية سيتأثر بهذا الخلاف، وقد يدل كل رأي نحوي على أحكام مختلفة من الشؤون اللغوية والفقهية والاعتقادية وغيرها. ولذلك كان النظر النحوي ذا أهمية كبيرة لكل من يقوم باللغة .

وكان قدوم النحو من المتطلبات العصرية حيث لم يقدم أحد من العلماء بخطة أولية مختصة لبنائها حتى تولدت العلوم النحوية وقواعدها القاطبة على مر العصور بأحسن صورها، كما قام أكثر من العلماء العباقرة بمساهمات عديدة في هذا المجال. ولما أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي الأصلي المعتمد عليه التجأ العلماء أولاً إلى الآيات القرآنية وإلى الأحاديث النبوية وإلى الآثار العربية القديمة. وتأثير النحو العربي في القرآن الكريم لا تقدر العبارات وصفه حيث يحمل فضلاً كبيراً في إثارة المعنى الحقيقي .

لما أن المعاني الحقيقية القرآنية لا تأخذ بصورتها الأصلية إلا بالتبع النحو التام فيها، والتحليل النحوي القرآني حسب النظريات النحوية المتنوعة تساعد لاستخراج المعاني الحقيقية للقرآن، وإنما تدرك الأحكام الدينية - الفقهية والاعتقادية والأصولية وغيرها- عبر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، بحيث إن العناصر النحوية المتكاثرة تلعب دوراً مذكوراً في تبديل الأحكام الدينية الإسلامية من واحد إلى أخرى حتى بتداخل أدنى الجزء النحوي.

ولا شك في أن الآيات القرآنية قد أخفت في أغوارها عديدة من سرائر العلوم وخفايا المعلومات، ويقدر النحو العربي إخراج تلك الحقائق العلمية المتفرقة بحضورها الجلي

في كل من مظاهر تراكيب جمل القرآن. وبعد الدراسة الكاملة على حد وصل الباحث إلى بعض من النتائج، ويختصرها بأهم منها فيما يلي:

- اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وبها نزل فالارتباط بينهما وثيق، ففهم القرآن وتدبر معانيه لا يتأتى إلا بفهم لغته .
- علم النحو والإعراب هو الأساس الذي تُبنى عليه اللغة العربية و علم الإعراب وضع لتمييز المعاني المختلفة في العربية وإيضاحها والدلالة المعنوية عليها .
- والتي قدمت علوم النحو إلينا عبر الأطوار العديدة منذ نشأتها ونموها حتى ساهم حشد من العلماء المختلفين في بناء هذا العلم الجليل.
- وقد أثرت المبادئ النحوية وقواعدها في استخراج المعاني الحقيقية للآيات القرآنية كما أن للعناصر النحوية اليسيرة أثر بالغ ودخل مذكور في تأدية معاني القرآن .
- وإن كانت العلوم النحوية والعلوم الإعرابية تطلقان على معنى واحد عظمت الاختلافات والافتراقات بينهما على وجه العموم والخصوص.
- وقد تولد ولا تزال تتولد العلوم الحديثة المتنوعة والاتجاهات اللغوية الطريفة عبر تلك التراكيب اللغوية والمعاني النحوية التي عرضها القرآن الكريم.
- المدارس النحوية المتنوعة تمتلك الأهمية الكبيرة في ميدان تشكيل القواعد النحوية المتنوعة من المصادر الأصلية للغة العربية.
- معرفة الملامح النحوية للغة العربية تساعد لاستخراج عجائب اللغة وإعجازها ويكشف الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.
- قلما يتمكن استعمال كل من الأساليب النحوية القرآنية الغريبة في الأوضاع اللغوية الأخرى خارج القرآن .

- إن الاستدلال النحوي كان دعامة للفقهاء والمفسرين، فالفقهاء قد اعتمدوا على الدلالة النحوية في رأيهم الفقهي، ولا يقصد الباحث بذلك أن الاختلاف الفقهي قد بني على الخلاف النحوي فحسب .
- المصادر الأصلية التي مهد الطرق وسهّلها إلى الخوض إلى العالم النحو العربي من بينها القرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار العربية القديمة من الأشعار والخطب والأمثال وغيرها من المنتوجات الأدبية التي تثق بها.
- التجأ النحويون إلى شروط وحدود معينة في أطوار بناء النظريات النحوية وفقا لما يظهر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها.
- لقد توسع النحويون في تقدير المحذوفات حفاظاً على قواعدهم النحوية المرتضاة، كما توسعوا في تقديرها خدمة لأصول مذاهبهم الدينية المختلفة.
- لما أن فهم المعاني والأفكار من كل لغة يترتب على إدراك العناصر النحوية فيها لا بد لمن يمارس الآيات القرآنية تعلما وتفهما إلا أن يكون ذا مهارة حادة عن المعاني النحوية العربية .
- وقد تغيرت الآراء الشرعية الفقهية والاعتقادية من العلماء والمفسرين بمجرد اختلافهم في تعيين المسائل النحوية في الآيات القرآنية .
- كشف البحث على أن التحليل النحوي في الآيات القرآنية تزيد من إدراك القوة التركيبية والمتانة النصية للغة العربية عامة وللآيات القرآنية خاصة.
- بينت الدراسة بأن الخفايا النحوية التي تنطوي في أغوار آيات القرآن، إنما تخرجها الموهبة النحوية الجليلة لمستعملها و لكل من يمارس بها على حدمها.
- توضح الدراسة بأن المزايا النحوية الوافرة من سور القرآن تُعلن عجائب اللغة العربية -خاصة الجوانب النحوية منها- كما أنها تسلط الأضواء إلى مبادئ النحو المختلفة.

- وقد لعبت الآثار النحوية العربية دورها المذكور في كل أقسام آيات سور القرآن من السبع الطوال والمثون والمثنائي ومن الآيات المفصلة.
- إن الدراسة التطبيقية أظهرت أثر اختلاف حركات الإعراب في تفسير القرآن الكريم، فقد بيّن الباحث فيها ما أفرزه هذا الاختلاف في إعراب القرآن الكريم من تنوع وتعدد في المعاني التفسيرية، مما أسهم في إثراء التفسير، وساعد في إدراك وفهم معاني الآيات من جميع جوانبها .

توصيات الدراسة

- يوصي الباحث لكل من يحرص على طلب العلم من القرآن الكريم ، بالإقبال على كتاب الله -تعالى-، وفهم معانيه وأحكامه، والاشتغال بتعلم الإعراب، والاهتمام به، وذلك لما له من صلة وثيقة بالتفسير القرآني
- تقترح الدراسة لاستيفاء العثور على كل المظاهر النحوية المتنوعة في جميع آيات القرآن كما أنها تطلب للوقوف على الأساليب النحوية الحديثة و اكتشاف مظاهرها من القرآن الكريم .
- يدعو الباحث المهتمين والمشتغلين بعلم تفسير القرآن الكريم، إلى الاستفادة من علم إعراب القرآن الكريم؛ لأن به يظهر المعنى، ويتضح ما خفي من دلالات، فدراسة الإعراب والنحو من حيث المعنى المترتب على اختلاف إعراب الكلمات أو الجمل، يُظهر جمال هذا العلم، وقوة ما يوصل إليه من معان خفية ودقيقة .

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أبو القاسم الزجاجي، الايضاح في العلل النحو، تحقيق: مازن مبارك،، الجزائر، دار
النفائس ت 340هـ
3. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، مصر، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، 2006
4. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، دار الكتب
العلمية، لبنان، 1993م
5. أبو الحسن علي محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، مؤسسة الرسالة ناشرون،
بيروت، 2006م
6. أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، إعراب
القرآن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ
7. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم
الكتاب، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1998م
8. أبو طاهر، عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقرئ، أخبار النحويين، دار
الصحابة للتراث - طنطا، 1989م
9. أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري، تاريخ العلماء النحويين من
البصريين والكوفيين وغيرهم، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،
القاهرة، 1992م
10. أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2010م

11. أبو البقاء محب الدين عبد الله الحسن، اللباب في علل البناء والإعراب، دار الفكر، دمشق، 1996م
12. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية - بيروت، 1418هـ
13. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار المعارف، القاهرة، م1119
14. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخاري، السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ،
15. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م
16. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمية - بيروت، 1990م
17. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003هـ
18. أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن قروة بن قطن بن دعامة الأنباري، شرح المفضليات للمفضل الضبي، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1930 شرح شواهد المغني
19. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ
20. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001هـ

21. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، كتاب العين ، دار ومكتبة الهلال، لبنان، 1998 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، إعجاز القرآن للباقلاني، دار المعارف بمصر، 1954م
22. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، دار الفكر العربي، 2008 م
23. أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الزوزني، كتاب شرح المعلقات السبع ، لجنة التحقيق في الدار العالمية، بيروت، 1992م
24. أبو عبد الله محمد المرزباني، كتاب الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء- ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م
25. أبو عبد الله بدر الدين ابن الناظم ، شرح ألفية ابن مالك ، مطبعة القديس ، بيروت، 1212م
26. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المفصل في صنعة الاعراب المؤلف ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1965م
27. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية - بيروت، 140هـ
28. أبو الحسن الأنباري ، كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري، دار الفكر، 1135هـ
29. أبو الحسن الباقولي، إعراب القرآن المنسوب للزجاج إعراب القرآن المنسوب للزجاج، الياقوتة الحمراء للبرمجيات، السعودية، 2015
30. أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1997م

31. أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق، 2001م
32. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة 2012م
33. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر - بيروت، 1420هـ
34. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1412هـ
35. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، موفق الدين، المغني، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1997م
36. أبو البقاء العبقرى، كتاب المتبع في شرح اللمع، البحث العلمي في دار العلوم، السعودية، 1978م
37. أبو عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، 1989م
38. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي،: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998م
39. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية - بيروت 1422
40. أبو البقاء العكبري الحنبلي، التبيان في علوم القرآن، دار ابن رجب، مصر، 1998
41. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ

42. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الوسيط في المذهب، دار السلام - القاهرة، 1417هـ
43. أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، دار المعرفة - بيروت، لبنان، 1987م
44. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت - 1988م
45. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1998م
46. أبو الفرج محمد بن إسحق النديم، الفهرست، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، 1430هـ
47. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧ هـ
48. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ
49. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، 1987م
50. أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه الأصمهاني، إعراب القراءات السبع وعللها، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2006م
51. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة المدني بالقاهرة دار المدني بجدة، 1992م

52. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1993م
53. أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، مشكل إعراب القرآن، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1405هـ
54. إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب - بيروت، 1988م
55. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 9004 م
56. إبراهيم أنيس، إبراهيم أنيس - عبد الحلیم منتصر - عطية الصوالحي - محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، 2004م
57. إبراهيم فوزي، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، المكتبة الشاملة الذهبية، مصر، 2019م
58. إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر 2018م
59. ابن كمال الباشا، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر، دمشق، 2008م
60. ابن فارس بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، الصاحبي، المكتبة السلفية، مصر، 1910م
61. ابن سراج، الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة. لبنان، بيروت تحقيق: عبد الحسين القتلي، 2009م
62. أحمد مطلوب، حوث لغوية، دار الفكر، عمان، الأردن، 1987م
63. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، 1985م
64. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، لبنان، 1993

65. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دمشق ، دار الفكر، 1979م
66. أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م
67. أحمد سليمان ياقوت ، ظاهرة الإعراب في العربية، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية، 1994م
68. أحمد أمين، ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1933م
69. إسماعيل بن محمد الأنصاري، النبذة النحوية في شرح الأجرومية، مطبعة السعادة، 1972م
70. إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار العلم للملايين - بيروت - ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م.
71. أستاذ طاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م
72. امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ، ديوان امرئ القيس ، دار صادر، بيروت 1421هـ/2000م
73. بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ "شرح الشواهد الكبرى" ٢٠١٠ م
74. بشيرة علي فرج العشيري، أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1999م
75. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، 1404هـ

76. جلال الدين السيوطي، الاقتراح في اصول النحو، دائرة المعارف، القاهرة، 1315
77. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، دار الفكر العربي - القاهرة،، 1982م
78. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م
79. جودة محمود الطحلاوي، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الطلبة بمصر، 1932
80. حاطوم أحمد، كتاب الإعراب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت/ ١٤١٢هـ- ١٩٩٢ م
81. حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن حزم، 2015م
82. حسن بن هادي الصدر، الشيعة وفنون الإسلام، مطبعة العرفان، صيدا، 2017
83. الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1966م
84. الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أخبار النحويين البصريين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1966م
85. خديجة الحديثي، المدارس النحوية، مطبعة جامعة بغداد، ، 1990م
86. الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 475هـ
87. داود العطار، موجز علوم القرآن، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1995
- م
88. رؤبة بن العجاج، ملحق ديوانه، تحقيق: وليم بن الورد، بيروت دار الآفاق الجديدة 1980،
89. رضي الدين الأسترابادي، شرح الرضي على الكافية، جامعة قانبوز بنغازي، 1996

90. سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، من تاريخ النحو العربي، مكتبة الفلاح، كويت، 2001م
91. سعيد الأفغاني ، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، 1994م
92. سمير محمد كبريت ، الإعراب التفصيلي لسور القرآن الكريم ، دار النهضة العربية، العراق، 2008م
93. السيد حسن صدر، تأسيس الشيعة، مركز النشر والطباعة ، العراق ، 1410هـ
94. شريف النجار، أثر الخلاف النحوي في توجيه آيات القرآن الكريم على الحكم الفقهي، جامعة أم القرى، مكة، 2007م
95. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ
96. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م
97. صلاح الدين الزعبلوي، دراسات النحو، موقع اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2010م
98. ظاهر شوكت البياتي ، كتاب أدوات الإعراب ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 2005
99. عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدي، شرح الأصول الخمسة، يمن، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م
100. عبد الحميد السيد طلب، تاريخ النحو وأصوله، مكتبة الشباب، أسيوط، 1990م
101. عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، مطبعة الزهراء، بغداد، 2008م
102. عبد العال سالم المكرم، القرآن الكريم وأثر في الدراسات النحوية " دار المعارف ، القاهرة، 2001م
103. عبد الوكيل عبد الكريم، ظاهرة الإعراب في العربية ، حمية الدعوة الإسلامية العلمية، 1988م

104. عبد الرحمان محمد ابن خلدون، مقدمة،- كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- مؤسسة الرسالة بيروت، 1377
105. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، لإتقان في علوم القرآن،، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974
106. عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول فقه الإمامية، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، 2012م
107. عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء،-مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، 1985م
108. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية - بيروت، 1988م
109. عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، حجة القراءات، دار الرسالة، بيروت، 1145هـ
110. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2000م
111. عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، الأمالي، دار الجيل - بيروت، 1987م
112. عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م
113. عبد الفتاح لاشين،، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، السعودية، 2018م
114. عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، عيسى البابي الحلبي، 1976م

115. عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار

الفكر - دمشق، 1985

116. عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن

هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م

117. عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي، شرح كتاب الحدود في النحو، مكتبة وهبة -

القاهرة، 1993م

118. عبد القادر بن عمر البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب، دار المأمون للتراث،

بيروت، 1414هـ

119. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب

التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ

120. علي بن مؤمن بن محمد ابن عصفور، المقرب، بلد النشر السعودية، 1999م

121. علي أبو المكارم، تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، القاهرة الجديدة

للطباعة، مصر، 1971م

122. علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، دمشق -

بيروت، 1403هـ

123. علوش جميل، ابن الانباري، ابن الانباري و جهوده في النحو، (دكتوراه)، معهد الاداب

الشرقية، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1977

124. عمر بن عيسى بن اسماعيل، المحرر في النحو، تحقيق علي محمد عبد السميع، دار السلام،

القاهرة، 1410هـ

125. عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، الكتاب، كتبة الخانجي،

القاهرة، 1988م

126. عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت، 1986م
127. فتحي عبد الفتاح الدجني، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984
128. فتحي عبد الفتاح الدجني، لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي، مكتبة الفلاح، كويت، 1981م
129. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، مؤسسة كتب تاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1989م
130. فهيم حسن النمر، ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية ومواقعها في القرآن الكريم، دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة - مصر، 2011م
131. كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية فقه اللغات السامية، جامعة الرياض، السعودية، 1977
132. الكندي خالد بن سليمان، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، دار المسيرة، عمان، 2001م
133. مالك بن أنس، الموطأ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1985م
134. محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، دار المعارف، القاهرة، 1984م
135. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لدار التونسية للنشر - تونس، 1984
136. محمد بن اسعد الصديقي جلال الدين الدواني، شرح العقائد العضدية، جامعة أم القرى، 1737 م
137. محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، مجمع الفكر الاسلامي، مصر 1995م

138. محمد خير الحلواني، المفصل في تاريخ النحو ما قبل سيبويه، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1455هـ

139. محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف القاهرة 1191م

140. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، 1986م

141. محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار المني، جدة، 2019م

142. محمد بن محمد حسن شراب، كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، مؤسسة الرسالة، 2007م

143. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 1998م

144. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414هـ

145. محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001م

146. محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، - دار الفكر - بيروت - 1414هـ - 1994م.

147. محمد بن الطيب الفاسي، تحرير الرواية في تقرير الكفاية، درة الغواص، 1983

148. محمد على طه الدرة، كتاب فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، مكتبة السوادي، 2008م

149. محمد حسن حسن جبل، دفاع عن القرآن الكريم، البربري للطباعة الحديثة، بسيون، 2000م

150. محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، شرح تسهيل الفوائد، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1990م
151. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، صحيح ابن حبان، ائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣
152. محمد حسن علوان، تفسير القرآن الكريم، شركة الأعلي للمطبوعات، بيروت، 2018م
153. محمد ابي الفضل ابراهيم، البرهان لعلوم القرآن، دار التراث، القاهرة، 1972م
154. محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، أضواء السلف، الرياض - 1997 م
155. منصور صالح محمد علي الوليدي، الخلاف النحوي في المنصوبات، عالم الكتب الحديث، عمان، الاردن، 2010م
156. محمود كامل الناقة، أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، بحوث اللغة العربية، السعودية، 1433هـ
157. محمود عباس العقاد، اللغة الشاعرة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1974م
158. محمود السيد شيخون، الإعجاز في نظم القرآن، مصر، 1978م
159. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، 1415هـ
160. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1432م
161. مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، العراق، 1999م
162. مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، 2005م

163. مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، جامع الدروس العربية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م- نشر المكتبة العصرية - صيدا، بيروت.

164. معاجم وقواميس اللغة العربية، شوقي حمادة، دار صادر للطباعة والنشر، مصر، 2008

165. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد، بيروت، 1406هـ- 1986م

166. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1418هـ

167. ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، الشهير باليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت، 1885م

168. ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1993م

169. يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بأعلم الشنتمري، كتاب أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الإفاق الجديدة، بيروت، 1984م

170. يوهان فك، العربية، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م

171. W. Wright, Librairie du Liban, A Grammar of the Arabic Language, Liban, 1996

172. Essentials of Arabic Grammar for Learning Quranic Language ,Brig. (R) Zahoor Ahmad , Darussalam Publishers and Distributers, Islamabad ,2008

173. Arabic Grammar for the Holy Quran , Al-Qaem Institute Imam Mahdi Association of Marjaeya (I.M.A.M).

المواقع الإلكترونية

1- أحمد عبد الستار الجواري،: علم النحو والصرف العربي، نحو القرآن، مكتبة اللغة العربية - بغداد 2006

https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrjW7rlaxNkx2lLezVXNyoA;_ylu=Y29sbwNncTEEcG9zA

2- أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن، أهمية علم النحو في فهم القرآن، مقالات 2017

https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrjYTy.bRNkY.cKiwlXNyoA;_ylu=Y29sbwNncTEEcG9zA

3- أسامة يحيى، أثر علم النحو في الإعجاز القرآني، العرب، 2020م

https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrjYTy.bRNkY.cKkgIXNyoA;_ylu=Y29sbwNncTEEcG9zAz

4- النحو والتفسير وقراءة القرآن، أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن، 1438هـ

https://www.alukah.net/literature_language/0/116209/%D8%A7%D9%84%D9%86

5- العدد في النحو وايات والقرآن، جمال شاهين، نشر المكتبة الخاصة، القاهرة، 2001م

https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrjYTy.bRNkY.cKoQIXNyoA;_ylu=Y29sbwNncTEEcG9zA

6- يونس زميري، النحو القرآني، مطبعة الكرام، دوحة، 1999م

https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrjYTy.bRNkY.cKowlXNyoA;_ylu=Y29sbwNncTEEcG9zA

7- : هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، دار الكتب العلمية، 2021م

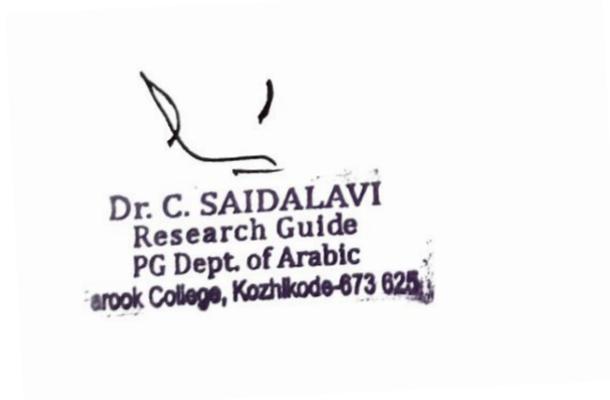
https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrjYTy.bRNkY.cKpQIXNyoA;_ylu=Y29sbwNncTEEcG9zAzYE

CERTIFICATE

It is certified that the thesis titled "GRAMMATICAL PRINCIPLES APPLIED IN THE HOLY QURAN: AN ANALYTICAL STUDY ON SELECT VERSES", submitted by AHMAD KOYA P to the University of Calicut, is a revised copy. Further certified that the corrections/suggestions made by adjudicators have been incorporated in the revised copy of the thesis and the contents in the thesis and the soft copy are one and the same.

Dr. SAIDALAVI C

Research Supervisor,
PG&Research Department of Arabic,
Farook College (Autonomous),Calicut



Place: University of Calicut

Date : 03/10/2023

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis titled ‘ **GRAMMATICAL PRINCIPLES APPLIED IN THE HOLY QURAN:AN ANALYTICAL STUDY ON SELECT VERSES**’ submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature, is a bonafide study and research work done by AHMAD KOYA. P under my guidance and supervision.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.

Dr. SAIDALAVI C

Research Supervisor,
PG& Research Department of Arabic,
Farook College (Autonomous)
Calicut

Place: Farook College, Calicut

Date:

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis titled ‘ **GRAMMATICAL PRINCIPLES APPLIED IN THE HOLY QURAN:AN ANALYTICAL STUDY ON SELECT VERSES**’ submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature, is a bonafide study and research work done by AHMAD KOYA. P under my Co-Guidance.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.

Dr. ALI NOUFAL K

Associate Professor, Department of Arabic
University of Calicut &
Former Head, Dept.of Arabic
Farook College (Autonomous) Calicut

Place: Farook College, Calicut

Date:

DECLARATION

I hereby declare that this thesis titled '**GRAMMATICAL PRINCIPLES APPLIED IN THE HOLY QURAN: AN ANALYTICAL STUDY ON SELECT VERSES**' has been written by me under the supervision of **Dr. SAIDALAVI C** Research Supervisor, PG& Research Department of Arabic, Farook College (Autonomous) Calicut, in fulfillment of the requirements for the award of the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature.

I also declare that this thesis is the result of my own effort and that no part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.

AHMAD KOYA.P

Place: Farook College, Calicut

Date:

**GRAMMATICAL PRINCIPLES APPLIED IN THE HOLY
QURAN: AN ANALYTICAL STUDY ON SELECT VERSES**

Thesis submitted to the University of Calicut for the award of the
Degree of

**DOCTOR OF PHLOSOPHY
IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE**

(Revised Copy)

BY

AHMAD KOYA.P

Under the Supervision of

Dr. SAIDALAVI C

Research Supervisor,
PG& Research Department of Arabic
Farook College (Autonomous), Calicut &
Former Principal,
Unity Women's College Manjeri
(Guide)

Dr. ALI NOUFAL K

Associate Professor, Department of Arabic
University of Calicut &
Former Head Dept. of Arabic
Farook College (Autonomous) Calicut
(Co-Guide)



**UNIVERSITY OF CALICUT
KERALA – INDIA
2023**